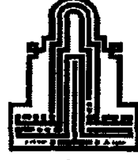
بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
كلية الآداب
قسم التاريخ

منهج الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية : دراسة تاريخية

١ للبعثة/ ٦١٠م ___ ١١ للهجرة/٦٣٢م

The Prophet Approach to Establish the Islamic State :Historical Study

610 A.D /632 A.D

إعـــداد
(محسن محمد هلال العظامات)

٠٨٢٠٣٠٣٠٠١

اسـم المشـرف
(الدكتورعليان عبدالفتاح الجالودي)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية /الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.



منهج الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية : دراسة تاريخية

١ للبعثة/ ٦١٠م __ ١١ للهجرة/٦٣٢م

The Prophet Approach to Establish the Islamic State :Historical Study

610 A.D /632 A.D

إعــــداد

(محسن محمد هلال العظامات)

٠٨٢٠٣٠٣٠٠١

اسـم المشـرف

(الدكتور عليان عبدالفتاح الجالودي)

أعضاء لجنة المناقشـة **التوقيـــع**

الدكتور عليان الجالودي ...

أ.د هند ابو الشعر

الدكتور انور الخالدي

أ.د سليمان الخرابشة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية /الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصى بإجازتها/ تعديلها/ رفضها بتاريخ:..

الإهداء

إلى كل من علمني حرفاً ....
إلى إخوتي أصحاب الحس المرهف......
إلى عائلتي الكريمة ....
إلى زوجتي ،رفيقة الدرب ....

شكر وتقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

بعد أن منّ الله عز وجلّ عليّ بالانتهاء من إعداد هذا البحث أتوجه بجزيل الشكر، وخالص الوفاء، ووافر الامتنان، إلى أستاذي الفاضل الدكتور عليان الجالودي لملاحظاته القيمة التي وجهت البحث و الذي كان لتوجيهاته وإرشاداته النافعة أثر كبير في خروج هذا البحث بثوبه الحالي، فبارك الله في علمه، وجزاه عني خير الجزاء.

فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة باللغة العربية

منهج الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية

مما لا شك فيه أن منهج إقامة الدولة الإسلامية ، من الأهمية بمكان التي تحفز وتثير تفكير كل دارس لتاريخ الدولة الإسلامية، محفزة إياه للتنقيب والتمحيص عن معالم هذا المنهج في سيرة الرسول ﷺ ومحاولة بيان طريقته في تشييد دولته،التي دامت أربعة عشر قرناتقريباً.

ومن أجل توضيح منهج الرسول ﷺ وتجلية طريقته في إقامة الدولة الإسلامية جاءت هذه الرسالة، لعلها تنير الطريق أمام الباحثين عن حقيقة هذا المنهج ، وتضع المخطط التفصيلي الذي سار عليه الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية بين يدي الباحثين فيكون جهداً متواضعاً يفتح الطريق للتعمق أكثر وأكثر في تجلية هذا المنهج.

ومع إدراك الباحث لإشكالية هذا البحث وتشعب الآراء فيه وعدم توافق المؤرخين على كثير من قضاياه وتفريعاته ،حاول الباحث ولوج هذا المعترك الصعب، معتمدا على الله أولا ثم على سعة أفق مشرفي الفاضل وانفتاح فكره وسعة صدره، معتمدا على موضوعيته والحرية التي تركها للباحث لعرض بعض ما توصل له الباحث نتيجة هذه الدراسة وان كانت تخالف ما راج بين المؤرخين ،فكان بحق خير معين بهذه العقلية فبارك الله في علمه وموضوعيته.

لم تكن الإحاطة بجوانب هذا البحث مهمة سهلة وميسرة؛ وذلك لأن الفترة التي تناولتها الدراسة كانت فترة مبكرة جدّا، والدولة فيها تجربة جديدة أرست مجموعة من القواعد في شتى الميادين، وهذه الفترة هي فترة النشوء والتكوين، وأن معظم المصادر التي أخذت منها مادة البحث لم تكن معاصرة لتلك الفترة، بل كانت متأخرة عنها كثيرا، مما جعل هذه المصادر تتناولها معتمدة على الروايات، باستثناء ما ورد من إشارات في القران الكريم؛ إذ هو أهم المصادر وأوثقها، ولكون المصادر كتبت في فترة متأخرة، فإن مهمة الباحث في غاية الصعوبة؛ إذ عليه أن يكون حذرا

في أخذ الروايات خشية أن يقع فريسة لتضارب الروايات وتناقضها. ثم إن أغلب المصادر تهتم بالنواحي السردية من دون تحليل ولا توضيح، فتذكر أخبارا عن حياة النبي ﷺ وسيرته العطرة دون أن تشير إلى التأصيل للمنهج.

وبحدود علم الباحث لا توجد دراسة تاريخية متخصصة عالجت هذه الجزئية من سيرة الرسولﷺ بشكل مستقل ، لكن كانت هناك مباحث في أبواب لدراسات تطرقت ولو بشكل مجمل لهذا الموضوع ،ولعل دراسة ،محمد أمحزون المعنونة (منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة) [١]، تكون أقرب الدراسات زمناً ومضموناً لموضوع الدراسة، لكنها جاءت تعالج سير الدعوة كاملة ولم تجعل منهج الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية هدفاً للدراسة فجاءت بعض الخطوط والمعالم لطريق الرسول ﷺ في إقامة الدولة مبعثرة في ثنايا المباحث ،ومع مقارنة هذه المباحث بخطة الرسالة نجد أن الباحث قد سلك منهجا مغايراً للمنهج الذي عالج فيها محمد أمحزون الموضوع.

وأيضا كتاب صالح العلي (دولة الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة : دراسة في تكونها وتنظيمها) الذي تحدث عن دولة الرسولﷺ في المدينة ولم يتطرق إلى منهج تكوينها، ولكن كان كتابه منصبا على بيان تشييد الرسولﷺ للدولة في المدينة[٢] . وهذه الدراسات لم تجعل منهج الرسولﷺ هدفا للدراسة، ولم تحاول استخراجه من سيرة الرسولﷺ.

١- أمحزون، محمد، منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة (المعرفة، التربية، التخطيط، التنظيم)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٢- العلي، صالح، دولة الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة : دراسة في تكونها وتنظيمها، ط.١، بيروت، لبنان : شركة المطبوعات، ٢٠٠١.

ولهذا حاول الباحث طرح إشكالية الدراسة وهو سؤال مفتاحي للرسالة، حاولت جميع فصول الدراسة الإجابة عنه وهو: هل كان للرسولﷺ منهج واضح المعالم، مفصل المراحل والخطوات في بناء دولته ؟ وحاول الباحث ما استطاع تجاوز مشكلة رئيسية في البحث وهي التمييز بين منهج الرسولﷺ في الدعوة بشكل عام وبين منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة الإسلامية،فكل من بحث في منهج الرسولﷺ كان بحثه ينصب على الدعوة بشكل عام.

لأجل ذلك كله كانت هذه الدراسة، وقد جاءت في مقدمة ومفاهيم مفتاحيه للدراسة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة،

كان التمهيد في مفهوم الدولة عند العرب قبل الإسلام، واشتمل على الدول عند العرب و لقب اللقاح والحمس وأثره في فكرة الدولة.

أما الفصل الأول: فقد جاء في منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة (١)

ويشتمل مرحلة البناء والتكوين وتضم هذه المرحلة، تكوين الحزب كطريقة لإقامة الدولة و مرحلة التثقيف ، وإعداد الحزب و التثقيف في دار الأرقم بن أبي الأرقم و التفاعل مع المجتمع و موقف قريش العدائي ضد الحزب الجديد ورجاله و موقف صاحب الحزب ورجاله من عدوان قريش عليهم.

أما الفصل الثاني : فقد جاء في منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة (٢)

ويشتمل على مرحلة طلب النصرة من القبائل لإقامة الدولة و عرض الحزب نفسه على زعماء القبائل في سبيل طلب النصرة وانعقاد البيعة مع الأنصار على أقامة الدولة.

أما الفصل الثالث: فقد جاء في مرحلة إقامة الدولة في يثرب

ويشتمل على أوضاع يثرب قبل إقامة الدولة ،و خصائص يثرب التي أهلتها لتكون مقرا لدولة الرسولﷺ والنظام السياسي الجديد الذي جاء به الرسول ﷺ

أما الفصل الرابع: فقد جاء في الإجراءات العملية للدولة الإسلامية في عهد الرسولﷺ ويشتمل على الإجراءات المادية لدولة الرسولﷺ ، والإجراءات التنظيمية و العلاقات الخارجية. وأخيرا الخاتمة وما توصل إليه الباحث من نتائج.

ويهذا تصل الدراسة لنهايتها بما ألزمت نفسها به من فترة تاريخية محددة، وهي السنة الحادية عشر للهجرة، تاريخ وفاة الرسول ﷺ .ويخلص الباحث إلى نتائج منها:

١- أن للرسول ﷺ منهجا واضح المعالم سار عليه خطوة بخطوة ومرحلة بمرحلة ، فلقد وضع رسول الله ﷺ نصب عينيه هدفا كبيرا، وهو إقامة دولة ذات سلطان حقيقي غير منقوص ووضع لتنفيذ هذا الهدف مراحل وخطوات توجت بقيام الدولة .

٢- ولاحظ الباحث أن الرسول ﷺ بمجرد وصوله ليثرب، قام بكل الإجراءات والأعمال التي تدل على انه كان مستعدا كل الاستعداد لهذه الدولة، كيف لا وهو الذي أمضى ثلاثة عشر عاما ساعيا لإقامتها،فأنشئ مقرا للدولة تصدر منه الأنظمة والقرارات ، وعالج مشاكل الدولة الناشئة بالمؤاخاة ، وضبط المجتمع الجديد بدستور واضح هو الصحيفة ،وحدد نظام الحكم لدولته بعبارات واضحة، فنظام الحكم هو الخلافة وطريقة أخذها البيعة، وأخذ يرعى شؤون دولته سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

٣- إن تقسيم أهل السيرة للفترة المكية لفترتين يطلق عليهما الفترة السرية والعلنية للدعوة كان تقسيما غير دقيق، يغلب على ظن الباحث انه وقع عند أهل السيرة نتيجة الخلط بين منهج الرسولﷺ في الدعوة بشكل عام ومنهجه في إقامة الدولة،حيث انهﷺ قد أوجد حزبا أحاطه بالسرية حرصا على سلامة أفراده، ليكون نواة لدولته القادمة فالدعوة كانت علنية منذ اليوم الأول لنزولها ولكن السرية كانت للحزب وأفراده .

٤- إن إطلاق بعض الباحثين على أوائل المسلمين صفة الضعفاء والفقراء قد جانب التدقيق الموضوعي لنسبهم والحالة الاقتصادية لهم، فبالتدقيق في قبائلهم وجد الباحث أن اغلبهم من قبائل ذات وزن وحالتهم الاقتصادية جيده وهو عكس ما يشاع.

٥- وبخلاف ما راج بين المؤرخين والباحثين بأن النظام السياسي في الإسلام جاء نتيجة الممارسة والتجربة،يميل الباحث إلى أن نظام الحكم في الإسلام قد أرسى قواعده ونظرياته الرسول ﷺ في دولته الأولى في يثرب.وان ما ظنه بعض الباحثين انه مرحلة التنظير للنظام السياسي الذي بدأه الماوردي هو في الحقيقة مرحلة التدوين للفكر السياسي في الإسلام .

٦- أن الرسول ﷺ قد جاء بدولة كاملة من منهج إقامتها إلى قواعدها وأركانها وطبق ذلك عمليا لعشرة أعوام لتكون الدولة الأنموذج التي يسير عليها من أراد الحكم الراشد والعدل الذي يحقق الرفاهة للناس أجمعين .

وفي الختام أتوجه بالشكر والعرفان لأساتذتي الكرام الذين أعطوني جزء من وقتهم وجهدهم بمناقشة أطروحتي لينقحوها ويقيموها راجياً أن يسددوا ما فيها من خلل، ويقوّموا ما فيها من عوج، وأستغفر الله من كل خطأ وزلل، وهو ولي التوفيق. والحمد لله رب العالمين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

السيرة هي المنهج العملي التطبيقي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بل لو جاز للباحث أن يدعي: إن السيرة النبوية هي السنة، وأن السنة التي يعرفها العلماء بقولهم: « ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية أو خَلْقية »[١]؛ جزء من السيرة لما أبتعد الباحث عن الحقيقة، لأن سيرة أي عَلَم إنما تشتمل على أقواله وأفعاله وتقريراته وآرائه، كما تشتمل على أخلاقه وإنجازاته ومذهبه في أي مسألة.

فلو أردنا أن نتحدث عن منهج المصطفى ﷺ في إقامة دولته بحق، فإن الواجب يفرض علينا أن لا ندع صغيرة ولا كبيرة، ولا شاردة ولا واردة، ولا قولاً ولا فعلاً، ولا قضاءاً ولا حكماً، ولا ندباً ولا أمراً أو نهياً، ولا خُلقاً له، ولا موقفاً؛ إلا وبحثنا فيه.

إلا أن علماء السيرة أطلقوا السيرة على علم خاص، يبحث في الحياة العامة والخاصة لنبينا ﷺ منذ الولادة حتى الممات، من حيث المراحل التاريخية والمواقف والغزوات، فصنفوا في ذلك كتباً وأطلقوا عليها السيرة النبوية، فصارت عَلَماً على ذلك العِلْم، وإلا فالحق أن السيرة هي كل ما يتصل به عليه الصلاة والسلام.

وبناء على ما تقدم يرى الباحث أن التنقيب عن منهج واضح المعالم مفصل الخطوات،ومراحل محددة للرسولﷺ في إقامة الدولة الإسلامية،قضية تستأهل الدراسة والبحث لما لقضية الدولة

١- عتر،نور الدين ، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر ، دمشق، ط ٣، ١٩٩٧م،ص٢٨،وسيشار لاحقا،عتر،منهج النقد.

الإسلامية ومنهج إقامتها من ارتباط وثيق بالنبي ﷺ، قولاً أو فعلاً أو تقريراً ، وإن كان العلماء قد بينوا أنه يغتفر في السيرة ما لا يغتفر في روايات الأحكام[١].

أن منهج إقامة الدولة الإسلامية ، من الأهمية التي يجب على كل دارس لتاريخ الدولة الإسلامية التفكير فيه ومحاولة التنقيب عن معالمه في سيرة الرسول ﷺ ومحاولة بيان طريقته ﷺ في تشييد دولته،التي دامت ما يقارب(١٤٠٠ سنة). ومن أجل توضيح منهج الرسولﷺ وتجلية طريقته في إقامة الدولة الإسلامية جاءت هذه الرسالة لعلها تنير الطريق أمام الباحثين عن حقيقة هذا المنهج ، وتضع المخطط التفصيلي الذي سار عليه الرسولﷺ في إقامة الدولة الإسلامية بين يدي الباحثين فيكون جهداً متواضعاً يفتح الطريق للتعمق أكثر وأكثر في تجلية هذا المنهج.

وحاول الباحث ما استطاع تجاوز مشكلة رئيسة في البحث، وهي التمييز بين منهج الرسولﷺ في الدعوة بشكل عام وبين منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة الإسلامية،فكل من بحث في منهج الرسولﷺ كان بحثه ينصب على الدعوة بشكل عام.

ولهذا حاول الباحث تجاوز منهج السرد التاريخي للأحداث ، والاستفادة من المنهج التحليلي لان الغرض من الدراسة ليس نسخ كتاب من السيرة النبوية الشريفة بل محاولة البحث عن معالم المنهج النبوي في إقامة الدولة الإسلامية والبحث عما وراء هذه الأعمال من قواعد منهجية متناسقة أخرجت الدولة الإسلامية إلى الوجود لذلك سيرتكز البحث بصورة أساسية على منهج البحث التاريخي الاستقرائي التحليلي الموضوعي، من خلال تتبع مجريات الأحداث وتحليلها بما يخدم هدف الدراسة.

١- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي(ت٤٦٣هـ /١٠٧١م)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ / ج ٢، ص ١٦٢، رقم ١٤٩٣ فقد روى بسنده عن أحمد بن حنبل أنه قال: « ثلاثة كتب ليس لها أصول؛ المغازي والملاحم والتفسير »،وسيشار لاحقا ،الخطيب البغدادي،الجامع لاخلاق الراوي

تهدف الدراسة الى ما ياتي:

- محاولة بيان معالم المنهج النبوي في إقامة الدولة الإسلامية.

- كيف جسد الرسولﷺ منهجه كممارسات عملية بعد الهجرة إلى يثرب ؟

وبحدود علم الباحث لا توجد دراسة تاريخية متخصصة عالجت هذه الجزئية من سيرة الرسولﷺ بشكل مستقل ، لكن كانت هناك مباحث في أبواب لدراسات تطرقت ولو بشكل مجمل لهذا الموضوع ،ولعل دراسة ،محمد أمحزون المعنونة (منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة) [١]، تكون أقرب الدراسات زمناً ومضموناً لموضوع الدراسة، لكنها جاءت تعالج سير الدعوة كاملة ولم تجعل منهج الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية هدفاً للدراسة فجاءت بعض الخطوط والمعالم لطريق الرسول ﷺ في إقامة الدولة مبعثرة في ثنايا المباحث ،ومع مقارنة هذه المباحث بخطة الرسالة نجد أن الباحث قد سلك منهجاً مغايراً للمنهج الذي عالج فيها محمد أمحزون الموضوع.

وأيضاً كتاب صالح العلي (دولة الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة : دراسة في تكونها وتنظيمها) الذي تحدث عن دولة الرسولﷺ في المدينة ولم يتطرق إلى منهج تكوينها، ولكن كان كتابه منصباً على بيان تشييد الرسولﷺ للدولة في المدينة[٢] . وهذه الدراسات لم تجعل منهج الرسولﷺ هدفاً للدراسة، ولم تحاول استخراجه من سيرة الرسولﷺ.

لأجل ذلك كله كانت هذه الدراسة، وقد جاءت في مقدمة ومفاهيم مفتاحيه للدراسة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

١- أمحزون، محمد، منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة (المعرفة، التربية، التخطيط، التنظيم)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٢- العلي، صالح، دولة الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة : دراسة في تكونها وتنظيمها، ط.١، بيروت، لبنان : شركة المطبوعات، ٢٠٠١.

كان التمهيد في مفهوم الدولة عند العرب قبل الإسلام، واشتمل على الدول عند العرب و لقب اللقاح والحمس وأثره في فكرة الدولة.

أما الفصل الأول: فقد جاء في منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة (١)

ويشتمل مرحلة البناء والتكوين وتضم هذه المرحلة، تكوين الجماعة كطريقة لإقامة الدولة و مرحلة التثقيف ، وإعداد الجماعة و التثقيف في دار الأرقم بن أبي الأرقم و التفاعل مع المجتمع و موقف قريش العدائي ضد الجماعة الجديدة ورجالها و موقف صاحب الجماعة ورجالها من عدوان قريش عليهم.

أما الفصل الثاني : فقد جاء في منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة (٢)

ويشتمل على مرحلة طلب النصرة من القبائل لإقامة الدولة و عرض الجماعة نفسها على زعماء القبائل في سبيل طلب النصرة وانعقاد البيعة مع الأنصار على أقامة الدولة.

أما الفصل الثالث: فقد جاء في مرحلة إقامة الدولة في يثرب

ويشتمل على أوضاع يثرب قبل إقامة الدولة ،و خصائص يثرب التي أهلتها لتكون مقرا لدولة الرسولﷺ والنظام السياسي الجديد الذي جاء به الرسول ﷺ

أما الفصل الرابع: فقد جاء في التطبيقات العملية للدولة الإسلامية في عهد الرسولﷺ

ويشتمل على التطبيقات المادية لدولة الرسولﷺ ، والتطبيقات التنظيمية و العلاقات الخارجية. وأخيرا الخاتمة وما توصل إليه الباحث من نتائج.

وبعد: فهذا ما يسر الله من جهد متواضع، أقدمه بين يدي أساتذتي الكرام ، راجياً أن يسددوا ما فيه من خلل، ويقوّموا ما فيه من عوج، وأستغفر الله من كل خطأ وزلل، وهو ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين

تحليل المصادر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن من الأمور المسلم بها، أن الدولة الإسلامية تشكل جانباً مهمّاً من جوانب الحضارة الإسلامية. سواء كان ذلك في مجال الحكم، أو المال، أو الجانب العسكري، أو القضائي. ومع هذا، فإنه لم يكتب حتى ألان بحث شامل يكشف المنهج الذي سار عليه رسول اللهﷺ في إقامة الدولة الإسلامية التي نشأت في عهد الرسول ﷺ. وتزداد أهمية الدراسة إذا علمنا أن الممارسات والنظريات السياسية، في فترة الرسالة هي الأساس الذي قامت عليه التطبيقات العملية للدولة الإسلامية فيما بعد.

لم تكن الإحاطة بجوانب هذا البحث مهمة سهلة وميسرة؛ وذلك لأن الفترة التي تناولتها الدراسة كانت فترة مبكرة جداً، والدولة فيها تجربة جديدة أرست مجموعة من القواعد في شتى الميادين، وهذه الفترة هي فترة النشوء والتكوين، وأن معظم المصادر التي أخذت منها مادة البحث لم تكن معاصرة لتلك الفترة، بل كانت متأخرة عنها كثيراً، مما جعل هذه المصادر تتناولها معتمدة على الروايات، باستثناء ما ورد من إشارات في القران الكريم؛ إذ هو أهم المصادر وأوثقها، ولكون المصادر كتبت في فترة متأخرة، فإن مهمة الباحث في غاية الصعوبة؛ إذ عليه أن يكون حذراً في أخذ الروايات خشية تضارب الروايات وتناقضها.

ثم إن أغلب المصادر تهتم بالنواحي السردية من دون تحليل ولا توضيح، فتذكر أخباراً عن حياة النبي ﷺ وسيرته العطرة دون أن تشير إلى التأصيل للمنهج. أضف إلى ذلك تنوع المصادر التي تتناول هذه الفترة بين مؤلفات في الحديث والسير والتاريخ والتفسير والفقه والجغرافية والأدب، الأمر الذي يتطلب دراسة فاحصة للمصادر بأنواعها.

لقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على ما ورد في القران الكريم من توجيهات ربانية توضح منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة وتطبيق النظام السياسي الإسلامي الذي جاء به وعمل على تجسيده على ارض الواقع لبناء صرح دولة الإسلام ومجتمع الإسلام الخاص، ثم الحديث الصحيح معتمداً على كتب الصحاح ومبتعداً ما أمكن وحسب جهد الباحث عن الروايات القابلة للطعن، وأخذ الباحث من كتب التاريخ والسير ما يوافق هذا المنهج، ولم أستخدم المراجع الحديثة إلا في حالات قليلو وللتعرف على المصادر، أو للوقوف على وجهات النظر الحديثة إزاء بعض القضايا في فترة الدراسة.

إن البحث في منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة الإسلامية، في فترة التكوين يتطلب الرجوع إلى مصادر متنوعة، في طليعتها القران الكريم وتفسيره، والحديث وشروحه، والسير والتاريخ (الطبقات، التراجم، الأنساب) ، والفقه والأدب والجغرافية، وقد أفيد من هذه المصادر جمعيا وبدرجات متفاوتة، وبخاصة مصادر السيرة والتاريخ ومصادر التفسير والحديث والفقه.

١- كتب التفسير

أفاد الباحث من مصادر التفسير في توضيح كثير من الإشارات القرآنية التي وردت كقواعد عامةً لمنهج الرسولﷺ في إقامة الدولة وكانت الآيات القرآنية هي الفيصل للرسول بالانتقال من مرحلة لمرحلة في المنهج ، ولكن بقيت هذه الآيات عبارة عن إشارات عامة جاءت الأحاديث النبوية (القوليه والفعلية) لتفسير وتوضيح أحكام هذه القواعد؛ ولذا نجد أن المفسرين قد اعتمدوا كثيراً على الحديث النبوي وأقوال الصحابة- الذين عاصروا وشهدوا هذه الفترة- في تفسير الآيات، وقد أفد الباحث فوائد جمة من تفسير الطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٣م) ، والكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٨٨م) ، وتفسير الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م) ، والجامع لأحكام القران للقرطبي(ت٦٧٠هـ/١٢٧٢م) ، والدر المنثور للسيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٦م) .

٢- كتب الحديث

قدمت كتب الصحاح في الحديث معلومات رئيسية وقيمة أفادت في فصول الرسالة كلها، ولا سيما فصلي المنهج ومرحلة بناء الدولة، حيث اعتمد الباحث على الروايات الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ ، وكان المحدثون قد قاموا بدراسة سيرة الرسول ﷺووضعوها في كتبهم تحت باب سموه (المغازي والسير) أدمجوا فيها الأحاديث الموثوق بصحتها، والتي يمكن للمؤرخ الوثوق بصحتها والاعتماد عليها في دراسة الأحداث التي جرت في عصر الرسولﷺ وكانت أشهر المصادر التي اعتمد عليها البحث هي مسند الإمام أحمد (ت٢٤١هـ/٨٥٦م) ، وصحيح البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م) ، وصحيح مسلم (ت٢٦١هـ/٨٧٥م) ، وسنن أبي داود (ت٢٧٥هـ/٨٨٩م) وسنن ابن ماجه(ت٢٧٥هـ/٨٨٩م)،وصحيح الترمذي (ت٢٧٩هـ/٨٩٣م) ،و النّسائي (ت٣٠٣هـ/٩١٦م)
وأفاد الباحث أيضاً من شرح النووي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٨م) لصحيح مسلم . وشرح ابن حجر(ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) لصحيح البخاري في كتابه «فتح الباري» في فهم كثير من الأحاديث النبوية،

٣-كتب السيرة والطبقات

وكان لكتب السير والطبقات دور كبير في جميع فصول الرسالة، فكتاب الروض الأنف للسهيلي (ت٥٨١هـ/١١٨٦م) وهو شارح سيرة ابن هشام،والكتاب من نفائس الكتب إذ له استدراكات وإضافات وشروحات على سيرة ابن هشام في سيرته قدم معلومات وافية عن أحداث السيرة النبوية في فترتيها المكية والمدنية، وقد استفد الباحث منه في استنباط كثير من المعلومات المهمة التي تحيط بظروف قيام دولة الإسلام وتوضيح المنهج الذي سار علية الرسول في إقامة الدولة الإسلامية والاستشهاد بالنصوص الدالة على ما ذهب إليه الباحث ، وسياسة الرسول في الحكم وتطبيق الأفكار والأنظمة الإسلامية في المدينة المنورة.

وأفاد البحث من كتاب الطبقات لابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م) حيث قدم معلومات وافية عن أحداث السيرة في الفترة المكية، وفي المغازي، كما أن ابن سعد يشير إلى الوظائف الإدارية التي كان يشغلها الرجل الذي يترجم له، ومن خلال التفصيلات التي يذكرها في تراجمه للرجال تتضح مادته الغزيرة بالأخبار، والتي أوقفتنا على معالم الحياة العلمية، والسياسية، والاجتماعية، والعسكرية وغيرها، وابن سعد من تلاميذ الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م) ، وكان على اتصال برجال الحديث، وتقيد في طبقاته بأسلوب مدرسة الحديث في تدوين الأحداث، وإثبات الأسانيد المختلفة للمتون المختلفة.

٤- كتب التاريخ

وأخذ الباحث من تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٣م) في جميع فصول الرسالة؛ إذ إن الكتاب يعدّ من المصادر الأساسية، ولا غنى لكل باحث يكتب في التاريخ عنه، فلقد استفاد البحث كثيراً من النصوص التي ضمنها في حولياته، وكذلك أعطى معلومات قيمة عن هذه الفترة، مع ذكر أخبارها بالتفصيل، أما مصادره فهي متنوعة وغزيرة، وأهمها القرآن الكريم، والسنة النبوية، والسيرة والفقه، والشعر العربي. وتأثر الطبري بشكل كبير بعلم الحديث الذي استعمل الأسانيد، فيذكر الروايات المختلفة التي استوعبت سائر من سبقه من المؤرخين والرواة ويمتاز الطبري بأنه استطاع أن يربط بين هذه الروايات بشكل دقيق، إلا أنه لا يرجح بين الروايات، بل إنه أحيانا يقدم الرواية الأقوى سنداً قبل غيرها، ولكنه لا يتوانى عن إيراد جميع الروايات الأخرى المتناقضة، أو حتى غير المعقولة، ويترك القارئ ليواجه جميع الروايات ويتحرى بنفسه حقائق الأمور.

أما الأزرقي (ت٢٤٥هـ/٨٦٠م) مؤرخ مكة فقد قدم في كتابه «أخبار مكة» معلومات وافرة عن مكة وبشكل مفصل، وينفرد هذا المصدر بأنه يعدّ من أقدم المصادر التي وضعت في تواريخ المدن، أما أسانيده فهي موثوقة بشكل كبير فيما يتعلق بأخبار مكة بعد الرسالة، وهو يأخذ أخباره عن الزهري

وابن إسحاق ، أما ما يتعلق بأخبار مكة قبل الرسالة، فهي ليست بنفس درجة الأخبار الأخرى، وكثير منها يوردها من غير إسناد.

وكذلك أورد ابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ /٨٦٠م)في المحبر ، والمنمق أخباراً كثيرة عن مكة قبل الإسلام وبعده، ولا سيما فيما يتعلق ، بالأحلاف الموجودة، مثل: حلف الفضول والمطيبين، ويعطينا صورة جيده عن الحالة الفكرية التي كانت سائدةً في قبائل الجزيرة العربية والتي استند اليها الباحث في تفسير سبب مقاومة القبائل لفكرة الدولة وخاصة في لقبي اللقاح والحمس .

وقدم البلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٣م) في فتوح البلدان معلومات ذات قيمة كبيرة، وذلك بإيراده معلومات واسعة عن الفتوح. وأفاد البلاذري كذلك كثيراً من كتب الفقه والخراج، وهذا يفسر لنا كثرة معلوماته في النواحي المختلفة، وهو يستعمل الرواية في الأحداث والأخبار، كما يهتم بالأسانيد، ولكن ذلك لم يكن بصفة ثابتة ومستقرة، فنجده في بعض الأحيان يروي الخبر عن مجاهيل، فقد يروي عن جماعة لم يذكر أسماءهم فنجده يقول مثلاً: (حدثني فلان عن أشياخ من أهل الطائف) ، وهو من جهة أخرى يذكر الروايات بدون ترجيح، وأحيانا أخرى يرجح أو يضعف، وعباراته في نقد الروايات مختصرة، كأن يقول في عبارات الترجيح: «الأول أثبت» أو «ذلك أثبت» أو «الأول أصح وأثبت» ، والكتاب يعدّ من المصادر الأساسية في أخبار الأقاليم المفتوحة والتطبيقات العملية لأفكار الدولة الجديدة المتبعة فيها، ويعتمد بصورة أساسية على روايات الواقدي ثم الزهري.

وكذلك كتابي ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) «المقدمة»و«التاريخ» ، وكتاب السمهودي (ت٩١١ هـ/١٥٠٦م) «وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى» ، وغيرها من المصادر التي أفادت في فصول الرسالة المختلفة.

٥- الكتب اللغوية

وكان للمصادر اللغوية دور كبير في توضيح كثير من معاني الكلمات الغريبة أو المصطلحات المستعملة، فابن منظور(ت٧١١هـ/١٣١٢م) في «اللسان» ، والفيروز أبادي(ت ٨١٦هـ/١٤١٤م) في «القاموس المحيط»،والزّبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م) في «تاج العروس» ذكروا معاني وافية لبعض المصطلحات، مثل: الحزب، المنهج، وغيرها من المصطلحات المختلفة.

٦- الكتب الأدبية

أما المصادر الأدبية التي أفيد منها فتتمثل في عيون الأخبار لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ/٨٩٠م) والعقد الفريد لابن عبد ربه(ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) ،والأغاني للأصفهاني(ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) ، ونهاية الأرب للنويري ، فقد أفادت هذه المصادر بشكل خاص في فصل «مفهوم الدولة عند العرب قبل الإسلام » ،فأعطت معلومات جيدة عن القبيلة، وذكرت بعض المعلومات عن إدارة مكة ، ولكن يلاحظ على هذه الكتب أنها غير مسندة وتذكر كثيراً من المعلومات التي لا يقبلها العقل والمنطق.

هذا، وقد أفيد من بعض المراجع الحديثة بدرجات متفاوتة، إلا أن الرسالة اعتمدت في مجملها على المصادر الأولية.

أولاً:-المفاهيم المفتاحية للدراسة

إنّ تحديد معاني المصطلحات من الأهميّة بمكان بحيث إنّ إهماله قد يؤدّي إلى إجهاض كثير من الأبحاث والدراسات ، ذلك أنّ الدراسة الّتي تستخدم مصطلحاً ما أو مصطلحات عدّة من تلك الّتي قد تتعدّد أفهام القرّاء لها، تحتاج في بدايتها إلى توضيح المعنى المراد أداؤه من المصطلح المشكل حين يرِد في نصوصها، وإلاّ فإنّ القارئ سوف يعجز عن الوصول إلى مراد الباحث، الأمر الّذي سيحول دون أداء الدراسة هدفَها المطلوب، وربّما أدّى غموض المصطلح إلى أن يفهم القارئ معنى آخر غير الّذي أراده الباحث، وهذا ما لا يرضي هذا الأخير بحال من الأحوال.

وتزداد أهميّة توضيح المصطلح أكثر فأكثر كلّما تعدّدت المعاني والأغراض الّتي يعبّر عنها أهل المعارف والفنون والاختصاصات بواسطة ذلك المصطلح، وكلّما ازداد الخلاف حول تحديد معناه، وقد لا يجد اختيارُ صاحبِ الدراسة للمصطلح الّذي يستخدمه قبولاً لدى جميع القراء، إلاّ أنّ تحديد مدلوله سيؤدّي على الأقلّ إلى وقوف القارئ على مراد الباحث حين ورود المصطلح.

لهذا رأى الباحث بأنه من الضرورة بمكان تحديد منهجه في فهم المصطلحات وتوضيح مدلولاتها في هذه الدراسة، فاللغة العربية كسائر اللغات،وضعها العرب واصطلحوا عليها، وما دام قد اصطلح عليها العرب فطريق معرفتها هي أخذها عنهم، فإذا قالوا هم إن لفظ كذا موضوع لمعنى كذا، أو قالوا إن معنى كذا موضوع للفظ كذا فيُقبل قولهم ويسلَّم به ولا يناقَش لأنه لا يناقش في الاصطلاح. فعند استقراء علماء اللغة لألفاظها وجدوا أنها تدل على حقائق ثلاث: الحقيقة اللغوية الوضعية، والحقيقة اللغوية العرفية، والحقيقة اللغوية الشرعية،[١]

وهذه المعاني للألفاظ هي التي تستخلص منها معاني الكلمات، وهناك من المفسرين رتب أخذ

١- عبدا لله، محمد حسين، مفاهيم إسلامية ،ج٢، دار البيارق ، بيروت ،ط١ ،ج ٢ ،صفحة ٣، وسيشار لاحقا، محمد حسين ، مفاهيم إسلامية

هذه المعاني حسب ترتيب معين وأنا هنا أتبناه وهو أن تأخذ الكلمة على الحقيقة الشرعية فان لم يوجد لها معنى شرعي أخذت على الحقيقة العرفية أو اللغوية[١]

وبما أن المصطلحات الواردة في الدراسة كلها مصطلحات عربية فسأعتمد هذا الترتيب في تحديد المعنى للمصطلحات فان لم أجد معنى على الحقيقة الشرعية عمدت إلى الحقيقة العرفية واللغوية وهي التي ستخرج الدراسة من إشكالية المصطلحات ودلالاتها ويكون أخذ المصطلحات كما أخذها أهل تلك الحقبة الزمنية المستهدفة في هذه الدراسة.

ثانياً: مفهوم المنهج

المدلول اللغوي للكلمة :

بالعودة إلى قواميس اللغة نجد أن المنهج أو المنهاج يعني: الطريق الواضح، ونهج الطريق : وضح واستبان ، وصار نهجاً واضحاً بيناً[٢]

وفي القران الكريم :(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [٣]. أي طريقاً واسعاً واضحاً في الدين [٤]

والسنة أو السبيل التي تسهل على الإنسان السير نحو غايته دون زيغ أو انحراف [١] والمنهاج الخطة المرسومة [٢]،وعلى هذا الأساس يلاحظ أن المنهج يدور حول معنى أساسي هو: الطريق أو السبيل أو الخطة المحددة للوصول إلى غاية معينة [٣] ،

١- أبو الرشتة،عطاء خليل ، التيسير في أصول التفسير، دار الأمة ، بيروت ، ط٢ ، صفحة ٣٢. وسيشار لاحقا، أبو الرشته ، التيسير

٢- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت٦٦٦هـ /١٢٦٨م)، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ م ، ص ٦٨١ . وسيشار للاحقا، الرازي، مختار الصحاح

٣- سورة المائدة ، آية ٤٨ .

٤- الآلوسي،شهاب الدين محمود (ت١٢٧٠هـ /١٨٥٤م)،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م،ج٦،ص١٥٣،وسيشار لاحقا،الالوسي، روح المعاني .

واستناداً إلى منهجية أخذنا للمصطلحات فيكون الحقيقة اللغوية الوضعية هنا هي المدلول لمعنى المنهج ، وتماشياً مع أهداف البحث والتزاماته المنهجية يمكننا أن نعرف منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة الإسلامية بأنه: الطريق أو السبيل أو الخطة المرسومة التي سار عليها الرسول لإقامة الدولة الإسلامية. وهذا ما ستحاول الدراسة تتبعه من خلال آيات القران الكريم وسيرة الرسول ﷺ وتحديد معالمه وتتبع مراحله حتى وصل إلى إقامة الدولة إسلامية في يثرب

ثالثاً: مفهوم الحزب

المدلول اللغوي للكلمة :

من الفعل الثلاثي حَزَبَ ، و قد تعددت معانيها لغة ، فالحِزب الوِرد ، و منه أحزاب القرآن ، و الحزب أيضاً الطائفة ، و تحزبوا تجمعوا . [٤] والأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام . و حازَبَ القوم و تحزّبوا و صاروا أحزاباً و حَزّبهم جعلهم كذلك ، و حزّب فلان أحزاباً أي جمعهم .و في حديث ابن الزبير يريد أن يحزّبهم أي يقويهم و يشدّ منهم و يجعلهم من حزبه أو يجعلهم أحزاباً . [٥]

و حَزَبَ القوم جمعهم أحزاباً . و حازَبَه صار من حِزبِه نصره و عاضده . و الحِزب الجماعة من الناس ، جند الرجل و أصحابه الذين على رأيه[٦] و الحِزب : الأرض الغليظة الشديدة و

١- ابن كثير ، إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ /١٣٧٣م)تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم،٤ج،دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ ،ج٢،ص٥٨٨،وسيشار لاحقا،ابن كثير، تفسير ابن كثير.

٢- الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ /١٠٠٣م) ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ٦ ج ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ١ ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩ م، ج٢، ص٩٦٥،وسيشار لاحقا،الجواهري،الصحاح

٣- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي ، عالم الكتب، بيروت، ط١ سنة ١٣٩٩هـ ، ص١٩٥ .

٤الرازي، مختار الصحاح، ج ١ ، ص ٥٦ .

٥ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ /١٣١٢م) ، لسان العرب، ١٥ ج، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨ م، ج ١، ص ٣٠٩،وسيشار لاحقا، ابن منظور، لسان العرب .

٦- الآمدي، علي بن محمد(ت٦٣١هـ /١٢٣٤م)، منتهى السول في علم الأصول، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص ١٣١ ،وسيشار لاحقا،الامدي،منتهى السول

الجماعة فيها قوة و صلابة . و كل قوم تشاكلت أهوائهم و أعمالهم و حِزب الرجل أعوانه [١] فالحِزب يطلق و يراد به :الجماعة من الناس ذوي القوة،على مذهب سياسي عقائدي واحد . [٢] و من المرادفات لكلمة حزب : " طائفة و فرقة و عصبة و رهط وأحزاب و كردوس و فوج و ثلة و جماعة و ملأ و زمر و كتيبة و فيلق و نفر و زرافات و خميس و جيش و شرذمة " . [٣]

ووردت كلمة حزب في القرآن الكريم عشرين مرة، في ثلاث عشرة سورة ، في سبع عشرة آية من آيات القرآن الكريم [٤] ونورد هنا مثالا واحداً من القران الكريم مع عرض تفسيره لندرك مدلول هذه الكلمة عند أهلها ،قال تعالى : " أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " [٥] قوله تعالى : "أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " قال سعيد بن أبي سعيد الجرجاني عن بعض مشايخه ، قال داود عليه السلام : إلهي ! من حزبك و حول عرشك ؟ فأوحى الله إليه : " يا داود الغاضة أبصارهم ، النقية قلوبهم ، السليمة أكفهم ، أولئك حزبي و حول عرشي . [٦]

كما ذُكِرَ مصطلح حزب في القرآن الكريم ، كذلك ورد في السنة ، و لكثرة الأحاديث ، رأيت أن أذكر بعضها ، محاولاً جمع المعاني المختلفة التي وردت فيها .

١- هارون ، عبد السلام ، المعجم الوسيط ، مطبعة مصر،١٩٦٠ م ،ج١،ص١٧٠، وسيشار لاحقا،هارون،المعجم الوسيط

٢-البستاني،بطرس، قطرالمحيط، مكتبة لبنان- بيروت، نسخةطبق الأصل نقلاًعن طبعة١٨٦٩ م، ج١، ص ٢٩٣،وسيشار لاحقا، البستاني، قطر المحيط

٣- الطائي ، محمد ، الألفاظ المؤتلفة ، دار الجيل - بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ ، ج١ ، ص ١٦٢ .

٤- الجعبه، عبد الحميد . الأحزاب في الإسلام ، رسالة ماجستير ،غير منشورة ، ص ١٢٩

٥- سورة المجادلة ، آية ٢٢ .

٦ - القرطبي،محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ /١٢٧٣م) ، الجامع لأحكام القرآن ،٢٠ج، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ ، ج١٧ ، ص ٣٠٧، وسيشار لاحقا،القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن

فعن ابن أبي عديّ عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ يَقدم عليكم أقوامٌ هم أرقّ منكم قلوباً قال فقدم الأشعريّون فيهم أبو موسى الأشعريّ(ت٤٢هـ /٦٦٣م) فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون قائلين :   غداً نلقى الأحبّة محمداً و حزبه [١]

وفي حديث ابن عباس(ت٦٨هـ /٦٨٨م) و قوله لعائشة(ت ٥٨ هـ/ ٦٧٨م)و هي تحتضر :" أبشري يا أم المؤمنين فو الله ما بينك و بين أن يذهب عنك كل أذى و نصب أو قال وصب و تلقى الأحبّة محمّداً و حزبه أو قال أصحابه إلا أن تفارق روحك جسدك " [٢] .

وعن أبي هريرة(ت٥٧هـ /٦٧٧م) كان يقول" ثم لا يزال المؤمنون في الأرض إلى أن تقوم الساعة و ذلك أن رسول الله ﷺ قال : " لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله عزّ و جلّ لا يضرهم من خالفهم تقاتل أعداءها كلما ذهب حزب قوم، تستحرب قوم أخرى يرفع الله قلوب قوم ليرزقهم منه حتى تأتيهم الساعة كأنها قطع الليل المظلم " [٣] . ومن مجموع التعاريف السابقة نجد أن معنى حزب : جند الرجل و أعوانه و أصحابه الذين على رأيه [٤]

هذا وسيستخدم الباحث مصطلح الجماعة للدلالة على مفهوم الحزب اين ما ورد في الدراسة.

١- التميمي،محمد بن أحمد(ت٢٥٤هـ/٨٦٨م) ، صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط،١٨ج، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت،١٩٩٣م ،ج١٦، ص ١٦٤،وسيشار لاحقا،التميمي ،ابن حبان

٢- ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت٢٤١هـ /٨٥٦م)، المسند، ٦ ج ، بيروت، دار صادر والمكتب الإسلامي، د. ت،ج١ ، ص ٣٤٩ ، وسيشار لاحقا ، ابن حنبل، المسند

٣ – ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ٢٨ ج ، تحقيق: طه عبد الرؤوف واخرون، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م، ج٥ ، ص ٢٠٦، وسيشار لاحقا ، ابن حجر ، فتح الباري

٤- الآمدي ،منتهى السؤال ،ص ١٣١

رابعاً: مفهوم الدولة

المدلول اللغوي للكلمة :

ورد لفظ "الدولة" في القرآن الكريم في قوله تعالى:(كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) [١]، وقد اشتهر استعمال مفهوم الدولة في اللغة للدلالة على معنيين متقاربين: قال الكسائي: "الدُّولة في المال يتداوله القوم بينهم، والدَّوْلة في الحرب، وقال عيسى بن عمر: يكونان جميعاً في المال والحرب سواء"[٢]. وقال الجوهري"الدَوْلَةُ في الحرب: أن تُدالَ إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَوْلَةُ. والجمع الدُوَلُ. والدُولَةُ بالضم، في المال. يقال: صار الفَيْءُ دُولَةً بينهم يَتَداوَلونَهُ، يكون مرّةً لهذا ومرّةً لهذا، والجمع دُولاتٌ ودُوَلٌ"[٣]. وقال أبو عبيد: "الدولَةُ بالضم: اسمُ الشيء الذي يُتَداوَلُ به بعينه. والدَوْلَةُ بالفتح: الفعل. وقال بعضهم: الدُولَةُ والدَوْلَةُ لغتان بمعنىً. وأَدالَنا الله من عدوّنا من الدَوْلَةِ. والإدالَةُ: الغلبةُ. يقال: اللهم أَدِلْني على فلان وانصرني عليه. ودالَتِ الأيّامُ، أي دارت. والله يُداوِلُها بين الناس. وتَداوَلَتْهُ الأيدي، أي أخذَتْهُ هذه مرّةً وهذه مرَةً. وقولهم: دَوالَيْكَ، أي تَداوُلٌ بعد تَداوُلٍ". "وقد أَدَلْتُه وتَداوَلْنا الأمْر أخذْناه بالدُّوَلِ"[٤]. وقيل"الدولة بفتح الدال المهملة: بمعنى الإدالة وهي الغلبة"[٥]. وقال ابن منظور:"الدَّوْلة الانتقال من حال الشدَّة إلى الرَّخاء. ومنه حديث أَبي سُفْيان: وهِرَقْلَ نُدالُ عليه ويُدالُ علينا أَي نَغْلِبه مرة ويَغلبنا أُخرى"[٦]. وقال "الحَجّاج(ت٢٦١هـ /٨٧٥م): إنّ الأرضَ ستُدالُ مِنّا كما أَدَلنا منها أي نكون في بَطْنها كما كُنّا

١- سورة الحشر: اية ٧.

٢- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب(ت٢٤٤هـ /٨٥٩م)، إصلاح المنطق، تحقيق:أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٦،ج١، ص٣٥،وسيشار لاحقا،ابن السكيت، اصلاح المنطق

٣- الجوهري،،الصحاح ، ج١، ص ٢١٨

٤- ابن سيده، أبو الحسن علي بن علي بن إسماعيل(ت ٤٥٨هـ /١٠٦٦م)،المخصص، ١٧ ج ، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع عن مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٢١ هـ / ج١، ص٢٧٧،وسيشار لاحقا،ابن سيده ، المخصص

٥- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي(ت٩٤٢هـ /١٥٣٦م)،سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٦ ج ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م،ج٥ ، ص٣٠٩،وسيشار لاحقا،الشامي، سبل الهدى والرشاد

٦- ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٢٥٢

على ظَهْرها"[١]. وقال أيضاً: "يوشِك أن تُدال الأرضُ منا كما أُدِلْنا منها أي يُجعل لها الكَرَّةُ والدَّوْلة علينا فتأْكل لحومَنا كما أكلنا ثِمارها وتَشرب دماءنا كما شربنا مياهها. وتَداوَلْنا الأَمرَ أَخذناه بالدُّوَل"[٢].

يتضح من التعريفات اللغوية السابقة، أن كلمة دولة لا تخرج على احد معنيين. "المعنى الأول مرتبط بالاستخدام الذي ورد في القران الكريم، حيث استخدمت كلمة دولة بضم الدال للإشارة إلى الهيمنة الاقتصادية لفئة على فئة أخرى، بينما يرتبط المعنى الثاني بالاستخدام الذي أصبح شائعا في فترة لاحقة عندما استخدمت كلمة دولة بفتح الدال للإشارة إلى الهيمنة السياسية والعسكرية لفئة من فئات المجتمع على الفئات الأخرى.

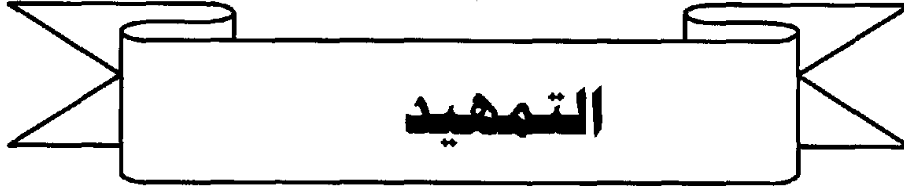
ومن خلال هذه التعريفات اللغوية وتمشياً مع خطة البحث نجد أن مفهوم الدولة التي تسعى الدراسة تبيانها هي غلبة فئة قوية في المجتمع لتصبح هي المسيرة له في علاقاته كلها اى ليصبح لها السلطان والحكم في المجتمع وهذا ما أراده الرسول ﷺ .

وعلى هذا الوصف تكون دولة الرسولﷺ هي غلبة فئة قوية،الأنصار والمهاجرين في يثرب على أفراد وأفكار وأنظمة ومشاعر المجتمع الجاهلي، ليسود أفراد و أفكار وأنظمة ومشاعر الإسلام وهي الدولة التي سعى إليها الرسول في مكة وجسدها في المدينة المنورة

---

١ – الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ /٧٩٢م)، العين، تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، مطبعة العاني،بغداد ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م، ج٢ ، ص١٢٦،وسيشار لاحقا، الفراهيدي، العين

٢– ابن منظور، لسان العرب، ج١١ ، ص٢٥٢



أولاً: مفهوم الدولة عند العرب قبل الإسلام.

ثانياً: لقب اللُقاح وأثره في فكرة الدولة

ثالثاً: لقب الحُمس وأثره في فكرة الدولة.

التمهيد:

أولاً: مفهوم الدولة عند العرب قبل الإسلام

قبل الخوض في منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة لا بد من الإجابة على تساؤل مشروع: ما هو موقف العرب قبل الإسلام عموما وقريش خصوصاً من فكرة الدولة؟

فالتطرق إلى البيئة التي عمل بها الرسول ﷺ من اجل إقامة دولته، أمر تفرضه مستلزمات الدراسة،وسيحاول الباحث الإجابة على هذا السؤال الذي طرحه كثير من المؤرخين الباحثين، عن تفسير مقنع لأسباب المقاومة الشرسة التي واجهها الرسولﷺ من قبائل شبه الجزيرة العربية وخاصة قريش –أهل مكة – لهذا الدين الجديد ودولته التي أراد الرسول ﷺ إقامتها في مكة وقضى ثلاثة عشر سنة من عمر دعوته ولم تحصل الاستجابة له،وهذا يقودنا إلى جدل علمي ساد بين كثير من المؤرخين حول تفسير سبب نشوء دولة الإسلام في المدينة المنورة وليس مكة فلقد تعددت النظريات حول أسباب نشوء دولة الإسلام في شبه الجزيرة العربية بين قوم لم يعرفوا الدولة الموحدة من قبل.

فمن الناحية السياسية، كانت شبه الجزيرة العربية مفككة، لا توحّدها دولة ولا تديرها حكومة،[١] فكانت القبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، فكانت مكة تُدار من قبل الملأ[٢] في دار الندوة،[٣] والمدينة المنورة في حالة نزاع دائم بين الأوس والخزرج، أما دولة المناذرة في الحيرة ودولة الغساسنة في جنوب بلاد الشام فقد سمح الفرس والروم للدولتين بالنشوء لتكونا حاجزين يصدان عنهما غزو القبائل العربية، وتتوليا حماية القوافل التجارية. وقد أسقط الفرس دولة المناذرة

١- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مكة المكرمة، نشر رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٠ م، ص١٩.وسيشار لاحقا، المباركفوري، الرحيق المختوم

٢-يمثلون زعماء الأسر، ورؤساء الأحياء، وأصحاب الرأي والمشورة للبت فيما يعرض عليهم من مشكلات.جوادالعلي،المفصل في تاريخ العرب،ج٤،ص٤٧

٣-العمري، أكرم ضياء ،السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، ط٢٠٠٥، ج١، ص٧٧-٨٢، وسيشار لاحقا، العمري، ،السيرة النبوية الصحيحة

سنة ٦٠٢م قبل البعثة المحمدية بثمانِ سنوات.[١] ولو أردنا الاطلاع على معرفة العرب لفكرة الدولة لا بد لنا من استعراض موجز لأبرز الدول التي عرفها العرب، وسيحاول الباحث إعطاء فكرة مختصرة عن الدول التي قامت عند العرب للتدليل أن العرب كانوا يعرفون الدولة لكن مفهومها وسيادتها لم ترسخ في مجتمع يتسم ميوله لروح القبيلة عند تكوينه .

الدول عند العرب قبل الإسلام:

١- جنوب الجزيرة العربية:

وجدت بعض الممالك في جنوب الجزيرة العربية ومع قلة المعلومات المعروفة عنها فإنها تعطي صورة عامةً عن وجود تنظيم سياسي في تلك المناطق، ومن أبرز تلك الممالك ما يلي:

مملكة معين: في شمال اليمن في الفترة (٦٣٠ - ١٢٠٠) ق.م.

مملكة سبأ: ظهرت في جنوب اليمن في الفترة (١١٥ - ٩٥٠) ق.م، وورثت مملكة معين مملكة قِتْبان[٢]: وهي دولة عربية جنوبية تقع في أقصى جنوب بلاد اليمن قامت في الفترة (١١٠٠ - ٢٥) ق.م تقريبًا، وقد عاصرت الدولة المعينية والسبئية.

مملكة حِمْير: ظهرت مملكة حمير في اليمن بين سبأ والبحر الأحمر وذلك بعد سنة (١١٥) ق. م ودامت مملكتهم حوالي ٦٤٠ سنة[٣].

٢- شمال الجزيرة :

مملكة المناذرة: هاجرت بعض القبائل العربية من اليمن واستوطنت في شمال شرقي الجزيرة العربية وامتدت للعراق ، وأنشأت دولة المناذرة التي اتخذت من الحيرة عاصمة لها، وقد حاول المناذرة تقليد

١- المباركفوري،الرحيق المختوم، ص٢٠-٢٥.

٢ - ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي(ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م)، معجم البلدان، ٥ ج ، بيروت، دار صادر، ودار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩ م،ج٤، ص٣١٠، وسيشار لاحقا، ياقوت الحموي، معجم البلدان

٣ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٤ ج ، ط ٧ ، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، ومكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤ م، ج١ ، ص٢٨ - ٣٠. وسيشار لاحقا،حسن ابرهيم، تاريخ الإسلام السياسي

حضارة الفرس فأحاط ملك الحيرة نفسه بمظاهر البلاط الفارسي.

مملكة الغساسنة: نشأت من القبائل التي هاجرت من اليمن واستوطنت في الشمال الغربي للجزيرة العربية في جنوب بلاد الشام على ماء اسمه غسان فسموا بالغساسنة، وتحالف الروم مع الغساسنة، كما تحالف الفرس مع المناذرة، وكانت دولة الغساسنة تحكم بخليط من العادات العربية والقانون الروماني[١].

٣- بلاد الحجاز :

لم يكن للعرب في بلاد الحجاز نوع من الحكومات المعروفة الآن، ولم يكن لهم قضاء يحتكمون إليه، أو جهاز أمن يقر النظام ويحافظ عليه، ولا حتى جيش يدرأ عنهم الأخطار الخارجية، ولم يكن ثمة سلطة تضرب على أيدي المعتدين، وتوقع العقاب على المجرمين. وإنما كان الرجل المُعْتَدَى عليه يثأر لنفسه بنفسه، وعلى قبيلته أن تشد أزره[٢].

وقد وجد في مكة نوع من الوظائف التي لم تكن موجودة في بلد من البلاد العربية وذلك لمركزها الديني بين البلدان، ووفود الحجاج إليها من كل مكان، حصرها بعض الباحثين في ستة عشر وظيفة منها: الحجابة والسقاية والرفادة. واعتبروها نوعاً من أنواع السلطةالسياسية، والأقرب أنها وظائف شرفية تتطلبها طبيعة البلاد وظروف الحجاج، وليست نوعاً من أنواع السلطة السياسية. ومما يؤكد الفراغ السياسي الذي كانت تعيشه بلاد الحجاز ما حصل عندما جاء أبرهة الأشرم(ت٥٧٠م) لهدم الكعبة فخرج له عبد المطلب فسأله أن يرد عليه إبله ولم يناقشه في مصير مكة وأهلها[٣]، واختلاف أهل مكة في وضع الحجر الأسود عند تجديد بناء الكعبة ولو كان هناك

---

١ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي ، ج١ ، ص٣٩.

٢حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي ، ج١ ، ص٥٢- ٥٣.

٣-ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير(ت ٧٧٤هـ١٣٧٣م)،البداية والنهاية، ٨ ج، بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٩٨هـ،١٩٧٨ م، ج٢،ص١٧٠ – ١٧٦.وسيشار لاحقا، ابن كثير، البداية والنهاية

ثمة سلطة سياسيةً في البلاد لكانت هي المرجع في مثل هذه المشكلة[١].

ولكن هذه القبائل العربية عرفت نوعاً من الممارسات شبه السياسية مثل الأحلاف والجوار، والأحلاف جمع حلف وهو في الأصل المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والتناصر[٢].

وأحلاف الجاهلية منها ما هو على الخير كحلف الفضول الذي تعاقدت فيه بطون من قريش في دار عبد الله بن جدعان على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا إلاّ قاموا معه حتى تُرد عليه مظلمته. ومنها ما هو على الشر، كتحالف بطون قريش على حصار النبي ﷺ وأصحابه وبني هاشم في شعب أبي طالب، فما كان منها على الخير؛ فقد زاده الإسلام توثيقًا، وما كان منها على الشر؛ فقد أبطله الإسلام ونقضه. وأما الجوار فهو الحماية والمنعة للمستجير[٣] .

وكانوا في الجاهلية بعضهم يجير على بعض، ولا يحب أحدهم أن تسمع العرب أنه أخفر في رجل عقد له[٤] ولم يكن الجوار في الجاهلية مقصورًا على الحماية من الظلم، بل تعدّى بهم الأمر إلى إجارة الظالمين وهو ما حرَّمه الإسلام وتوعّد فاعله بالعذاب[٥].

ولقد كانت قبائل العرب قبل الإسلام متفرقة متناحرة، كما أخبر المولى سبحانه عنهم ممتنًّا على رسوله ﷺ بقوله:(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [٦]. هكذا كانت الحال بين الأوس والخزرج في المدينة ولم تكن بقية قبائل العرب بعيدة عن هذا الواقع، فقد كانت قلوبهم شتى، تثور الحروب بينهم لأتفه الأسباب ومن

١-ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام(ت٢١٨هـ /٨٣٣م)، السيرة النبوية، ٢ ج ، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، ١٩٥٥ م، ج١، ص١٩٢،وسيشار لاحقا، ابن هشام، السيرة النبوية

٢- الزبيدي، محمد مرتضى(ت ١٢٠٥هـ /١٧٩١م)، تاج العروس، ١٠ ج ، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع،١٩٦٦ م ج٤، ص٧٥،وسيشار لاحقا،الزبيدي، تاج العروس

٣- ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٥٤.

٤- الطرهوني، صحيح السيرة النبوية، ج١،ص١١٣.

٥- العيد،قاسم سليمان ،النظام السياسي في الإسلام ، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٣هـ ،ص٣٢. وسيشار لاحقا،العيد،النظام السياسي في الاسلام

٦- سورة الأنفال، اية٦٣

ذلك حرب البسوس: بين قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل. دامت أربعين سنة بسبب ناقة،وحرب داحس والغبراء: بين عبس وذبيان بسبب سباق بين فرسين[١]، دامت نحو ٤٠ سنة.

وأيام الفجار: وهي حروب وقعت في الأشهر الحرم بين قبائل من عرب الحجاز قبل مبعث النبي ﷺ بست وعشرين سنة[٢].

والملاحظ أن العرب كانوا يعرفون مفهوم الدولة ولقد شهدوها وتعاملوا معها ومع ذلك نجد أن عرب الجزيرة كرهوا فكرة الدولة و لم تنتشر فيهم فكرة إنشاء دولة، بل كانت أي محاولة لإنشاء دولة في شبه الجزيرة العربية تواجهه وتحارب الفكرة ابتداء ، وهذا ما سيعالج الباحث بعض أسبابه، وهذا يعطينا صورة عن الصعوبات التي واجهت الرسولﷺ في إقامة الدولة بين مجتمع يرفض فكرة الدولة ويحاربها .

لقد نهج المؤرخون لتفسير ظهور دولة الإسلام بردها لعوامل مختلفة، بين مفسر لها اقتصادياً واجتماعياً ، من غير إيراد براهين مقنعه تجعل الباحث يميل إلى احد منها ، مع عدم إنكار دورها وأهميتها ، ولهذا يجب التعمق في تفسير الصعوبات والمعوقات التي واجهت الرسول ﷺ في إقامة دولته في شبه الجزيرة العربية وتفسير رفض أهل مكة لهذه الدولة وقبول أهل يثرب لها. ويبدو أن البناء الفكري لهذه القبائل كان له الأثر الأبرز في مقاومتهم لفكرة الدولة فالناحية الفكرية لهذه القبائل هي التي تعطينا إشارات وبراهين لرفض أهل مكة لفكرة الدولة وقبول يثرب لها، ولهذا سيتم التركيز في هذا الفصل على صفات أهل مكة ومن جاورها من القبائل التي يبدو أن لهذه الصفات اثر أصيل في تشكيل عقلية ونفسية القبائل العربية التي كانت مسرحا لإقامة الدولة فيها وشهدت المقاومة والرفض الشديد لفكرة الدولة والانقياد لصاحب هذه الدولة محمد ﷺ .

١- ابن هشام، السيرة النبوية ،ج١، ص٢٨٦.

٢-ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت ٦٣٠ هـ /١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، ١٣ ج ، بيروت، دار صادر، ١٤٠١ هـ، ١٩٨٢ م، ج١، ص٣٨٤ – ٣٨٧.وسيشار لاحقا،ابن الأثير، الكامل في التاريخ

ورغم تفسير ابن خلدون(ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦م) لسبب عدم قدرة العرب في شبه الجزيرة العربية على تشكيل دولة بقوله: " أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم" لكونهم " أكثر بداوة من سائر الأمم، وأبعد مجالاً في القفر، ولاعتيادهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لإيلافهم ذلك وللتوحش" ولا يسوسهم إلا من كان عالما بطبعهم وكان من عصبيتهم"[١]

رغم هذا التفسير المقنع لابن خلدون لكنه لا يعطينا تحليل منطقي لتكون هذه الصفات في القبائل العربية فهو أعطانا النتيجة ،ونحن نريد الإجابة على السؤال الأساس لماذا هم على هذا الحال ؟

وعند النظر لصفات القبائل العربية القاطنة في شبه الجزيرة العربية ومحاولة التعرف على بنائها الفكري ويبدو إغفال بعض من المؤرخين لهذا العامل في تفسير ظهور الدول واندثارها فلا بد من التعرف على البناء الفكري لقبائل الجزيرة العربية فهذا يعطينا المؤشر الحقيقي لمقاومتهم فكرة الدولة وبشراسة ،وبالرجوع لأهم صفات القبائل العربية التي تعطينا مظاهر البناء الفكري لهذه القبائل، نجد أن القبائل التي عمل فيها الرسول ﷺ كانت تتصف بمجموعة من الصفات الراسخة في وجدانها الفكري وهما، لقبان أساسيان اتصفت بهما هذه القبائل لأثرهما في بناءها الفكري وهما : اللَّقاح و الحُمْس ولهذا سنحاول التعرف عليهما بالتفصيل .

١ – ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت، ص٧٥، وسيشار لاحقا، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون

ثانياً: لقب اللّقاح وأثره في فكرة الدولة

فهو مصدر قولك لقحت الناقة إذا حملت واستبان حملها، وقيل استبان لقاحها[١]

واللقاح: ما تلقح به النخلة من الفحال[٢] فيقال: القح ألقوم النخل إلقاحاً، ولا يقال [لقحتها][٣]. وجاء في قوله تعالى {وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين} [٤]، والريح تلقح السحاب فيقال الريح لاقح[٥]، وقال تعالى{ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا } [٦]، لأن الرياح حوامل تحمل الماء وتقلبه وتصرفه. وقيل قوم لقاح وحي لقاح وهم الذين لم يدينوا للملوك فهو مشتق من لقاح الناقة لأن الناقة إذا لقحت لم تطاوع الفحل[٧]. وذكر أن اللقاح مأخوذ من قولهم لقحت الحرب بين القوم وقال محمد بن إياس بن بكير حليف بني عدي بن كعب[٨]:

لقحت حرب عدي عن جبال　　　فرحى حربهم اليوم تدور

وفي نفس المعنى قال زهير بن أبي سلمى[٩]:

إذا لقحت حرب عوان مضرة　　　ضروس تهر الناس أنيابها عصل

١– بن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٨٣

٢– الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود(ت ٥٨٣ هـ /١١٨٨م)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، ص٥٧٠ ،وسيشار لاحقا،الزمخشري، أساس البلاغة.

٣ –ابن سيده، المخصص ، ج ٣، ص ١٠٩.

٤– سورة الحجر، الآية ٢٢

٥– الجاحظ، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ /٨٦٩م)،رسائل الجاحظ، جمع: حسن السندوبي، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٣٣ م ، ج ٤، ص١٥٨.وسيشار لاحقا،الجاحظ ، رسائل الجاحظ

٦– سورة الأعراف، الآية ٥٧.

٧- ابن منظور، لسان العرب، ، ج ٣، ص٣٨٥

٨– ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو(ت ٢٤٥هـ /٨٦٠م)، المنمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد، ط ١، حيدر أباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م ،ص٣٨٥،وسيشار لاحقا، ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش

٩– ابي سلمى ،زهير (ت٦١٥م) ، ديوان زهير بن ابي سلمى ، جمع الامام الشيباني ، مطبعة الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤م، ص١٠٣.وسيشار لاحقا، زهير بن ابي سلمى، ديوانه

وقد أطلق لقب اللقاح على القبيلة المستقلة في علاقتها مع الملوك والتي لا تدين لهم ولا تواثقهم ولا يوجد بينهم وبينها ميثاق[١]، ولا تؤدي الطاعة لهم، أي إنهم يرون أنفسهم بأنهم يكافئون الملوك ويماثلونهم مما يضطر الملوك إلى محاربتهم فيرد اللقاح عليهم بالمثل

وقال عمرو بن حوط بن سلمة اليربوعي في وصفهم[٢]:

لعمر أبيك والأنباء تنمي   لنعم الحي في الجلى رياح[٣]

أبو دين الملوك فهم لقاح   إذا هيجوا إلى الحرب أشاحوا

فهم مستقلون في علاقاتهم مع الملوك أي أنهم قد استغنوا بما عندهم من العز عن غيرهم فهم لا يقدمون أي إتاوة خضوع[٤] إلى الملوك القريبين، وقال عنهم الشاعر[٥]:

وقلتم لقاح لا نؤدي إتاوه

وهذا الواقع يفسر لنا البناء الفكري لدى هذه القبائل وأنفتهم من أن يسودهم احد ، لذلك كانوا من اشد القبائل رفضا للانقياد والانصياع لفكرة الدولة وما يؤكد هذا ما ذكره ابن حبيب(ت ٢٤٥ هـ /٨٦٠م) عن قبيلة مضر «كانوا لقاحاً لا يدينون للملوك إلا بعض تميم من كان باليمامة وما صاقبها»[٦]. وقد صنف أبو البقاء المزيدي(٥٢٠هـ/١١٢٦م)، القبائل في علاقاتها مع ملوك الحيرة خاصة إلى ثلاث مجموعات[٧]:

١- ابو البقاء، هبة الله (ت٥٢٠هـ /١١٢٦م)، المناقب المزيدية في الملوك الاسدية، تحقيق: صالح موسى درادكة ومحمد عبدالقادر خريسات، مكتبة الرسالة ،عمان: ١٩٨٤م،ج ٢، ص. ٣٦٩.وسيشار لاحقا،ابو البقاء، المناقب المزيدية

٢- الزبيدي، تاج العروس، ج ٧، ص٩٢.

٣- الجاحظ، ،رسائل الجاحظ، ج ١، ص١٧٨.

٤- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت،ط١، ١٩٦٩م، ج٤، ص ٣١١.

٥- الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١، ص١٨٧.

٦ . ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن (ت ٢٤٥هـ /٨٦٠م)،المحبر ، تصحيح: إيلزه ليختن ستيتر، بيروت، منشورات الافاق الجديدة، د. ت، ص٢٥٣،وسيشار لاحقا،ابن حبيب، المحبر

٧- ابو البقاء، ، المناقب المزيدية ، ج ٢، ص ٣٦٨

أ- القبائل التي لا تدين لهم ولا تواثقهم أي أنهم لقاح، وهم أسد وغطفان، وقريش، وعامر بن صعصعه. [١]

ب- القبائل التي لا تدين لهم بل تواثقهم وتهادنهم ولا تقوم بغزوهم عندما تسكن في المناطق التي تكون تحت سيطرتهم، وعندما ترحل هذه القبائل وتترك أراضيهم وتصبح بعيدة عن سيطرتهم يمتنعون عن الخضوع إليهم، وهم هوازن، وسليم، وبعض بطون بكر بن وائل.

ج- القبائل التي تدين لهم وتعطيهم الإتاوة، وهم ربيعة، وبعض بطون تميم. ولكنه لم يذكر لنا علاقة هذه القبائل بالغساسنة أو ملوك كنده.

كما أن هذا التصنيف لم يبقى مستقراً وثابتاً حيث تحاول بعض القبائل أن تتحرر من ارتباطها بملوك الحيرة كما يحاول ملوك الحيرة من جانبهم بسط نفوذهم وكسب طاعة القبائل المستقلة لهم، فقد ذكر أن أحد ملوك الحيرة أرسل إلى زعماء من بني أسد وطلب منهم تقديم الطاعة له وقال لهم «ما يمنعكم من الدخول في طاعتي وأن تذبوا عني كما ذبت تميم وربيعة»[٢]، ولكنهم رفضوا ذلك وقالوا له: نحن قريبون منك ومتى أردتنا أجبنا طلبك، فلم يدخلوا في طاعته فأدى موقفهم هذا إلى فقدان حياتهم لأنهم رفضوا الانصياع لأوامره والدخول في طاعته فحافظوا على موقفهم المستقل[٣].

كما أن عمرو بن هند(ت٥٦٩م) أرسل إلى حصن بن حذيفة الفزاري وطلب منه أن تدخل غطفان في طاعته، وقال له «إنني ممدك بخيل فادخل مملكتي واجعل لك ناحية من الأرض»[٤]، فأجابه حصن "ما كنت قط أفرغ لحربك مني الآن ولا أكثر عدة، فإن كنت لا يكفيك ما جرب[٥] أبوك

١- أبو البقاء، المناقب المزيدية ، ج ٢، ص ٣٦٩.

٢- كستر، م. ج.، الحيرة، ملاحظات في علاقاتها، ترجمة خالد العسلي، بحث منشور في مجلة "بين النهرين"، بغداد، ص ٢٥٩.وسيشار لاحقا،كستر،الحيرة

٣- الدخيلي، مهدي عريبي حسين، بنو أسد ودورهم في التاريخ العربي والإسلامي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعةالبصرة، ١٩٩٥، ص١٨٢.

٤- زهير بن أبي سلمى، ديوانه، ص١٢٤.

٥- زهير بن أبي سلمى، ديوانه، ص١٢٤.

فدونك لا تعلل، فإنه ليس لي حصن إلا السيوف والرماح"[١]، ثم أقبل حصن بالحليفين أسد وغطفان ونزل زباله يريد قتال عمرو بن هند(ت٥٦٩م) ولكنه انصرف بعد ذلك ولم يقاتله.

ونستنتج من كل ذلك أن القبائل العربية كانت دائما تحت مراقبة الدول المجاورة لها كملوك الحيرة والغساسنه وطبعاً من ورائهم الفرس والرومان لمحاولة بسط نفوذهم عليها، وان القبائل العربية كانت واعيةً على الأطماع الدولية التي كانت تتربص بها وأنها قاومتها بشده لدرجة الموت كما حصل مع بني أسد.

ورغم هذه المقاومة الشديدة لفكرة الدولة إلا أنها كانت في بعض الأحيان محاولات الدول المجاورة اشد من أن تقاوم فعلى سبيل المثال أن قبيلة أسد وغطفان لم تحافظا على استقلالهما دائماً ولكنهما دانتا إلى مملكة كندة في حقبة زمنية معينة وأصبحتا خاضعتين لها عندما ولى الحارث الكندي(ت٥٢٨م) ابنه حجر عليهما[٢]،ولكنه عندما أساء السيرة في قبيلة بني أسد خرجوا عليه وقتلوه[٣].

ولم تكن مكة بمنأى عن هذه المحاولات ولكنهم كانوا اشد الناس مقاومة لهذه المحاولات وهذا ما تفسره لنا بعض النصوص التي قيلت رداً على محاولات فرض هيمنة الدول المجاورة على مكة،فلقد حاول ملوك الحيرة في زمن حكم الحارث الكندي، مد نفوذهم إلى مكة وفرض سيطرتهم عليها، ولكن عبد مناف جمع عشيرته وأخبرهم برفضه الخضوع إليهم[٤].

ولو أردنا تفسير هذا الموقف الحازم من قبل زعماء قريش ضد فكرة الخضوع لدولة، لوجدنا هذه الأسباب مجموعة في البناء الفكري والنفسي لدى قريش،فقريش" أوسط العرب بيتاً وأطولها عماداً

١- زهير بن أبي سلمى، ديوانه، ص.١٢٤

٢- ابن حبيب، المحبر ، ص٣٦٩

٣- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ ،٩٦٧م) ، الأغاني، ٢٣ ج ، ط ٢ ، بيروت، دار الثقافة، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م ، ج٢، ص٨٥، وسيشار لاحقا، الاصفهاني، الأغاني

٤- كستر، الحيرة ملاحظات في علاقاتها، ص ٢٣٤.

وأثبتها أوتاداً وأشجعها أصلاً وأنظرها عوداً وأبسقها فرعاً، وكانوا قبل الإسلام يسمون أهل الله وسكان الله وأهل الحرمة" [١] وأنهم لقاح لم يدينوا إلى ملك[٢]، وهذاماجسدها الزبرقان(ت٤٥هـ١٦٦٦م) شعراًً ذكر فيه أن قريش لقاح[٣].

أتدري من هجوت أبا حبيب سليل خضارم سكنوا البطاحا

أزاد الركب تذكر أم هاشماً وبيت الله والبلد اللقاحا

كما أنهم قد عارضوا تتويج عثمان بن حويرث ملكاً على مكة[٤] لوجود علاقة له مع ملوك الغساسنة وخوفاً من امتداد تفوذهم إلى مكة فقام الأسود بن المطلب أبو زمعة وصاح والناس في الطواف "إن قريشاً لقاحاً لا تملك"[٥].

وبهذا أفشلوا خطة عثمان والغساسنة من ورائه للسيطرة على مكة وحافظوا على استقلالهم.

فقبيلة هكذا ترى نفسها، وهذه أوصاف استقرت في وجدانها يستحيل أن تتقبل زعامة عليها، وهذا ما سنجده من مقاومة على فكرة بناء دولة الرسولﷺ .

وبهذا فإن لقب اللقاح الذي تَمّ إطلاقه على بعض القبائل والذي يعني استقلالها وعدم خضوعها لسيطرة ملك أو دولة لا يبقى طويلاً وإنما تفقده في حقبة زمنية معينة اضطراراً، ولكن متى سنحت لها الفرصة تحاول أن تعيده عندما تشعر بوجود وهن أو ضعف في حكم تلك الدولة وبإمكانها أن تخرج عن الطاعة وعدم تأدية الضريبة لأنها ترى في نفسها أنها تملك مؤهلات تساعدها على

١- ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش ، ص ١٠.

٢- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني(ت٣٤٠ هـ ،٩٥٢م)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق، دي خويه، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٠٢ هـ، ١٨٨٥ م ، ص، ١٨.وسيشار لاحقا،ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان

٣- كستر، مكة وتميم ومظاهر علاقاتهم، ترجمة يحيى الجبوري، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٧.

٤- ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش ، ص ١٧٨.

٥- أبو البقاء، المناقب المزيدية ، ج ١، ص١٦٩.

استقلالها والانفراد بنفسها وهذا ما شهدناه بعد وفاة الرسولﷺ من محاولة القبائل العربية الخروج من طاعة دولة الإسلام ورفض دفع الزكاة بما سمي حروب الردة .

وهذا يفسر لنا المعارضة الشديدة التي واجهها رسول الله محمد ﷺ في إقناع قبائل العرب القبول بفكرة الدولة بسبب الموروث الفكري لدى هذه القبائل من عدم الانصياع لدولة.

فكل قبيلة منها ترى في نفسها اشرف وأعلى من أن تنقاد لأحد فكان هذا العامل الفكري لدى قبائل العرب عائقاً في ظهور دولة الإسلام في مكة، فكما رأينا أن قبائل مكة وخاصة قريش كانت تبرز فيها صفة اللقاح،وهو ما منعها من القبول بفكرة الدولة .

وسنحاول ألان التعرف على اللقب الثاني الذي ساهم بشكل كبير في تشكيل شخصية هذه القبائل وهو لقب الحمس وما كان يحمل في طياته من تعصب أعمى للدين .

والذي شكل حاجزاً منيعاً أمام أفكار الدين الجديد ودعوته ، وهو يعطينا أيضاً إطلاله على عبادة هذه القبائل وحياتها الدينية والتي كانت لها اثر أساس في تشكيل الشخصية العربية قبل البعثة المحمديه.

ثالثاً: لقب الحمس وأثره في فكرة الدولة

الحُمْس، والأَحَامس، والأحماس: جمع؛ ومفرده: الأَحْمَس، وحَمِسَ الأمر حَمْسا. وللحُمْس معنيان: المعنى الأوّل: " المتشددون في الدين، إذ كانوا يقفون بنمرة، وباقي القبائل بعرفة، ويلتقون بمزدلفة للإفاضة [١]، ويطوفون حول البيت بملابسهم، ويطوف غيرهم عرياناً"[٢]،لاعتقادهم أن هذه الثياب قد اقترفت فيها الذنوب، وعصوا الله فيها، ويسمون تلك الثياب التي نزعوها بـ[اللقيّ] [٣]، وينطبق نزع الثياب على الرجل والمرأة على السّواء[٤]، وتطوف المرأة وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله   ومابدا منه فلا أحله[٥]

ومن مظاهر التشديد في الدين: أن الحمس يحرمون على أنفسهم أكل الطيبات من الرزق، فلا يذوقون السمن والزبد واللحم وغير ذلك، ولا يأكلون من نبات الحرم، إذا أرادوا الحج ماداموا حرماً. ولا يلبسون ما صنع من الوبر والشعر، فلا يغزلون، ولا ينسجون، وإنما كانوا يكتفون أن يجلسوا بظل الأدم. ولا يظلمون في معاملتهم مع غيرهم، ولا ينقضون الميثاق، ولا يخفرون الذمة ماداموا في الأشهر الحرم. التي كانوا يعظمونها ويتقيدون بحرمتها، وكانوا يقيمون في الحرم، ويرون في أنفسهم بأنهم طبقة الحُمْس، فيقولون: نحن أهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف العرب مثل ما نعرف[٦]".

وإذا أرادوا متاعاً أو طعاماً من بيوتهم، فلا يدخلونها من أبوابها وإنما يأتون من ظهورها، ويحرمون المرور من الباب أو تجاوزه من الأسكفة، ويعملون أعمالاً لم تكن العرب تحرمه أو تمنعه

١- الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ ،٨٦٥م)، أخبار مكة، ج ١، بيروت، مكتبة خياط، د.ت، ج١،ص١٢١ ،وسيشار لاحقا،الأزرقي، أخبار مكة

٢- ابن حبيب، المحبر ، ص١٨٠ ومابعدها

٣- الأزرقي ، أخبار مكة، ج١،ص١١١.

٤- ابن هشام ، السيرة النبوية، ج١، ص١٣٣ .

٥- الأزرقي ، أخبار مكة، ج١، ص١١٧.

٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٣٨.

عن نفسها[١]؛ وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجل منهم بالحج، فإن كان من أهل المدر . يعني أهل البيوت . نقب في ظهر بيته، فمنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه. وإن كان من أهل الوبر . يعني من أهل الخيام . يدخل من خلف الخيمة، إلاّ من كان من الحُمْس[٢]".

المعنى الثاني: الشجاعة والمنع والمحاربة. وفي الحديث: "أما بنو فلان فَمُسَك أحماس[٣].

أي شجعان؛ وفي حديث عرفة: "هذا من الحمس"[٤]، أي من الشجعان. وقال الزمخشري(ت ٥٨٣ هـ /١١٨٨م): "وقعوا في هند الأحامس ... وبنو هند قوم من العرب فيهم حماسة، ومعنى إضافتهم إلى الأحامس إضافتهم إلى شجعانهم أو إلى جنس الشجعان وإنه منهم." [٥].

وقال رؤية[٦] (ت١٤٥هـ ٧٦٣١م):

وكاهلاً ذا بركة هروساً   لاقين منه حُمَسا حَمِيسا

وفي حديث عمر رضي الله عنه، ذكر الأحامس أي الشجعان[٧]؛ ونجدة حمساءَ أي شجاعة، وقال:

بِنَجْدَةٍ حَمْسَاءَ تُعْدِيْ الذِّمْرا[٨]

---

١ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/٨٩٠م)، المعاني الكبير في أبيات المعاني،تحقيق عبدالرحمن بن يحيى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤ م، ج٢،ص٩٩٨.وسيشار لاحقا،ابن قتيبة،المعاني

٢ القرطبي . الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٧٢٠ .

٣ ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٥٧.

٤ ابن منظور، لسان العرب،ج٦،ص٥٨

٥ الزبيدي ، تاج العروس، ج٤، ص١٣٢.

٦ هو ابن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي المتوفى عام ١٤٥هـ شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وهو شاعر راجز من الفصحاء المشهورين

٧ ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٥٨.

٨ ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٥٨.

والمعنيان المتقدمان يدلان على الشدة؛ فالتشدد في الدين قوة، والتشدد في المحاربة شجاعة وتهور. وفي قبائل الحمس . التي اختلف في عددها . كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم وهم: قريش ومن ولدت قريش(كلاب، كعب، عامر،كلب بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، الحارث بن عبد مناة بن كنانة، مدلج بن مرة بن عبد مناة، عامر بن عبد مناة، مالك، ملكان، ثقيف، عدوان، يربوع بن حنظلة، مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، علاّف، جناب بن هبل من كلب) [١]

ثم بعد قريش كنانة، جديلة قيس[٢]، ويضيف الأزرقي إلى هؤلاء: خزاعة، الأوس، الخزرج، جشم، بني ربيعة بن عامر بن صعصعة، أزد شنوءة، جذم زبيد، بني ذكوان من بني سُلَيْم، عمرو اللات، ثقيف، غطفان، الغوث، عدوان، علاّف وقضاعة؛ وفي رواية: قريش، كنانة، جديلة قيس، لهم، عدوان، ثقيف، وعامر بن صعصعة[٣]؛ وعند ابن سعد(ت ٢٣٠هـ ،٨٤٥م): قريش، كنانة، خزاعة، ومن ولدته قريش من سائر العرب[٤]" وعند ابن هشام(ت ٢١٨ هـ /٨٣٣م) وغيره: قريش، كنانة، خزاعة، ثقيف، خثعم، عامر بن صعصعة، ونصر بن معاوية[٥]، وعند ابن حبيب وغيره، فهم يبدأون بقريش ويعتبرونها الأصل، ويعدون من ولدت، ويذكرون أمهاتهم[٦].

وإذا عدنا إلى الروايات المتقدمة، والاختلاف فيما بين الأسماء لوجدنا القبائل التالية تتكرر في كل رواية، أو في أغلبها وهي: قريش، كنانة، جديلة، خزاعة، عامر بن صعصعة، ثقيف، خثعم، الحارث بن كعب، وهكذا يتبين أن الحمس أصلهم وأغلبهم من قريش، ومن الذين كانوا يسكنون

---

١. ابن حبيب ، المحبر،ص ١٧٨

٢- الزبيدي ، تاج العروس،ج٤، ص١٣٢

٣- الأزرقي ، أخبار مكة ، ج ١، ص١٢١

٤- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري(ت ٢٣٠هـ /٨٤٥م)، الطبقات الكبرى،٩ ج،بيروت، دار صادر،د. ت، ج١، ص٧٢، وسيشار لاحقا ،ابن سعد ، الطبقات الكبرى

٥- ابن هشام ، السيرة النبوية،ج ١، ص٢١٢

٦- ابن حبيب ،المحبر، ص ١٧٨

حول الحرم، ومن الذين كانوا يحجون إلى البيت، ومن الذين ساروا على نهج قريش، ومن القبائل أو أحد بطون أو أفخاذ العرب المنتشرة في العربية الشمالية، ولا فرق أن تكون تلك الحمس منتسبة إلى العدنانية أو القحطانية، إنما يلاحظ إلى أهمية المكان فالكل كانوا قريبين أو مجاورين لقريش والبيت الحرام.

فكما نلاحظ أن قريش هي الجامع لهذه القبائل وهي القائدة لها لما تتمتع به من إكبار وإجلال على المستوى الديني وهذا يفسر لنا أن قريش كانت رأس الحربة في مقاومة الدين الجديد ودولته وسنحاول التعرف على أسبابِ تزعم قريش لهذا اللقب الحمس ونتعرف أيضاً على ابرز قبائل الحمس فهي أيضاً رفضت الدين الجديد ودولته وأعانت قريش على محاربته بكل ما أوتيت من قوة ويزيد من قوة ادعائنا اثر العامل الفكري لدى هذه القبائل في رفض فكرة الدولة وعدم استجابتهم لدعوة الرسولﷺ في نصرته وإقامة الدولة التي كان يدعوهم لها .

١ – قريش

تعتبر قريش زعيمة الحمس، وذلك للأسباب التالية:

١ . الكثرة : الكثيرة، إذ تضم قبائل عديدة، فقريش البطاح[١]، تتألف من قبائل منها، بنو عبد مناف، بنو عبد العزى، بنو عبد الدار، بنو زُهْرَة، بنو تَيْم، بنو مخزوم، بنو جمح، بنو سهم، بن وعدي وقريش الظواهر[٢] ، تتألف من قبائل منها: الحارث، مالك، الحارث ومحارب ابنا فهر، تيم

١- وهم الذين يسكنون الأبطح أو بطحاء الحرم، حول البيت، ويسمون أيضاً بقريش البواطن، لأنهم يسكنون في بطن مكة بين أخشبيها. وقريش البطاح هم جميع ولد كعب بن لؤي،ابن حبيب،المنمق،ص٥

٢- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله(ت٤٦٣هـ /١٠٧١م)، الأنباه على قبائل الرواه،تحقيق:ابراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي،ط١، ١٤٠٥هـ ، ص٦٥ ومابعدها.،وسيشار لاحقا،ابن عبد البر، الانباه

الأذْرم بن غالب بن فهر، قيس بن فهر؛ ومن ولدت قريش، وأمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر،[١] وإياها عنى لبيد بن ربيعة بقوله:

سقى قومي بني مجد وأسقى　　　نميراً والقبائل من هلال

والحارث ومدلج وعامر أولاد عبد مناة بن كنانة، ومالك وملكان، ابنا كنانة؛ وثقيف،وعدوان، ويربوع بن حنظلة، ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وأمهما جندلة بنت فهر بن مالك النضر؛ ويقال: إن بني عامر كلهم حمس لتحمس إخوتهم من بني ربيعة بن عامر، وعلاّف.

٢ . الكرم والسّخاء: كان منهم هاشم بن عبد مناف الذي أطعم الطعام في سنين قحط، ونحر الجزر؛ وإليه يشير الشاعر ابن الزبعري[٢]:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه　ورجال مكة مُسْنِتُون عجاف[٣]

وهو الذي حفر الآبار[٤]، فسقى قومه والحجاج، حتى سقاهم اللبن والعسل.

وكانت قريش تتعاون فيما بينها، فتجمع الأموال لتشتري الطعام والشراب لتطعمه وتسقيه للحجاج[٥]، ويقول اليعقوبي: "وقروا الأضياف، ووصلوا الأرحام، وقاموا بنوائب زوار البيت، فكان أحدهم يحيس الحيسة في الأنطاع فيأكل منها القائم والقاعد والداخل والراكب، وأطعموا بدل الحيس الفالوذج[٦]".[٧]

١- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت٣٢٨هـ /٩٤٠م)، العقد الفريد، ٨ ج ، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر، د. ت،ج ٢، ص٤٤ ومابعدها، وسيشار لاحقا، ابن عبد ربه، العقد الفريد

٢ -شاعر قريش في الجاهليّة. كان شديداً علي المسلمين إلي أن فُتحت مكّة.الزركلي،الاعلام،ج٤،ص٢١٨

٣- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٣م)، تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ج ٢، ص٢٥٢،وسيشار له لاحقا،الطبري، تاريخ الأمم والملوك

٤- الأزرقي ، أخبار مكة، ج ١، ص٦٧.

٥ -الأصفهاني ، الأغاني ،ج ٤، ص٣١-٣٤

٦- حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل، الفيروزأبادي،القاموس المحيط،ج٢،ص١٧٩

٧ -اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب(ت٢٨٤هـ /٨٩٧م)، البلدان، ط ٣، النجف الأشرف، المطبعة الحيدية، ١٩٢٧ م، ص ٤٦٨، وسيشار لاحقا، اليعقوبي، البلدان

٣ . المال والغنى: لقد كان لقريش أسواقاً ومواسماً للبيع والشراء، وما الحج إلا موسماً منها وكانوا تجّاراً، وأمنوا على العير بعقد الأحلاف مع العرب والروم وغيرهما، بحيث تروح القافلة وتغدو بسلام؛ ويظهر ذلك من قول العباس لأهل مكة عندما كانوا يعذبون أبا ذر الغفاري، فقال: "ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار، وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام؟"[١]، وإذا شئت فاقرأ سورة قريش، فرحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، والتي كانت تحتوي ألف بعير[٢]؛ وقد كان في قريش أثرياء وأصحاب أموال كثر، منهم عبد الله بن جدعان، والعاص بن وائل بن هشّام، وأبو العاص زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفوان بن أميّة الذي كان يعدّ من قنطرة المال[٣]،أي صاحب الأموال الكثيرة..

٤ . النسب والصهر: كانت قريش إذا زوجت بناتها إلى قبائل أخرى تشترط أن أبناءهنّ من الحمس؛ أما إذا تزوج رجال قريش بنات من باقي القبائل، فلم يشترطوا أي شرط على أنفسهم، وإنما صارت قرابة في النسب والصهر بهذه العملية، وقد أمنت على نفسها، وكسبت ودّ ذلك البطن أو الحي أو العشيرة، مثل: عامر بن صعصعة، وثقيف، وخزاعة، [٤]،

٥ . النسب العدناني. فالعدنانية أفضل من القحطانية، ومضر أفضل من ربيعة، وقريش أفضل العرب، وبنو هاشم أفضل قريش، ومن بني هاشم الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتبع عمرو بن الخطاب رضي الله عنه هذا التسلسل عندما دون الدواوين وأعطى الأعطيات[٥]؛ وهذا النسب زاد قريشاً قوة إلى قوتها، وجعلها تتبوأ مكان الصدارة بين القبائل العربية، وبين الحمس.

١–ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، الإصابة في تميز الصحابة، ٤ ج ، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، دار النهضة، د. ت، ج٤، ص٦٤،وسيشار لاحقا ،ابن حجر، الإصابة

٢–الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص٦٢٢.

٣– ابن حجر ، الإصابة، ج ٢، ص١٨١

٤– ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان،ص ١٨

٥– البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ /٨٩٣م)، فتوح البلدان،ج١، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وآخرون، دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧ هـ، ١٩٥٧ م،ص٥٤٩،وسيشار لاحقا، البلاذري، فتوح البلدان

أما قبائل الحمس الأخرى، فجميعها تتبع إلى قريش، التي كانت تجذب بأسلوبها الديني هؤلاء جميعاً، إذ كانت تعبد أصنامهم، وتطلب منهم جمع هذه الأصنام في البيت وضمها[١]؛ مما جعل هذه القبائل تسعى في موسم الحج، وفي غيره أن تفد إلى الكعبة التي كانت قريش تسيطر عليها، ممّا زاد في تفوقها الاقتصادي والديني.

وهذا التفوق هو الذي جعل أنظار القبائل العربية دائما إلى قريش ماذا تفعل وماذا تقول فكانوا منقادين لها فكريا وهي المنظر الفكري –مجازا– لقبائل العرب فيفعلون ما تفعل ويقولون ما تقول وهذا يفسر لنا موقف القبائل العربية من دعوة الرسول ونفورهم منها فالقول ما قالت قريش

٢ – كنانة

تلك القبيلة الثانية بعد قريش، وهي من الحمس، فإذا ما تقصينا مظاهر شدتها في الدين، وفي الشجاعة، لكان لزاماً علينا أن ندرس هاتين الظاهرتين.

كنانة من القبائل العربية التي عبدت القمر[٢]، وصاحبت قريشاً[٣] بالمُثُل وبالتبادل، وهم الذين كانوا من المعنيين في الدين، ومن النَّسَأة، وكانوا يسمون القلامسة [٤] نسبة إلى القَلَمَّس الكناني أحد نَسَأة الشهور[٥]، وكانوا يعظمون صنم العزى مع غيرهم من الحمس من قريش وخزاعة ومضر[٦]، وغطفان وجشم ونصر وغيرهم[٧]، ولما أرادت بعض القبائل أن تبني بيتاً وتطوف حوله، وتسعى بين حجرين بناهما ظالم بن أسعد ليستعيض بهما عن الكعبة وعن الصفا والمروة،

١– ابن حبيب ، المحبر،ص ٣١٨

٢- الآلوسي، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص٢٤٠ ،وسيشار لاحقا،الالوسي،بلوغ الارب

٣ –ابن حبيب ، المحبر،ص ٣١٨.

٤ –ابن حبيب ، المحبر،ص ١٥٦، ١٨١.

٥ –الزبيدي ، تاج العروس، ج٩،ص٤٠٢.

٦– الأزرقي ، أخبار مكة، ج١، ص٧٤ ومابعدها.

٧–الكلبي،هشام بن محمد بن السائب بن بشر(ت٢٠٤هـ ،٨٢٠م)،الأصنام ،تحقيق : احمد زكي، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٢٤م ، ص١٨ وما بعدها،وسيشار لاحقا، الكلبي ،الأصنام

كان ذلك مما أثار حفيظة زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة الكلبي، فأغار على قبيلة غطفان فقتل ظالماً[١]؛ لكي يحافظ على وحدة الحمس وعلى وحدة الدين، ثم هدم البناء؛ كماكانت كنانة تعبد مناة لكثرة تسميتها: مناة وكانت بعض القبائل تشارك في عبادته[٢]، وهبل، واللات والأصنام الأخرى التي كانت تعبدها قريش[٣]، وسواعاً الذي كان لكنانة[٤]، ويعوقُ[٥] وسعد الذي كان صخرة كبيرة[٦]وكانوا إذا أرادوا حج البيت الحرام لبوا، وكانت تلبيتهم تختلف عن القبائل الخمس حتى عن تلبية قريش، فيقولون: لبيك اللهم لبيك، اليوم يوم التعريف، يوم الدعاء والوقوف[٧]،

ومن هنا يتبين لنا شدة بني كنانة في دينهم، فلقد عبدوا عدة أصنام لاعتقادهم أن كثرة الأصنام تقربهم إلى الله، وأنهم هم وغيرهم قد تعجبوا عندما دعا رسول الله إلى عبادة إله واحد.

هذا في الدين أما الشدة في الشجاعة، فقد كانت كنانة بدوية أعرابية، شديدة المعاملة مع غيرها، طبيعتها القتال، وصفتها التنافر والتشاحن، وبدا عليهم الإقدام والحزم، وكان يعد الرجل منهم بعشرة من غيرهم، وكان فارسهم ربيعة بن مكدَّم الذي اشتهر بالشجاعة، وحمى ظعنه بعد مقتله، فقد قاتل والدم ينزف منه[٨]، وكان يُعقر على قبره[٩]، ولم يُعقر على قبر أحد غيره، ووقعت بين

١- الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢١، ص٦٣

٢- الزبيدي ، تاج العروس ،ج١٠، ص٣٥١

٣- اليعقوبي ، البلدان، ص٤٤٢

٤- اليعقوبي ، البلدان،، ص٢٢٥

٥- ابن منظور،لسان العرب ، ج١٠، ص٢٨١

٦- الكلبي . الأصنام، ص٣٦ ومابعدها

٧- اليعقوبي ، البلدان، ص ٢٢٥.

٨- الألوسي ، بلوغ الأرب ،ج١، ص١٤٤

٩ -القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم(ت٣٥٦هـ /٩٦٧م)، ذيل الأمالي والنوادر، ط ٣ ، مطبعة إسماعيل بن يوسف، د. ت ، ج٢،ص٢٧١،وسيشار لاحقا،القالي ،ذيل الأمالي

كنانة وقيس أيام منها: يوم الكديد[١]، ويوم برزة، وحروب الفجار (٥٨٠م / ٥٩٠م) [٢]، وكان بين كنانة وهوازن يوم انتصرت فيه هوازن، وعلى كنانة حرب بين أمية من قريش[٣]، ثم انتصرت كنانة ومعها قريش على هوازن في يوم عكاظ[٤]، وقد أسر بنو فراس من بني كنانة دريد بن الصمة[٥] المشهور بشجاعته وفك أسره امرأة ربيعة بن مكدم[٦]؛ وقاد صخر بن حرب [أبو سفيان] قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق[٧].

ومما سبق يلاحظ أن كنانة من أشد القبائل العربية، وأشجعها في القتال، حتى لتلاحظ أن ربيعة بن مكدم كان قد أصيب، ومع إصابته، فقد حقق مهمته القتالية، إذ حمى ظعنه، بعد مماته، كما نرى أن كنانة هي حلف لقريش، وهما من الحمس.

ونلاحظ من هذا العرض لصفات كنانه أنها كانت لا تقل عن قريش شدة وشجاعة وبناء زعاماتها الفكرية لا يقل شدة عن بناء زعامات قريش من التشدد والأنفة ونلاحظ تحالف قريش وكنانة في كثير من الحروب، وهذا يفسر الموقف المناصر من كنانه لقريش ضد دعوة محمد ﷺ لإقامة الدولة ومشاركة قريش في الحيلولة من إقامة دولة الرسولﷺ ابتداء، ثم مشاركتها قريش القضاء على الدولة الناشئة فلقد كانت كنانة ابرز من شارك في احد والخندق .

١- هو من أيام قيس وكنانة والكديد: موضع على اثنين واربعين ميلا من مكة. الألوسي، بلوغ الأرب ،ج١، ص١٤٤

٢- ابن عبد ربه ،العقد الفريد، ج٦، ص١٠١ ومابعدها

٣- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٢ هـ /١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣ ج ، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٣ م ، نسخة مصورة عنها، ج١٥،ص٤٢٧،وسيشار لاحقا،النويري،نهاية الارب

٤- جاد المولى، محمد أحمد، أيام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ت ،ص٣٣٤ ومابعدها.

٥-دريد بن الصمة شاعر جاهلية، وفارس من قبيلة هوازن قاتل المسلمين فقتل في وقعة حُنين.

٦-ابن حبيب ، المحبر،ج ٢، ص٢٤٥

٧- ابن حبيب ، المحبر،ص ٢١٦ ومابعدها.

٣ – خزاعة

كانت تئد بناتها بدافع ديني، تتشدد على نفسها، بتقديم قرابين بشرية إلى الآلهة التي كانوا يعبدونها، وهي عبادة قديمة معروفة عند أمم الأرض؛ وقد عبدت خزاعة الشعرى[١] مخالفة بذلك القبائل العربية التي كانت تعبد الأصنام، والشعرى نجم وقّاد يقال له [المرزم] [٢] وكان أبو كبشة الخزاعي هو أول الذين عبدوا هذا النجم[٣]؛ وقد ورد ذكره في القرآن، قال الله . عزّ وجلّ .: [وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى[٤]. وكان عمرو بن لحيّ الخزاعي هو الذي أسس الأصنام في مكة مثل اللات وإساف ونائلة وأكثر منها وغيّر دين إبراهيم عليه السلام [٥]..

كذلك كان غير الخزاعيين يحملون معهم أصنامهم، وكانوا يعبدون أيضاً بيتاً بالمشلل[٦]. ومناة الذي كانوا يعظمونه ويهلون منه للحج إلى الكعبة[٧]. وإساف ونائلة اللذين مسخا حجرين[٨]. ونهماً وقد سمي منهم –عبد نهم– [٩]. وكانوا يقيمون المذابح ويقربون القرابين

١– كوكب نير يقال له : المرزم يطلع بعد الجوزاء،ابن منظور، لسان العرب،ج٨،ص٩١

٢ –القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٧، ص٤٥

٣ –الزبيري، مصعب بن عبد الله(ت٢٣٦هـ /٨٥١م)،نسب قريش،نشره:ليفي بروفنسال،دار المعارف،القاهرة١٩٥١م ،ص٢٦١ ومابعدها، وسيشار لاحقا، الزبيري،نسب قريش

٤– سورة النجم . الآية: ٤٩

٥– المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت ٣٤٦هـ /٩٥٨م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤ ج ، فهرسة: يوسف أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٥ م ،ج٢ ،ص٣٠٣،وسيشار لاحقا، المسعودي، مروج الذهب

٦ –اليعقوبي ، البلدان، ص١٦٩

٧ –اليعقوبي ، البلدان، ص١٦٩

٨- الأزرقي، أخبار مكة، ١ج، ص٧٠

٩– الكلبي ، الأصنام، ص٣٩ ومابعدها

للآلهة[١]. وقد بلغت الأصنام التي كانت في الكعبة ٣٦٠ صنماً من الحجارة، أو النحاس، أو القوارير ، وكانت أصنام خزاعة مصنوعة من قوارير صفر[٢].

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً حطم هذه الأصنام جميعاً: "وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً، فجعل يطعنها ، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً".[٣]

وقد توسعت خزاعة في عبادتها حتى عبد قسم منهم الجن وهم بنو مليح رهط طلحة الطلحات[٤]. ومن مظاهر شجاعة خزاعة وشدتها، أنها أخرجت قبيلة جرهم من مكة، وعبدت الشعرى إذ تفردت بعبادته، وكانت تصحب معها بعض الأصنام إلى ساحات القتال، وتتطيب بطيب منشم[٥] إذا أرادت القتال مع جرهم أو غيرها لتكون شديدة في قتالها، ومستميتة في حربها[٦]، وحاربت قريشَ واحتكمت إلى الشدَّاخ[٧] ، فحكم لقريش بأنها أولى بالكعبة من خزاعة[٨]، وكان بنو المصطلق من خزاعة والحيا من حلف الأحابيش[٩] [١٠]، والحِلْف قوة وحالفت أيضاً طيِّئاً وبني فزارة[١١]، واشتهر قيس بن الحدادية من الشعراء الخزاعيين الصعاليك

١- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٣م)، جامع البيان عن تأويل اي القران، ١٦ ج ، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد شاكر، مصر، دار المعارف، د. ت.،ج٦، ص٤٨،وسيشار لاحقا،الطبري، جامع البيان

٢- الحلبي، علي بن برهان الدين(ت ١٠٤٤هـ /١٦٣٥م)، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المشهور بالسيرة الحلبية ، ٣ ج ، ط ٣، القاهرة، المطبعة الأزهرية،١٣٥١هـ، ج١، ص١٤٤،وسيشار لاحقا،الحلبي ،السيرة الحلبية

٣- النيسابوري،مسلم بن حجاج (ت٢٦١هـ /٨٧٥م)، صحيح مسلم، ٥ ج ، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥ هـ، ١٩٥٥ م،ج٥، ص٧٣.وسيشار لاحقا،مسلم ، صحيح مسلم

٤- الكلبي ، الأصنام، ص٣٤

٥- اسمُ امرأةٍ عطَّارة كانت بمكة، وكانت قبيلتا (خُزاعة) و(جُرْهم) إذا أرادوا القتالَ تعطروا من عطرها،ابن منظور،لسان العرب،ج١٤،ص٢٦٥

٦ –ابن منظور،لسان العرب، ج٧، ص٢٧٩

٧- أحد حكام كنانة ، وهو لقب له. ابن منظور،لسان العرب، ج٨،ص٨٣

٨- الألوسي، بلوغ الأرب ،ج١، ص٣٣٠

٩ – حلف الأحابيش هو أول أحلاف مكة في الجاهلية قبل الإسلام. ابن حجر ،فتح الباري، ج١، ص٥٥٣

١٠- البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٧٦،٥٢

١١- ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٤٠١

بشدته حتى خلعته خزاعة[١]، كما تحالفت فيما بعد مع رسول الله ﷺ ضد قريش[٢] التي أخرجتها من مكة، ولم يبق منها سوى العدد القليل؛ عدد بطونها وكثرتها يدل على شدتها منهم: بنو المصطلق بنو عدي بن عمرو، بنو الحيا، بنو مليح بن عمرو، بنو عوف بن عمرو...، واقتتلت مع قيس، وأظهرها شدتها وهُزمت قيس[٣]، ومع بني أسد، ومع بني بكر بن عبد مناة ومع غيرهم[٤].

٤ - "عامر بن صعصعة"

كان بنو عامر من المتشددين في الدين، وكانوا كغيرهم من العرب يعبدون الأصنام، وكانوا من سَدَنَتها، والسدانة تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وإذا ما حاولت إحدى القبائل أن تنتزع السدانة من قبيلة أخرى قامت بينهما معارك وحروب، حتى تستولي الواحدة على السدانة بالقوة، فكان بنو عامر سدنة صنم ذا اللبا الذي يتولون أمره[٥]، وهم أول من كسا البيت[٦].

بنو عامر مقاتلون، فهم من معركة إلى معركة، ومن يوم إلى يوم فكانت أيامهم منها: يوم النِّسار مع سعد والرباب[٧]، وغير ذلك من الأيام والوقعات الحربية؛ إذ كانوا في أكثر وقعاتهم ينتصرون[٨]، وكان عامر بن الطفيل العامري من فرسان العرب المشهورين، وقد افتخر في شعره

١- الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٢

٢- ابن كثير، البداية والنهاية،ج١،ص١٠١ ومابعدها.

٣- الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣،ص٣.

٤- الهمذاني، أبو محمود الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٦م)،صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عبد الله، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٣ م،ص ١٢٠ ومابعدها،وسيشار لاحقا،الهمذاني، صفة جزيرة العرب

٥- ابن حبيب ، المحبر،ص ٣١٦ ومابعدها.

٦- ابن حجر ، الإصابة، ج٢،ص٢٦٣

٧- موضع،وهو بكسر النون،قيل:هو ماء لبني عامر،ابن منظور،لسان العرب،ج١٤،ص٢٤٤

٨- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٦٠

بفروسيته[١]؛ ومن شعرائهم وفرسانهم أيضاً خداش بن زهير بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو فارس [الضحياء] [٢] الفرس التي ذاع صيتها.

٥ – "ثقيف"

ثقيف من القبائل العربية الشمالية التي اعتبرت الأصنام مصدراً من مصادر الروح المعنوية، إذ كانوا يستمدون منها القوة والعون والمساعدة في الحروب والغزوات، وكانوا يحملونها معهم في الحرب والسلم، وإذا وقعت في الأسر، فإن ذلك نكسة وعار على الذين يعبدونها، فلا يهدأ لهم بال حتى يردوها؛ كما يعتبرون أنّ الأصنام هي التي تذب عن القبيلة، وتدافع عنها، ويستشفون بها من الأمراض التي تصيب الأفراد أو الجماعات. كان لثقيف صخرة بالطائف تتعبدها، يطلق عليها: الرّبّة وبيت لها يطلق عليه بيت الربة [٣]، تضاهي به بيت الله بمكة، وكانوا يطوفون حوله، وبقي هذا البيت حتى بعد ظهور الإسلام، فلما أسلموا، ذهب المغيرة بن شعبة الثقفي فهدمه؛ وكان لهم اللات وهو صنم: وهو اسم شخص من ثقيف مات، فأمر عمرو بن لحي ببناء له وسمي بهذا الاسم[٤]،وكانوا إذا قدموا من حرب أو سفر أو أمر عظيم ذهبوا إليه فتبركوا به، ثم عادوا إلى بيوتهم، وكانت غير ثقيف من القبائل تأتيه فتتبرك به[٥]؛ ولما هزمت ثقيف، والتجأت إلى الطائف. قال الشاعر:

وفرّت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر. [٦]

١-الجاحظ، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ /٨٦٩م)، الحيوان، ٧ ج ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٣ ، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٦٩ م، ج٢، ص٩٥،وسيشار لاحقا، الجاحظ، الحيوان

٢- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ /١٠٤٦م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٢ هـ، ١٩٦٢ م،ص ١٠٧ ،وسيشار لاحقا،ابن حزم،جمهرة انساب العرب

٣- ابن منظور، لسان العرب ، ج١، ص٣٩٩ ومابعدها.

٤- اليعقوبي ، البلدان، ص٣١٠.

٥ -ابن حبيب، المحبر، ص ٣١٥

٦- الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص٨٠.

ولمّا هدمت اللات، وحرقت قال شداد بن عارض الحبشي:

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر؟

إن التي حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها، هدر

إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظن، وليس بها من أهلها بشر[١]

وعبدت ثقيف أيضاً العزى ومناة، وكانوا إذا انتهوا من حجهم جاؤوا إليها فحلقوا، وكانوا يعتقدون أن الحج لا يتم إلا في زيارتها وتعظيمها والذبح لها[٢]، وكانت تلبية ثقيف بالحج: "لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك، وأخلفوا المال وقد رجوك"[٣]. وكان من زعماء ثقيف والمتشددين بالدين أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي كان على دين الحنفية ويأمل أن تكون النبوة في شخصه، فلا سلم، ولا بقي على دين قومه، ومات كافراً[٤]، "وكان بعض العلماء يقولون: لولا النبي ﷺ، لما ادعت ثقيف أن أمية نبي، لأنه قد دارس النصاربو اليهود وقرأ معهم، وكل الكتب قرأ"[٥].

ومن مظاهر شدتها في القتال أنها قاتلت قبيلة خثعم حين غزتها، وهزمتها شر هزيمة[٦] وخالد بن هوذة يوم وَجّ، وبني عامر بن ربيعة وأحلافهم، وانتصرت على بني عامر والأحلاف[٧]؛ ومع جيش المسلمين يوم حنين، فَهُزِمتْ[٨] وانسحبت إلى الطائف، واتخذت مواقع دفاعية دلت على

---

١ –الكلبي ، الأصنام، ص ١١

٢– الزمخشري،محمود بن عمر (ت ٥٨٣ هـ /١١٨٨م)،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤ ج ، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ج٣، ص١٤٤ ، وسيشار لاحقا، الزمخشري، الكشاف

٣ –اليعقوبي ، البلدان، ص٢٢٥ ، ومابعدها.

٤– النووي ، تهذيب الأسماء، ج١، ص١٢٦.

٥ –ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد (ت ٣٢١ هـ /٩٣٣م)، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٨ م،ص ١٨٤.وسيشار لاحقا،ابن دريد ،الاشتقاق

٦– ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٣٠٩

٧ –البكري، عبد الله بن عمر بن عبد العزيز(ت ٤٨٧ هـ /١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٢ ج ، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، ١٩٤٥ م، ج١، ص٧٧ ومابعدها،وسيشار لاحقا،البكري،معجم ما استعجم

٨– الزرقاني، محمد بن عبد الباقي المالكي (ت ١١٢٢هـ /١٧١٠م)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ٨ ج ، ط ١ ، القاهرة، المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٢٨ هـ / ج٣، ص٣٢ ومابعدها،وسيشار لاحقا،الزرقاني، شرح الزرقاني

شجاعتها، وقذفت ثقيف على جيش المسلمين سلكاً من حديد محماة بالنار، ثم رمتهم بالنبل، وانسحب المسلمون دون أن ينالوا منها[١]؛ وقد اشتهرت أسلحة ثقيف بشدتها ومضائها مثل سيف [مشرف] وينسب إلى رجل من ثقيف[٢]،والتحصينات التي كانت منيعة حول الطائف التي منها إقامة الأسوار، وإنشاء الأبراج والآطام وغير ذلك، وقد تحصنت بها ثقيف يوم انسحابها من حنين[٣]. وكان الشعر من الأشياء المحرضة على الشدة، وعلى القتال بضراوة. ومن شعراء ثقيف، الأجرد[٤]، وأمية بن أبي الصلت ووالده، وأبو محجن الثقفي، ورقية زوجة أبي الصلت والد أمية[٥]،، ورغم كثرة شعراء ثقيف، فإنهم لم يشتهروا إلا ماكان من أمية بن أبي الصلت، وقد علل ابن سلام هذه الظاهرة بقلة الحروب بين الطائف وغيرها[٦].

وهذا يوضح مجموعة العوامل الفكرية المرسخة في وجدان مجتمع وسط الجزيرة والحجاز، التي قاومت فكرة الدولة، فالعامل الديني والاجتماعي والاقتصادي، هي بالمحصلة نتيجة الأفكار التي أمنت بها العرب.فأراد الباحث التوسع في هذه العوامل الفكرية وهي التي سنلاحظ الجهد الذي بذله الرسول ﷺ لتغييرها، بل واحتاجت من الرسول مرحلة كاملة في تغيير البناء الفكري لدى جماعته التي أنشئها ليقيم من خلالها الدولة ،

والتدليل على أهمية البناء الفكري لدى المجتمعات وتقبلها ورفضها للأفكار الجديدة بمقدار ما كانت متمسكة بالفكر القديم وما يستجلبه لها الفكر من مصالح متصورة في الذهن فقريش كانت تظن أن الأفكار القديمة من لقاح وحمس هي سبب الازدهار الاقتصادي والمكانة الاجتماعية

---

١ -الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٣، ص٨٣ ومابعدها.

٢- الألوسي، بلوغ الأرب ، ج٢، ص٦٢ ومابعدها

٣- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣، ص٨٣ ومابعدها،

٤- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ج٢، ص٦٢٠

٥- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ج١، ص٣٦٩.

٦-ابن سلام الجمحي(ت٥٣١هـ /١١٣٧م)،طبقات فحول الشعراء ، شرح وتحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤م، ص٦٥ ومابعدها.وسيشار لاحقا،ابن سلام، طبقات فحول الشعراء

المرموقة التي كانت لها في الجزيرة العربية، وظنها أن تخليها عن هذين الأمرين سيفقدها المصالح المرتبطة بهما، جعلها تقاوم بشراسة الدين الجديد وتحاول القضاء عليه .

وكذلك يؤشر البناء الفكري للمجتمع استعداداته المستقبلية لحمل الفكر الجديد بعد اقتناعها به ومدى تمسكها به وحمله للعالم دون خوف او تردد فكما قاومت قريش الرسول ﷺ في بادئ الأمر سنرى مدى تمسكها بالدين الجديد وحمله للعالم عن قناعة واقتدار فطبع الوفاء للأفكار متجذر في وجدانها وهي ميزة قل وجودها في المجتمعات .لهذه الأسباب مجتمعة أراد الباحث التوسع في العوامل الفكرية لسكان شبه الجزيرة العربية ، فهم الذين تنزلت الرسالة المحمدية بين ظهرانيهم وهم الذين سيحملون أعباء هذه الدولة بعد محمد ﷺ بعد موته فهم أهل الدولة وحملتها وحماتها .

الفصل الأول

منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة (١)

أولاً: تكوين الجماعة كطريقة لإقامة الدولة.

ثانياً: مرحلة التثقيف ، وإعداد الجماعة

ثالثاً: التثقيف في دار الأرقم بن أبي الأرقم

رابعاً: بناء الجماعة.

خامسا: مرحلة التفاعل مع المجتمع

سادسا: موقف قريش العدائي ضد الجماعة الجديدة ورجالها

سابعا: موقف صاحب الجماعة ورجالها من عدوان قريش

الفصل الاول:- منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة(١)

لقد كانت الحياة العربية قبل الإسلام تقوم أساساً على نمطية خاصة، فالقبيلة هي التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي يكون حياة الفرد في القبيلة ، فكان انتماء العربي الجاهلي انتماء قبلياً وليس هناك أية رابطة عملية توحد القبائل وتجمعها ، بل على العكس كانت القبائل متناحرة متحاربة ، وإذا ما قامت أحلاف قبلية ، فلمناصرة قبيلة على أخرى ، وبالتحديد كانت القبيلة العربية تشكل وحدة سياسيةً مستقلة[١] .

ومن هنا كان الانقلاب الذي أحدثه الرسول ﷺعميقاً في حياة الجزيرة العربية إذ استطاع بمنهجية واضحة، "أن يحول هذه الوحدات القبلية المستقلة ويرتقى بها لتظهر في إطار الأمة الإسلامية" [٢]. ويبين "فيليب حتي" هذا الانقلاب الذي أحدثه الرسول ﷺ فيقول :" إذا نحن نظرنا إلى محمد ﷺ من خلال الأعمال التي حققها، فإن محمدًا الرجل والمعلم والخطيب ورجل الدولة والمجاهد؛ يبدو لنا بكل وضوح واحداً من أقدر الرجال في جميع أحقاب التاريخ. لقد نشر دينًا هو الإسلام، وأسس دولة هي الخلافة، ووضع أساس حضارة هي الحضارة العربية الإسلامية، وأقام أمة هي الأمة العربية،وهو لا يزال إلى اليوم قوة حية فعالة في حياة الملايين من البشر"[٣] .

وعن ضخامة هذا الجهد العظيم الذي بذله النبي ﷺ لإحداث هذا التحول في المجتمع العربي الجاهلي ، يقول إميل درمنغم : "إن النبي ﷺ لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجديبة حبة سوف تجدد، عما قليل، بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى

١- ياقوت، محمد مسعد، " دور النبي صلى الله عليه وسلم في تحضر العرب"، المقالة الفائزة بمسابقة " انصر نبيك وكن داعياً " من الموقع الإسلامي " الألوكة " فرع المقالة الصحفية- ٢٠٠٦

٢ – الشيباني، محمّد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الحضارة العربية ، ١٩٨٨ ، ص ٦٨ وما بعدها.

٣– حتي ،فيليب ، الإسلام منهج حياة، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢م ، ص٥٦.

بلاد الهند والمحيط الأطلنطي. وليس لدينا ما نعرف به أن محمدًا ﷺ أبصر، حين أفاض من جبل عرفات، مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحس ببصيرته أن العرب الذين ألّف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وإسبانية"[١]

ويبين توينبي أن النبي قد كرّس حياته لتحقيق رسالته في كفالة مظهرين أساسيين في البيئة الاجتماعية العربية؛ هما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم. "وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهرانيه الوحدانية والسلطة التنفيذية معًا.. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة.. بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على كثيرمن الاماكن في العالم ... "[٢].

فلقد بعث رسول الله ﷺ في مجتمع جاهليّ، تسوده المفاهيم والمشاعر والأنظمة الجاهليّة، فكانت مهمّته أن يحّول هذا المجتمع إلى مجتمع آخر تماماً، وليس ذلك بتغيير أفراده والإتيان بآخرين بدلاً منهم، بل بتغيير مفاهيمه ومشاعره وأنظمته، أي بإزالة أفكار الجاهليّة ومشاعرها وأنظمتها وإيجاد أفكار ومشاعر وأنظمة إسلاميّة.

وهنا يطرح تساؤل هل الرسولﷺ عندما استهدف إقامة دولته، هل كان يملك منهجاً واضحاً لإقامة هذه الدولة ،فأي فكرة أن لم تقترن بمنهج لتنفيذها تبقى ناقصة، فعندما قال مثلاً(صلوا) اتبعها بطريقة لتنفيذ هذه الفكرة فقال(صلوا كما رأيتموني أصلي)، وبهذا الفهم انطلق الباحث لتفسير منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة،فالمنهج كما تقدم يعني الطريقة وهي كيفية تنفيذ الأفكار أو

١- إميل درمنغم، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٤٩م، ص٣٦٨

٢- أرنولد توينبي ،مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٥م،ج ١٠، ص٣٨١

الأهداف وإقامة الدولة هدف طلبه الله من رسوله وهذا يستلزم أن يكون الله قد أوحى لرسوله طريقة لتنفيذ هذا الهدف،ولتدليل على هذا الزعم يورد الباحث بعض الأدلة لتوضيح وجهة نظرة:

كقوله تعالى (أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) [١] قال الشافعي: فلم يختلف أهل العلم بالقرآن – فيما علمت – أن السدى هو الذي لا يؤمر ولا ينهى [٢] وهذا معناه والله أعلم أن الله ﷻ لم يترك صغيرة ولا كبيرة، ولا كيفية إلا وبينها، إما في كتابه أو على لسان نبيه وفعله، قال ﷻ(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [٣] وقال(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) [٤] ،وقال ﷺ " ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه " [٥]

وغير ذلك من النصوص التي تبين من أن الشرع جاء جامعاً مانعاً معالجاً جميع المشاكل مبيناً لجميع الأحكام. فمن ذلك قوله ﷻ (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [٦] فقد أخرج الطستي(ت ٣٤٦هـ/٩٥٨م) [٧] عن قوله ﷻ(شرعة و منهاجا) قال الشرعة الدين والمنهاج الطريق، قالوهل تعرف العرب ذلك قال نعم، أما سمعت أبا سفيان (ت. ٢٠هـ/٦٤٠م) وهويقول :

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبيّن لنا الإسلام دينا ومنهاجا [٨]

١– سورة القيامة آية رقم ٣٦

٢ –البيهقي، أحمد بن الحسين(ت ٤٥٨ هـ /١٠٦٦م)،أحكام القرآن للشافعي،المحقق محمد زاهد الكوثري،الناشر، دار الكتب العلمية،١٤١٢هـ ، ص ١٢٣، وسيشار له لاحقا : البيهقي، أحكام القران

٣- سورة النحل آية رقم ٤٤.

٤ - سورة النحل آية رقم ٨٩.

٥– ا بن حنبل، المسند ،،ج ٤، ص١٣١

٦– سورة المائدة آية رقم ٤٨.

٧– هو ابو الحسين عبد الصمد بن علي محدث مشهور.البغدادي،تأريخ بغداد،ج٧،ص٥٠

٨- السيوطي، الدر المنثور ، ٨ ج ، ط ١ ، بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م،ج ٢، ص١٨،وسيشار لاحقا،السيوطي،الدر المنثور

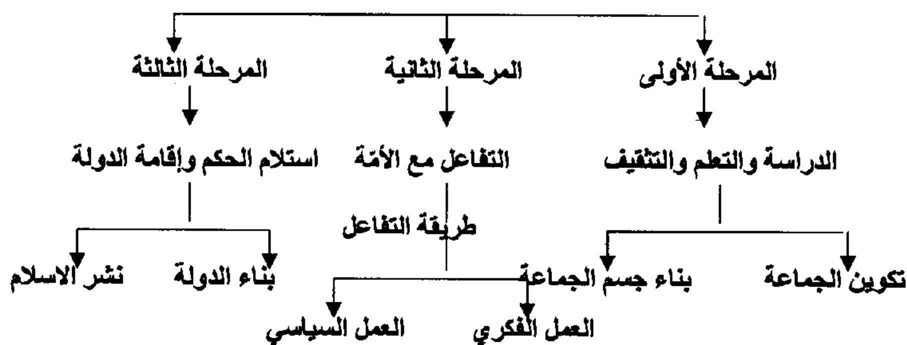
ودين هذه صفاته يصعب على العقل تصديق أنه لم يأتي بطريقة واضحة في تشييد دولته التي يكون على عاتقها حراسة هذا الدين.ونتذكر هنا القول المأثور: [الدّين والسُّلطان توأمان، الدّين أسٌّ، والسُّلطان حارسٌ، ومالا أسَّ له فمهدومٌ، وما لا حارس له فضائعٌ] [١].

وهل هناك أعظم من مهمة حراسة هذا الدين وهي الدولة، لهذا يجب استقراء طريقة الرسولﷺ لإقامة دولته الأولى من خلال تتبع أعماله التي كان يقوم بها في مكة مع محاولة الباحث التفريق -ولو كان صعبا - بين أعمال الدعوة التي كانت تستهدف نشر الإسلام وإيمان الناس بها، وبين أعمال إقامة الدولة التي أراد الرسولﷺ إنشائها لتحمي هذا الدين، مع التركيز على الأعمال التي من شأنها إقامة الدولة وإيراد النصوص الدالة على ذلك وتحليلها ، فالرسول ﷺ سار بطريقته في مسيرة إقامة الدولة في ثلاث مراحل أو أدوار، هي :-المرحلة الأولى : مرحلة التثقيف وبناء الجماعة.

المرحلة الثانية : مرحلة الإعلان والجهر بالجماعة وأفكارها أو مرحلة الكفاح والتفاعل.

المرحلة الثالثة : مرحلة استلام الحكم وإقامة الدولة في المدينة.

مراحل بناء الدولة



١- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب(ت ٤٥٠ هـ /١٠٥٨م)، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق محي الدين السرحان ، دار النهضة .العربية للطباعة والنشر ط . ١، بيروت- لبنان ١٤٠١ هـ١٩٨١ م،ص ١٤٩،وسيشار له ، الماوردي، ، تسهيل النظر

أولاً: تكوين الجماعة كطريقة لإقامة الدولة

أن دعوة رسول الله ﷺ لم تكن دعوة فردية وإنما كانت دعوة جماعية، أي بدأت منذ المرحلة الأولى بتكوين الجماعة، والدليل على ذلك من أربعة وجوه :

الوجه الأول : الآيات القرآنية التي تصف أن للنبي ﷺ أتباع لدعوته وأنهم يأتمرون بأمره، قال الله ﷻ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِين) [١] وقوله ﷻ (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِين)[٢] وقوله:(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [٣] وهذه سورة مكية.

الوجه الثاني : إن المدقق لسيرته وطريقته ﷺ يجد أن لرسول الله ﷺ أتباع في دعوته مصداقاً للآيات المتقدمة وهم المعروفون بالصحابة ﷺ وهو مأخوذ من الصحبة والملازمة، وأنهم كانوا يأتمرون بأمره متكتلون معه، وهذا مطابق لمعنى الحزب في اللغة كما في القاموس : هو جماعة الناس وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه [٤].

فمن ذلك ما رواه ابن كثير عن عائشة قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال :يا أبا بكر إنا قليل [٥].

١- سورة الأنفال آية رقم ٦٤.

٢- سورة الشعراء آية رقم ٢١٥.

٣- سورة يوسف آية رقم ١٠٨.

٤ -الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ /١٤١٤م) ، القاموس المحيط ،ط٢،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م،ج ١ ، ص٥٤.،وسيشار لاحقا،الفيروزأبادي،القاموس المحيط

٥ -ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م)، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٩٦٦م، ج١ ، ص٤٣٩.وسيشار له لاحقا، ابن كثير، السيرة النبوية

وعن عثمان بن الأرقم "فجاء عمر بن الخطاب(ت٢٣هـ /٦٤٤م) من الغد بكرة فأسلم في دار الأرقم وخرجوا منها وكبروا وطافوا بالبيت ظاهرين " [١] وفي رواية أبي نعيم أنهم خرجوا في صفين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر" [٢].

وذكرابن برهان الحلبي(ت ١٠٤٤ هـ /١٦٣٥م)، في السيرة عن ابن عباس " فكان رسول الله ﷺ وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم " [٣].

وأخرج الطبري عن عروة " ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله ﷺ [٤] وغير ذلك من النصوص التي تبين بأنه كان لرسول الله ﷺ أتباع يدعون بدعوته وما أمره للصحابة بالخروج إلى الحبشة بشكل جماعي وإرساله مصعب بن عمير إلى المدينة وأبي إمامة والطفيل الدوسي إلى قومهما يدعوهما إلى الإسلام وغيرهم إلا خير دليل على ذلك.

الوجه الثالث : إن الصحابة ﷺ كانوا متفهمين بأنهم رهط النبي ﷺ وجماعته، فمن ذلك ما رواه أبو نعيم في الحلية عن عمار بن ياسر ﷺ قال : " غدا نلقَ الأحبة محمداً وحزبه " [٥]

الوجه الرابع : وهو ما فهمه الكفار من أن محمداً ﷺ لم يكن وحده وإنما كان له جماعة يعمل فيها ويدعوا بها. قال ابن اسحق : ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من

---

١ - الحاكم، محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ /١٠١٥م)، المستدرك على الصحيحين، ٤ ج ، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت،ج ٣، ص٥٠٤.وسيشار لاحقا،الحاكم ،المستدرك

٢ - الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ /١٠٣٩م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ ج ، ط ٣ ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م،ج١،ص٤٠،وسيشار لاحقا،الاصبهاني،حلية الاولياء،

٣- الحلبي، السيرة الحلبية، ج ١، ص٢٨٣

٤- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،ج٢، ص٤١١.

٥- الأصبهاني ،حلية الأولياء، ج١، ص١٤٢

غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منعةً..." [١].

وكان ﷺ يدعو في أول أمره من أنس فيه الاستعداد لقبول هذه الأفكار ، بغض النَظر عن سنه ومكانته ، وبغض النظر عن جنسه أوأصله .

فتكتل معه ﷺعلى هذا الأمر نيّف وأربعون شخصاً :

فمن أوائل المسلمين: أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم بن مرة ابن عمة رسول الله ﷺ برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاع، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقدامة وعبد الله ابنا مظعون، وفاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب، وزوجة سعيد بن زيد، وأسماء بنت أبي بكر ، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة [٢]

و عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم.. بن هذيل، ومسعود بن القاري، وهو مسعود بن ربيعة، بن عمرو، بن سعيد بن عبد العزى، بن حمالة بن القارة. وأسلم سليط بن عمرو، وأخوه حاطب بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وامرأته أسماء بنت سلامة، وخنيس بن حذافة السهمي، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب وعبد الله بن جحش وأخوه أحمد، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث، وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه حطاب بن الحارث، وامرأته فُكَيهة بنت يسار وأخوهما مَعْمَر بن الحارث، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب ابن أزهر، وامرأته رملة بنت أبي

١- ابن سيد الناس، فتح الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٣٤هـ /١٣٣٤م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ٢ ج ، ط ١ ، بيروت، دار الافاق الجديدة، ١٩٧٧ م، ج ١، ص١٧٧.وسيشار لاحقا ،ابن سيد الناس ، عيون الأثر

٢- ابن هشام، السيرة النبوية ،ج١ ،ص٢٧٧

عوف، والنحَّام بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وفهيرة وأمه، وكان عبدًا للطفيل بن الحارث بن سخبرة، فاشتراه الصديق وأعتقه، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وامرأته أُمَينة بنت خلف، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وواقد بن عبدالله بن عبد مناف، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة، وقال ابن هشام: عَنْسي من مَذْحج. وصهيب بن سنان، هو (سابق الروم).ومن السابقين إلى الإسلام : أبو ذر الغفاري ، وأخوه أنيس ، وأمه[١] .ومن أوائل السابقين: بلال بن رباح الحبشي.

وهؤلاء السابقون من جميع بطون قريش، عدهم ابن هشام أكثر من أربعين نفرًا [٢]. وقال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام في مكة، وتُحدِّث به [٣].

وبمراجعة أسماء أوائل من أسلم من الصحابة نلاحظ انتماءهم إلى قبائل من داخل قريشٍ وخارجها ، فقد كانوا من "بني أميّة وبني أسد وبني عبد الدار وبني جمح وبني زهرة ومذحج ودوس وغيرها " ، وفيه دلالةٌ واضحةٌ على معالم هذه الافكار الجديدة ، وبعدها عن الدعوات العصبيّة الجاهليّة ، ولو كانت كذلك لكان بنو هاشم قوم النبي ﷺ أوفر الناس حظّاً ، وأكثرهم اتباعاً لهذه الجماعة الجديدة .

ويتضح من عرض الأسماء السابقة، أن السابقين الأولين إلى الإسلام كانوا خيرة أقوامهم، ولم يكونوا كما يقول بعض الباحثين في السيرة:إنهم من ضعاف الناس، أو من الأرقاء الذين أرادوا استعادة حريتهم أو ما شابه ذلك- وجانب الصواب بعض كُتَّاب السيرة لدى حديثهم عن السابقين

١- ابن هشام، السيرة النبوية ،ج١ ،ص٢٧٧

٢- ابن هشام، السيرة النبوية،ج١، ص٢٤٥ إلى ٢٦٢.

٣- ابن هشام ، السيرة النبويّة ،ج١، ص٢٤٥ وما بعدها

الأولين إلى الإسلام، عندما وصفوهم بأن معظمهم كان خليطًا من الفقراء والضعفاء والأرقاء، ويقولهم: كان رصيد هذه الجماعة بعد سنوات ثلاث من بدايته، أربعين رجلاً وامرأة، عامتهم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء، وفي مقدمتهم أخلاط من مختلف الأعاجم: صهيب الرومي وبلال الحبشي . [١]

إن البحث الدقيق يثبت أن مجموع من أشير إليهم بالفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء والأخلاط من مختلف الأعاجم هو ثلاثة عشر، ونسبة هذا العدد من العدد الكلي من الداخلين في الإسلام لا يقال "أكثرهم" ولا "معظمهم" ولا "عامتهم".إن الذين أسلموا يومئذ لم يكن يدفعهم دافع دنيوي، وإنما هو إيمانهم بالحق الذي شرح الله صدورهم له، ونصرة نبيه ﷺ، يشترك في ذلك الشريف والرقيق، والغني والفقير، ويتساوى في هذا أبو بكر وبلال وعثمان وصهيب [٢].

ويقول صالح الشامي: نحن لا نريد أن ننفي وجود الضعفاء والأرقاء ولكن نريد أن ننفي أن يكونوا هم الغالبية - لأن هذا مخالف للحقائق الثابتة - ولو كانوا كذلك لكانت دعوة طبقية، يقوم فيها الضعفاء والأرقاء ضد الأقوياء وأصحاب السلطة والنفوذ، ككل الحركات التي تقاد من خلال البطون، إن هذا لم يدر بخلد أي من المسلمين وهو يعلن إسلامه، إنهم يدخلون في هذه الجماعة على اعتبارهم إخوة في ظل هذه العقيدة، عبادا لله، وإنه لمن القوة لهذه الجماعة أن يكون غالبية أتباعه في المرحلة الأولى بالذات من كرام أقوامهم وأغنيائهم[٣]، وقد آثروا في سبيل العقيدة أن يتحملوا أصنافًا من الهوان ما سبق لهم أن عانوها أو فكروا بها [٤] .

١- الشامي، صالح أحمد ، من معين السيرة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص٤٠وسيشار لاحقا، صالح الشامي، من معين السيرة

٢- الشامي، من معين السيرة، ص٤٠

٣- ينظر الملحق رقم ١ وفيه أسماء من امن في هذه الفترة حسب قبائلهم ووضعه الاجتماعي .

٤- صالح الشامي، من معين السيرة، ص٤٠.

لقد كان الإسلام ينساب إلى النفوس الطيبة، والعقول النيرة، والقلوب الطاهرة التي هيأها الله لهذا الأمر، ولقد كان في الأوائل خديجة وأبو بكر وعلى و عثمان و الزبير، و عبد الرحمن و طلحة، وأبو عبيدة وأبو سلمة والأرقم وعثمان بن مظعون، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وفاطمة بنت الخطاب وخالد بن سعيد، وأبو حذيفة بن عتبة وغيرهم، وهم من سادة القوم وأشرافهم . [١]

وكان أمر الجماعة وأفكارها ظاهراً من أول يوم بعث به ، فكان الناس في مكة يعرفون أن محمداً ﷺ يدعو لدين جديد ويعرفون أنه أسلم معه كثيرون ، ويعرفون أن محمداً ﷺ يحزب أصحابه ويسهر عليهم ، ويعرفون أن المسلمين يستخفون عن الناس في تحزبهم وفي اعتناقهم الدين الجديد

وكانت هذه المعرفة تشعر أن الناس كانوا يحسون بالجماعة الجديدة ، ويحسون بوجود المؤمنين بها ،وان كانوا لا يعرفون أين يجتمعون، ومن هم هؤلاء الذين يجتمعون من المؤمنين ، ولم يكن إعلان الرسول ﷺ للإسلام شيئاً جديداً . إنما كان الشيء الجديد هو ظهور هذه الجماعة المؤمنة

فلما نضج هؤلاء الصحابة في ثقافتهم ، وتكونت عقليتهم وصارت عقلية إسلامية ، وأصبحت نفسيتهم نفسية إسلامية ، واطمأن الرسول ﷺ إلى أنّ جماعته اصبحت جماعة قوية قادرة على مجابهة المجتمع كله أظهرها حين أمره الله ،ولكن كيف تم هذا الانضاج والتثقيف هذا ما سيعالجه الباحث في نقطتين هما : إعداد الجماعة وتثقيفها.

١- الشامي، من معين السيرة، ص٤٠.

ثانياً:مرحلة التثقيف و إعداد الجماعة

كانت مكة نقطة الابتداء التي أوجد فيها رسول الله ﷺ الحلقة الأولى وعمل معها للتغيير [١] فبدأ ﷺ أوّل ما بدأ بأهله ثم بعشيرته ثم بقومه، فأسلم معه من أسلم، ثم أخذ يثقف المؤمنين، ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن، بعيداً عن أعين المشركين، فيلتقي بهم سراً في دار الأرقم بن أبي الأرقم، أو في شعاب مكة أثناء الليل أو في الهاجرة، وكان يتوخى من تثقيفهم أمرين:

أما أولهما: فكان يريد أن يقوي العقيدة في نفوسهم، فيعمق أفكارهم، ويغرس في أعماقهم جذورها، فلا يقوى أحد على انتزاعها.

وثانيهما: يريد عليه الصلاة والسلام أن يبني في صحابته الشخصية الإسلامية، أي يريد أن يبني فيهم العقلية الإسلامية، والنفسية الإسلامية، حتى يتجسد فيهم مبدأ الإسلام ، فيصبحوا جنودا لله، طائعين لأمره، منقادين له، حاملين للناس رسالة الإسلام هدى ونور، وليكون لديهم القدرة على الإعطاء، ولإقناع الآخرين، لأنهم سيكونون قادة الأمة، وهم أحوج ما يكونون إلى الوعي والفهم، والقدرة على دعوة الناس لدين الله. لم يخف الرسول ﷺ أفكار الجماعة، وإن أخفى أفراد الجماعة، فقد ظل يدعو لدين الله جهارا نهارا ، ويتلو على قومه: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [٢] .

ويجد الباحث حول محاولة إقامة الدولة في مكة، في مرحلتها الأولى صعوبة في تحديد السمات المميزة لهذه المرحلة، والزمان الذي استغرقته من عمرها، وذلك لوجود الروايات المضطربة المتعلقة بهذه المسالة، ويعلن احد الباحثين في السيرة النبوية عن ذلك بقوله: " ... وليس في كتب الأخبار،والسير، والتواريخ، تاريخ مضبوط للوقت الذي استخفى فيه الرسولﷺ

---

١ عبدالله ،محمد حسين ، الطريقة الشرعية لاستئناف الحياة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٣هـ / ص ٤٠،وسيشار لاحقا،محمد حسين ، الطريقة الشرعية

٢ – سورة الأعراف، اية ١٥٨

والمسلمون في دار الأرقم، فالروايات في ذلك مضطربة... والروايات متضاربة في مدة الاستخفاء في دار الأرقم، فهناك من يجعل مدتها شهرا فقط؟؟؟ ثم أنها متضاربة كذلك في كيفية الاستخفاء. هل كان استخفاء تاماً من الناس في تلك الدار، فلا يخرج منها احد؟ أو كان استخفاء في أوقات قصيرة من النهار؟ وذلك في أوقات اجتماعهم بالنبي مثلاً لأجل الصلاة، وتوضيح الإسلام والتبشير به من الله، وقبول احد فيه؟"[١] .

والذي يبدو لي هو ما تدل عليه مجمل الأحداث التي ثبت أنها وقعت في تلك المرحلة الأولى من عمر إقامة الدولة، دون حصرها بزمن معين بالتحديد الدقيق.

ويتلخص في نقاط أربع هي:

إعلان أفكار الجماعة منذ أمر الله نبيه عليه السلام بالقيام بأمر الدعوة، وذلك في قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ).[٢] ، جاء في صحيح البخاري(ت ٢٥٦ هـ /٨٧٠م)، في سبب نزول مطالع سورة المدثر ما نصه: " قال أبو سلمة: سالت جابر بن عبدالله[٣] ، أي القران انزل أول؟ فقال: يا أيها المدثر، فقلت: أنبئت انه(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ قال رسول الله عليه السلام جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت، فاستنبطت الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فإذا هو أي: الملك، جبريل جالس على عرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء باردا، وانزل علي: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ).[٤]

١- خليل، عماد الدين، دراسات في السيرة النبوية،دار النفائس، بيروت،ط١١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٦٤.

٢ - سورة المدثر الآية ١-٢

٣ - جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد بدراً، وأحداً، والخندق

٤ -ابن حجر، فتح الباري، ج٩،ص ٦٧٧.

وجاء في تفسير القرطبي:(قُمْ فَأَنذِرْ): خوف أهل مكة، وحذرهم بالعذاب أن لم يسلموا"[١] وشاهدنا من حديث جابر كما جاء في البخاري هو أن سورة المدثر التي ورد الأمر فيها بإنذار أهل مكة، كانت أول سورة أنزلت- والذي يبدو أنها كانت كذلك، بعدما فتر الوحي بعض الوقت على اثر نزول: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) ،ثم حمي الوحي وتتابع، كما يفهم من روايات أخرى وردت في صحيح البخاري. [٢] .

وجاء في حاشية الجمل على الجلالين ما يلي: " أول ما نزل من القران بمكة: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) ، ثم قال(ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)، ثم (يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّل)،ثم (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)،ثم(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)[٣] حتى عد إحدى وثمانين سورة.

وقد ورد عند القرطبي(ت٦٧١هـ /١٢٧٣م) في تفسيره لسورة(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)ما نصه: " خرج رسول الله ، حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يابني فلان، يا بني عد مناف، يا بني عبد المطلب فاجتمعوا إليه، فقال: أرايتكم، لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟قالوا: ما جربنا عليك كذابا! قال: فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك! أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ). [٤]

---

١ -القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٩، ص٥٩-٦٠.
٢ - ابن حجر، فتح الباري،ج ٨،ص٦٧٩.
٣ - الجمل، حاشية الجَمل ، ،ج١، ص٣
٤ -القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٢٠، ص٢٣٤.

وبناء على ما تقدم فان الأمر الوارد في: (قُمْ فَأَنذِرْ) ، وسبب نزول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ). وهي من السور الخمس الأوائل التي نزلت بمكة، وما حصل في مناسبة نزولها من الإنذار الصارخ، والدعوة العلنية لأهل مكة على جبل الصفا.

كل هذا يدل على أن أفكار الجماعة في مرحلتها الأولى كانت دعوة علنية، لا دعوة سرية كما تنطق بذلك النصوص الصحيحة الصريحة.

٢- إعلان المسلم عن نفسه بأنه دخل في الإسلام، أو إخفاء ذلك، إنما كان يرجع إلى المسلم نفسه، وكان من الطبيعي أن الغالب فيمن يخشى على نفسه من إشهار إسلامه أن يخفي ذلك الإسلام، ولا يعلنه. وان من لم يكن يخشى على نفسه، لعزته وقوته أو لوجود منعة تحميه، فانه كان لا يبالي بان يشهر إسلامه، بل يقف موقف التحدي في إعلان إسلامه على الملا.

ومن قصة إسلام عمر بن الخطاب المشهورة ،نرى عدة شخصيات إسلامية لم يكن عمر بن الخطاب يعلم عن إسلامها من قبل، وهذه الشخصيات هي: نعيم بن عبدالله بن النحام، من بني عدي، أي: من البطن الذي ينتمي إليه عمر بن الخطاب نفسه. وسعد بن أبي وقاص، وخباب بن الارت، وسعيد بن زيد، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وزوج أخته فاطمة، التي كانت هي الأخرى من الشخصيات الإسلامية التي كتمت إسلامها كما جاء في هذه القصة.[١]

ومن جهة ثانية كان أبو بكر الصديق من الشخصيات الإسلامية الأولى التي لم تكتم إسلامها، فقد جاء في سيرة ابن هشام: " فلما اسلم أبو بكر رضي الله عنه، اظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله"[٢]. وهذا ما يدل على أن ما ورد عن النبي ﷺ بأنه أمر بعض من أسلم من

١- الحلبي ، السيرة الحلبية، ج١،ص٣٥٨،و الطنطاوي،علي، ناجي الطنطاوي، سيرة عمر بن الخطاب ،مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥٥هـ ، ص٢٩-٣٥،وسيشار لاحقا، علي الطنطاوي،سيرة عمر

٢-السهيلي،عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١ هـ /١١٨٦م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،٧ ج ، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مصر، دار الكتب المصرية، د. ت، ج١، ص ٢٨٧. وسيشار لاحقا، السهيلي، الروض الأنف،

المسلمين الأوائل بان يكتم إسلامه، لم يكن أمره ذاك على سبيل الإلزام بدليل إعلان أبي بكر لإسلامه، وبدليل إعلان هذا البعض لإسلامه، ولم ينكر النبي ذلك، مما يدل على أن الأمر بالكتمان إنما كان من باب الشفقة على المسلم أن يناله مكروه، وليس من باب الإلزام، وهذا واضح من قصة إسلام أبي ذر الغفاري التي وردت في صحيح البخاري، وقد كان أبو ذر الغفاري من السابقين الأولين إلى الإسلام. [١].

وهذه فقرات من حديث البخاري في إسلام ابي ذر الطويل، وتكفي للدلالة على ما نريد، جاء ما نصه: "....قال أبو ذر.... فمر بي علي، فقال: ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال: قلت له:.... بلغنا انه قد خرج ههنا رجل يزعم انه نبي.... فأردت أن ألقاه، فقال: هذا وجهي إليه، فاتبعني، ادخل حيث ادخل، فاني أن رأيت أحدا أخافه عليك، قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي، وامض أنت، فمضى، ومضيت معه حتى دخل، ودخلت معه على النبي ﷺ ، فقلت له: اعرض علي الإسلام؟ فعرضه، فأسلمت مكاني فقال، فقال لي: يا أبا ذر! اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا، فاقبل، فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم،.." [٢]

أن سياق هذه القصة التي وردت في صحيح البخاري يوحي بجو الاستخفاء الذي كانت تعيشه الجماعة، وتتجلى فيه سرية المقر الذي كان يقيم فيه الرسول ﷺ حيث يلتقي فيه بأصحابه، وبمن يريد مقابلته لشرح الفكرة الإسلامية التي يدعوها إليها. ويهمنا من القصة هنا أن الرسول ﷺ قد أمر أبا ذر بان يكتم إسلامه بقوله: " اكتم هذا الأمر".

وقد فهم أبو ذر أن مبعث هذا الأمر هو الحذر على أبي ذر من أن يناله مكروه من كفار قريش إذا علموا بإسلامه، وهو الغريب عن مكة، وليس له فيها من يحميه.... وليس مبعث الأمر

---

١ – الخضري، محمد ، نور اليقين في سيرة المرسلين ،دار القلم، دمشق، سوريا ،ص٣٢، وسيشار لاحقا ، محمد الخضري ، نور اليقين

٢ – ابن حجر، فتح الباري، ج ٦ ، ص٥٥٠.

هو وجوب سرية الجماعة نفسها- في هذه المرحلة- أو وجوب سرية الداخلين فيها، بدليل ما جاء في الرواية الثانية التي أوردها البخاري أيضاً لهذه القصة، فقد جاء ما نصه فيها: " ارجع إلى قومك، فاخبرهم، حتى يأتيك أمري"[١] ، فالأخبار هنا صدر بصيغة الأمر، وهو يشمل أخبار قومه " قبيلة غفار" بأمر الجماعة الجديدة وأفكارها، وبأمر إسلامه.. ومن هنا كان فهم أبي ذر أن الأمر بكتمان إسلامه في مكة إنما هو لمجرد الشفقة عليه، وليس أمر إلزام، ولذا لم يجد حرجا أن يعلن للرسول ﷺ عن عزمه على إظهار إسلامه على الملا من قريش، فلم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك. فعمد أبو ذر إلى المكان الذي تنتصب فيه آلهة قريش، وقريش تحت أقدام تلك الآلهة المزعومة، ورفع عقيرته بكلمة التوحيد، وكان ما كان مما جاء في القصة.

نخلص مما تقدم أن المرحلة الأولى لإقامة الدولة الموصوفة بمرحلة الاستخفاء، والاستتار إنما تتناول استخفاء المسلمين الذين كانوا يخشون على أنفسهم من إعلان إسلامهم.

أي: ليس جميع أفراد الجماعة كانوا ممن يستخفون بإسلامهم. نعم، كان الأكثرية من أفراد هذا التنظيم يلوذون في كنف الاستخفاء، بل أن منطق الأمور يقضي بان يختفي حتى شخص الرسول نفسه ﷺ في الظروف التي يخشى فيها على حياته.

جاء في صحيح البخاري ما نصه: "عن ابن عباس ا، في قوله تعالى: (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا) [٢] قال نزلت ، ورسول الله مختف بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقران، فإذا سمع المشركون سبوا القران،ومن انزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ) أي : بقراءتك فيسمع المشركون ، فيسبوا القران. (وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا) عن أصحابك، فلا تسمعهم . (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)"[٣] ، فمن هذه الرواية يتضح أن مفهوم الاختفاء لا يعني

١-ابن حجر، فتح الباري، ج٧،ص١٧٣.

٢- سورة الإسراء الآية ١١٠

٣- ابن حجر، فتح الباري ، ج ٨ ، ص٤٠٤-٤٠٥.

افكار الجماعة ، فقد كان الرسول ﷺ يختفي بشخصه حين يشعر بالخطر على حياته ، وفي الوقت نفسه كان يجهر بصلاته فيسمع أهل مكة أفكار الجماعة .

وهذا يعني أن أفكار الجماعة كانت علنية لا سرية ، مع وجود وصف الاختفاء في شخص النبي ﷺلظروف عارضة ، كما في تصريح ابن عباس : "وهو مختف بمكة" هذا والمنع الوارد في هذه الآية عن الجهر بالقراءة في الصلاة لا يدل على المنع من إعلان أفكار الجماعة ، وإنما هو نهي خاص عن كيفية من كيفيات ممارسة العبادة، أو إبلاغ تعاليم افكار الجماعة حين تتوفر في تلك الكيفية علة معينة، وهي كونها سبباً لإثارة الكفار ،وانقلابهم بالسباب للقيم المقدسة التي جاء بها الإسلام.

٣- العبادة في هذه المرحلة كانت تحت طائلة عقوية قريش أن كانت على جهة الإعلان والتحدي لعقيدة الشرك التي تسود في ربوع مكة.

ولهذا كانت غالبا ما تؤدي في السر، كما رأينا في قصة صلاة النبي وعلي التي اطلع عليها أبو طالب. كما جاء في حض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرسول ﷺ على إنهاء مرحلة السر والكتمان بقوله: " ما يحبسك بابي أنت، وأمي، فوالله ما بقي مجلس كنت اجلس فيه بالكفر إلا ظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف، لا نعبد سراً بعد اليوم!" [١]

٤- وأما مقر اجتماع صاحب الجماعة بأفرادها ، وما يعطى فيه من الثقافة المتصلة بافكار الجماعة، وكيفية حملها إلى الناس، وكذلك إرسال أفراد من التنظيم ممن تقدمهم في تحصيل ثقافة الجماعة إلى بيوت من دخل فيها حديثا لتثقيفهم بتلك الثقافة... فهذا كله بقي سراً في مرحلة الاستخفاء.

---

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣،ص٨٦

ثالثاً: التثقيف في دار الأرقم بن أبي الأرقم

وقع اختيار الرسول ﷺ على دار الأرقم، لتكون مقرا غير معلن لجماعته وافرادها والذين لزمهم تعلم أمور دينهم، ولقائهم بنبيهم الخ، وذلك لتفردها بعدة صفات، وميزات منها: اختار الرسول ﷺ دار الأرقم ابن أبي الأرقم، لوقوعها بمعزل أسفل جبل الصفا، وكانت غير مكشوفة لأعين الطغاة ومجالسهم ومراقبتهم [١]،

وهي محاطة بالسرية، ولا تحتاج عملية الوصول إليها، أو الخروج منها، إلى كبير عناء، أو احتياطات معقّدة، مع صعوبة رصد ومراقبة القادمين إليها والخارجين منها.

وليس بالدار موضع قد يستغله أعداء الجماعة، فيطلعوا من خلاله على ما يدور بداخلها، وهذا مما يجعل ما بداخلها بعيداً عن أعين الأعداء.. يضاف إلى ذلك، أن صاحبها الصحابي الأرقم، لا يمكن أن يبوح بسر إعطائه هذه الدار للجماعة، هذا بخلاف ما إذا كانت الدار لكافر. لم يكن الأرقم معروفاً بإسلامه، ولم يعلنه بعد، فما كان يخطر ببال قريش أن يتم لقاء الرسول ﷺ وأصحابه بداره. فضلاً عن أنه كان فتى عند إسلامه -في حدود ١٦ من العمر- ولا يتوقع أن تبحث قريش في بيوت الفتيان من أصحاب الرسول ﷺ، بل يتجه تفكيرها إلى كبار الصحابة.

هذا إلى جانب أن الأرقم من بني مخزوم، التي كانت تحمل لواء الحرب ضد بني هاشم، فلو كان الأرقم معروفاً بإسلامه، لصعب أن يكون اللقاء في داره، لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو[٢].

ولم يرد أن قريشاً داهمت ذات يوم هذا "المقر السري"، بل أقصى ما توصلت إليه هو شكها أن يكون اللقاء في دار عند الصفا.

---

١ – ابن هشام، السيرة النبوية ، ج١،ص:٢٥٣

٢ – الغضبان،منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٢ ج ، ط ١ ، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ص٤٩، وسيشار لاحقا، الغضبان، المنهج الحركي

ومما يدل على ذلك، أن قيادياً مثل "عمر بن الخطاب"، عندما أراد إعلان إسلامه، لم يعرف مكان النبي ﷺ، فلو كانت تلك الدار معلومة لدى قريش، لما سأل عنها، بل لذهب إليها مباشرة.. وهذا يظهر مدى حرص الصحابة على إخفاء خبر هذه الدار، فلم يبوحوا بها إلى أحد سوى المسلمين فقط.

كانت براعة عملية تنظيم الدخول والخروج وهي تعد من أخطر الجوانب الأمنية، التي يؤدي إغفالها إلى كشف ومعرفة المقر قد ساعدت على الاحتفاظ بسرية المقر. وهذه الدقة البارعة، تتبدي من خلال موقفين: الأول، لسيدنا "علي" مع سيدنا "أبي ذر"، فعندما أراد سيدنا عليّ أخذ سيدنا أبي ذر إلى دار الأرقم، لمقابلة الرسول ﷺ، اتفق معه على مصطلح معين في حالة وجود مراقبة، أو متابعة من قبل الأعداء، فقال له : "إن رأيت أحدا أخافه عليك، قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي"، وفي لفظ : "كأني أريق الماء، فامض أنت" [١]

بذا يتجلى الاهتمام بعملية الذهاب إلى المقر، فهو يدل على أن عليا بن أبي طالب، كان يراقب الأعداء أثناء ذهابه، فإذا رأى من يراقبه غيّر وجهته، وأمر أبا ذر –هنا– أن يغير وجهته، بقوله: "فامض أنت". أما الموقف الثاني، فلأم جميل مع أبي بكر ، فعندما أخذت أم جميل وأم الخير أبا بكر رضي الله عنه، إلى دار الأرقم، قال ابن كثير: "فأمهلتا –أي أم جميل وأم الخير– حتى إذا هدأت الرّجل، وسكن الناس، خرجتا به، يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ" [٢] ومن جوانب الحماية ، تصميم الباب الذي ترك فيه شقوق – فتحات– يمكن من خلالها مشاهدة من بالخارج،ولقد ظهر لنا ذلك من قصة إسلام عمر رضي الله عنه[٣].

١– ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ /١٢٠٠م)، تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أسامة عبد الكريم الرفادي،د. ت ،ص١٠.وسيشار لاحقا، ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب

٢ – ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٣، ص٣٠

٣ – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣،ص٨٦

رابعاً: بناء الجماعة

قام الرسول ﷺ بإنشاء ما يمكن تسميته بالحلقات الصغيرة ٣- ٥ أشخاص، ذلك لأن فترة بدء المرحلة تستلزم قلة الاجتماعات والمجتمعين.. حفاظا عليهم وحمايةً للجماعة، ومنعاً لتسرب المعلومات، ومما يجعل ترتيب اللقاء أمراً ميسوراً، وذلك لسهولة الوصول على المقر .كذلك فإن هذا العدد الصغير ليس ملفتاً للنظر، ولا مثيرا للشبهات، تلكم الحلقات الصغيرة غايتها: تلقي تعاليم ومناهج الدعوة وممارسة شعائرها، وتحقيق المودة والتاخي بين أفراد الجماعة .

ولقد لجأ الرسول ﷺ إلى إرسال بعض الدعاة إلى الأسر المؤمنة ليعلموهم القرآن الكريم، وينقلوا إليهم أخبار وتوجيهات الرسول ﷺ يتضح ذلك فيما رواه ابن إسحاق عن قصة إسلام عمر في حديث طويل جاء فيه : "فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها مطلع سورة طه يقرئهما إياها" [١] فهذه المجموعة تتكون من ثلاثة أشخاص يقوم فيها سيدنا خباب بتعليم سعيد وزوجته فاطمة القرآن.

إن أداء الصلاة جماعة في مكان عام واحد باستمرار، وانتظام، ملفت للانتباه في هذه المرحلة الأولية، مما قد يؤدي إلى كشف الجماعة المسلمة، وتفادياً لذلك كان النبي ﷺ وصحبه يؤدون الصلاة في شكل جماعات صغيرة متفرقة، قال ابن إسحاق:"إن رسول الله ﷺ خرج إلى شعاب مكة وخرج معه عليّ بن أبي طالب -وفي رواية زوجه خديجة- مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه، وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها" [٢].

فهذه جماعة من أفراد الجماعة ،تضم قائدها، وابن عمه، وزوجه لتأدية شعيرة الصلاة.

١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٢، ص١٥

٢- ابن هشام،السيرة النبوية، ج١،ص٢٤٦

وقال ابن إسحاق : "فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يؤدون الصلاة..) [١]، وفي قصة إسلام عمر رضي الله عنه، التي رواها عمر بنفسه حيث قال : "..وقد كان رسول الله ﷺ يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما، عند رجل به قوة يكونان معه، يصيبان من طعامه" [٢]

ولا غرابة أن يوزع الرسول ﷺ فقراء المسلمين على هذه المجموعات، وهو عمل تقتضيه ظروف المرحلة، كي لا يكون الفقر سبباً وعائقاً يحول دون دخول الناس في الإسلام، وتسد هذه الثغرة أمام الأعداء، حتى لا يستغلوا فقر المسلمين.

إذا هذا ما نلاحظه في المرحلة الأولى من منهج الرسول في بناء الدولة ، فهو دور دعوة الناس إلى الإسلام وتثقيفهم بأفكاره وتلقينهم أحكامه ، وتكتيل من يستطيع التكتل على أساس العقيدة الإسلامية ، وهو دور التكتل السري في الدعوة حيث كان الرسول ﷺ لا يفتر عن طرح الافكار ويدأب على تثقيف من يدخلون في الإسلام بالأفكار ويجمعهم في دار الأرقم وبذلك لم تستطع الأفكار أن تبقى حبيسة في نفوسهم رغم استخفائهم ورغم سرية تكتلهم والحرص على إخفاء تجمعهم ، فأخذوا يتحدثون إلى من يثقون بهم وإلى من يأنسون منهم استعداداً لقبول الأفكار

وبهذا أحس الناس على دعوتهم وعلى وجودهم ، فاجتازت الجماعة بذلك نقطة الابتداء وصار لا بد أن ينطلق ، ووجدت المحاولات لانطلاقه ومخاطبة الناس جميعاً بأفكاره .

١- ابن هشام، السيرة النبوية، ج١،ص٢٨٢.

٢- الحلبي ، السيرة الحلبية، ج١،ص٣٥٨.

وبذلك انتهت المرحلة الاولى وهي التكتل السري والتثقيف الذي يبني هذا التكتل وبدأت مرحلة ثانية في منهجه ﷺ في إقامة دولة الإسلام الأولى وهو مرحلة الجهر بالجماعة والتفاعل مع المجتمع من خلال العمل الفكري والسياسي وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثاني ان شاء الله.

خامسا: مرحلة التفاعل مع المجتمع

تجلى لنا فيما سبق كيف أن المرحلة الأول من حياة الجماعة في مكة. لم تكن مرحلة كتمان الأنفاس لهذه الجماعة، كما لم تكن مرحلة حبس للسان هذه الجماعة في فمها، بحيث أن مسامع أهل مكة لم تقرعها بلاغات تلك الافكار بين جنبات مكة فقط ، بل جاوزتها حتى وصلت إلى مسامع القبائل العربية البعيدة عن مكة، كما رأينا في حديث البخاري[١] عن قصة إسلام أبي ذر الغفاري، الذي صنف"[٢] في عداد من أسلم في المرحلة الأولى.

ويبدو أن جو الحذر والترقب، والاستخفاء بالإسلام، من قبل أكثر من دخل فيه، ووقوف جبروت قريش في وجه هذه الجماعة، وتهديد من يتجاوب معه.. كان ذلك له دور كبير في تأخير كسب أشخاص جدد إلى هذه الجماعة، فقد وقف عدد المسلمين بعد جهود سنوات ثلاث من دعوة القوم إلى الإسلام عند حدود ما يقارب أربعين شخصاً كما سبق[٣].

ويبدو أنه قد ظهرت رغبات في محيط الجماعة تدعو إلى الانتقال به إلى مرحلة جديدة، مرحلة الجهر والإعلان، بمعنى أن يعلن كثير ممن كان يستخفي بإسلامه، أن يعلنوا على الملأ، وبالفم الملآن، أنهم من الجماعة، في تحد سافر لعنجهية قريش، وغطرستها.

وأن يأخذوا أهبتهم من أجل الدخول في صراع فكري مع أصحاب العقيدة الوثنية، ويبدو أنه كان من تقدير أصحاب تلك الرغبات أن هذا الإعلان بهذا المفهوم، وخوض معترك الصراع الفكري بين

١- ابن حجر، فتح الباري ، ج٦ ، ص٥٤٩ – ٥٥٠.

٢- الخضري، نور اليقين ،ص ٣٢.

٣- الطنطاوي ، أبو بكر الصديق، ص ٤٠.

أفكار الإسلام وأفكار الوثنية ، من شأنه أن يكون له أثر كبير في تجلية الأفكار الإسلامية، وجعلها محور الحديث بين الناس، وفضح خرافة الأفكار الوثنية، وجعلها مكشوفة العوار! الأمر الذي سيؤدي بالنتيجة إلى غلبة الأفكار الإسلامية الصحيحة على الأفكار الوثنية الباطلة، فيقبل الناس على الدخول في هذه الجماعة، تاركين العقيدة الوثنية تواجه مصيرها المحتوم.

هذه هي الرغبات التي ظهرت في محيط الجماعة، وربما كان يشفع لها أن استمرار الحال طويلاً في موقع ثابت دون شعور بالتقدم إلى مواقع جديدة مع التعرض للاضطهاد الدائم، قد تكون له انعكاسات سلبية على مشاعر المؤمنين بهذه الجماعة بما يخشى أن يؤدي ذلك إلى استجابة البعض لضغوط الفتنة التي يمارسها الكفار ضد المسلمين[١].

وفي هذه الحال غالباً ما تكون المغامرة في مواجهة القلة المؤمنة للكثرة الكافرة في حلبة الصراع الفكري، حينما تكون هذه القلة، راسخة الإيمان بفكرتها، واضحة في التعبير عنها، قوية في الاحتجاج لها، محيطة بمعرفة مقاتل الفكرة المضادة، ذكية في عرض معانيها، وفضح مخازيها، ماضية العزم والإرادة على الصمود والتصدي في حلبة هذا الصراع ، لهذا غالباً ما تكون مواجهة هذه القلة المؤمنة لتلك الكثرة الكافرة – في إطار ما ذكرناه– هي أكثر فائدة للجماعة وللمؤمنين بها في كسب المواقع والأشخاص على المدى البعيد من البقاء في ظل الاستخفاء، حرصاً على سلامة الجماعة، وسلامة الحاملين لأفكارها مهما ترتب على ذلك في المدى القريب من عناء وبلاء، وخسائر وتضحيات!

ويبدو أن الوحي الذي كان يرسم خطوات السير لهذه الجماعة كان يرهن الإذن بدخولها في مرحلة الصراع والمجابهة على تعاظم ذلك العزم على الظهور في أفراد الجماعة، وعلى وجود العدد الكافي من المسلمين لمثل هذه الخطوة الجريئة، وعلى انضمام أشخاص أقوياء إلى حزب الرسول

١-الحلبي ، السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٢١ – ٣٢٢.

ﷺ ، يوفرون له وللمسلمين العزة والهيبة ، لتحميهم من بعض ما يتوقع أن يواجهوه من أذى واضطهاد، أكثر من ذي قبل، نتيجة للخطوة الجديدة.

ويبدو كذلك أن هذه المرحلة مرحلة الظهور والإعلان بالمفهوم الذي خلص اليه الباحث، لم يكن دفعةً واحدة، وإن كان قد بلغ مداه حين أعلن "عمر بن الخطاب" واليقين يملأ قلبه، أنه قد انتقل إلى الخندق الآخر من المعركة، محولاً ما كان يحمله لهذه الجماعة، من سخط عاصف وعنفوان جارف إلى الاتجاه المقابل، وأصبح من أشد المؤمنين صلابة، وتحدياً في وجه المشركين.

يدل على كل ما سبق عدة أمور منها:

١. ما جاء في السيرة الحلبية من "أن رسول الله ﷺ لما دخل دار الأرقم ليعبد الله تعالى، ومن معه من أصحابه فيها سراً.. وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ في الظهور، أي: الخروج إلى المسجد، فقال: يا أبا بكر! إنَّا قليل! فلم يزل به حتى خرج رسول اللهﷺ، ومن معه من أصحابه إلى المسجد، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس، دعا إلى الله ورسوله، فهو أول خطيب دعا إلى الله تعالى، وثار المشركون على أبي بكر، وعلى المسلمين يضربونهم، ووطيءَ أبو بكر بالأرجل.. وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين، أي: مطبقتين – ويحرفهما إلى وجهه، حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه، فجاءت بنو تيم –قوم أبي بكر– يتعادون، فابعدت المشركين عن أبي بكر وحملوه في ثوب... إلى منزله، ولا يشكون في موته... ثم رجعوا، فدخلوا المسجد، فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة..!" [١].

١- الحلبي، السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٢١ – ٣٢٢.

هذا ما جاء في السيرة الحلبية عن المحاولة الأولى في إظهار الجماعة على الملأ، والإعلان عن الجماعة، بصورة فيها الكثير من التحدي، والجرأة وما ترتب على هذه المحاولة من أذى بالغ، وعذاب شديد!

ويقول "علي الطنطاوي" معلقاً على هذا الموقف في كتابه "أبو بكر الصديق" يقول: "كان الصديق أول من ألحَّ على رسول الله ﷺ بالظهور، وذلك قبل إسلام عمر ، وإن كان الناس يظنون أن "عمر" أول من ظهر، وأول من ضرب المشركين وضربوه، لما اشتهر من سيرة عمر، وما اختفى من سيرة أبي بكر!" [١].

٢. ومما يدل على كيفية البدء بالدخول في المرحلة الجديدة، مرحلة الظهور والإعلان بالمفهوم الذي سبق بيانه – ما حصل على إثر نزول قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[٢].

قال ابن كثير في تفسيره: " ما زال النبيﷺ مستخفياً حتى نزلت: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " فخرج هو، وأصحابه"[٣].

وقال الشوكاني(ت١٢٥٠هـ /١٨٣٥م) في تفسيره: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " ... قال الفراء: أظهر دينك"[٤].

فالأمر بالصدع قد فسره الرسول ﷺ بالسنة العملية والتقريرية في خروجه مع صحبه على الملأ، كما تجلى في تحقيقه ﷺ لهذا الأمر عقب نزول الآية: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ "، وكما في

١–علي الطنطاوي ،أبو بكر الصديق ، ص ٤١.

٢–سورة الحجر: الآية ٩٤.

٣–ابن كثير ، تفسير ابن كثير ،ج ٢، ص ٥٥٩.

٤– الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ /١٨٣٥م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، ٩ ج ط ٣ ، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٩ م ،ج٣ ، ص ١٤٣ – ١٤٤،وسيشار لاحقا، الشوكاني، فتح القدير

خروجه عليه الصلاة والسلام مع صحبه إلى المسجد، وقيام أبي بكر خطيباً يدعو المشركين إلى الله والى رسوله.

ولكن إظهار الدين هنا يشمل فيما يشمل إظهار شعائر هذا الدين مما كان يجري الاستخفاء به من قبل، لظروف الخوف والحذر وكان من نتيجة هذا الشروع في مرحلة الجهر والإعلان أي: أن يعلن كثير من المسلمين إسلامهم، وأن يخرجوا مع الرسول إلى الكعبة في تحد سافر، وأن يظهروا الجماعة وأفرادها و شعائر العبادة والدين، مما رأت فيه قريش استفزازاً لمشاعرها، وأن يشتبكوا مع المشركين في حلبة الصراع الفكري، بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الوثنية[١]، مما يتمخض عنه التفريق بين الحق والباطل، وهو ما يدخل في مدلول "الصدع" المأمور به، كما جاء في تفسير الطبري من قوله: "فأصدع" أي: أجهر بما تؤمر، وأظهره، ليفرق بين الحق والباطل"[٢].

لهذا كان من نتيجة هذا الشروع في مرحلة الجهر والإعلان ، أن ثارت ثائرة قريش وهي ترى كرامة قيمها، وآلهتها تمرغ في الأوحال، وتوطأ بالأقدام، فنهضت للدفاع عن آلهتها تصب جام غضبها وسخطها على الجماعة الجديدة، وعلى من تستطيع الاعتداء عليه من اتباع هذه الجماعة.

جاء في الروض الانف: "قال ابن إسحاق: فلمّا بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام، وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه – فيما بلغني– حتى ذكر آلهتهم، وعابها، فلما فعل ذلك، أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه، وعداوته، إلا من عصمه الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحدب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه، (أيْ: حماهُ) وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره، لا يرده عنه شيء"[٣].

١- انظر على سبيل المثال، الحوار حول فكرة البعث، والخلق في سورة العنكبوت، الآيات [١- ٦٥] وهي من السور المكية، وفي يس، الآيات٧٨ – ٨٣. وهي من السور المكية أيضاً

٢- الطبري،تفسير الطبري، ج ١٤ ص٣٦.

٣- السهيلي، الروض الأنف.، ج ٢، ص ٣- ٤.

ثم يقول: "قال ابن إسحاق: ثم إنَّ قريشاً تذمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب"[١].

وهنا ، كان لا بد من إيجاد مخرج من هذه المحنة التي نزلت بالمسلمين، خوفا عليهم من خطر الفتنة، أو خطر التصفية... فندب رسول الله ﷺ من يستطيع منهم أن يخرجوا إلى الحبشة." قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ما يصيب به من البلاء... وانه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام"[٢]

وهكذا نجد أنه كان من معاني الهجرة إلى الحبشة أنها ضريبة الدخول في المرحلة الجديدة للجماعة، وهي مرحلة الظهور والإعلان التي كان لا بد من الدخول فيها للتقدم برسالة هذه الجماعة إلى الأمام.

٣- ومما يدل أيضاً على بداية الدخول في هذه المرحلة الجديدة، ورؤية بعض المسلمين ضرورة الانتقال إلى مرحلة الظهور والإعلان ما ورد في قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب، عم النبي عليه الصلاة والسلام. فقد عمد إلى أكابر قريش في ناديهم حول الكعبة،وفيهم أبو جهل، بعد أن بلغه أن أبا جهل هذا قد آذى ابن أخيه محمدا عليه السلام وشتمه،فما كان من حمزة إلا أن رفع قوسه، وضرب بها أبا جهل، وهو بين الملأ من قريش

١- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص ٩.

٢ – السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص٧٠

" وشجه شجة منكرة"، ثم قال:أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول،فرد علي ان استطعت!" [١]ثم رجع حمزة إلى رسول اللهﷺ ودخل حوار معه كان من نتيجته أن تحول معنى الموقف الجديد الذي اتخذه من الجماعة، وصاحبها من إيمان دفع إليه الغضب والعصبية إلى إيمان عن قناعة ويقين! وهنا قال حمزة لابن أخيه عليه الصلاة والسلام: " أشهد أنك لصادق! فأظهر يا ابن أخي دينك!" [٢]

وكان إعلان حمزة لإسلامه على هذه الصورة الصارخة، على رؤوس الأشهاد دون أن يجرؤأحد على الرد عليه، بالغ الأثر في نفس صاحب الجماعة، وهو يخطو خطواته الأولى للانتقال بدعوته من مرحلة إلى اخرى.

جاء في السيرة الحلبية: " وسر رسول الله بإسلام حمزة سروراً كبيراً، لأنه كان أعز فتى في قريش، وأشدهم شكيمة...." [٣]،وهكذا سمع في محيط الجماعة في هذه الآونة صوت جديد يحض على الانتقال إلى مرحلة الجهر والإعلان!.

٤- وكان الدخول النهائي في مرحلة الظهور والإعلان، والمضي قدما في هذا المرحلة حين أعلن " عمر بن الخطاب" إسلامه، وأعلن للنبي عن رغبته في الانتقال بالجماعة بقوة إلى مرحلته الجديدة، وذلك في قوله للنبي ﷺ: " لا نعبد سراً بعد اليوم!" [٤] وفي قوله أيضاً: " يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا؟ قال عليه السلام: بلى، والذي نفسي بيده أنكم على الحق، ان متم وان حييتم. قال: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن.

---

١ – السهيلي، الروض الأنف ،ج٢، ص٣٤.

٢- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١، ص٣٣٣.

٣- الحلبي ، السيرة الحلبية ،ج١ ، ص٣٣

٤ – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣،ص٨٦

فخرج عليه السلام في صفين: (عمر) في احدهما، و (حمزة) في الآخر. له كديد ككديد الطحين [١] حتى دخل المسجد فنظرت قريش إلى عمر والى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط، وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق"[٢]

ولما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به" [٣] .

ويقول ابن مسعود:لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا، فصلينا" [٤] ، وورد في صحيح البخاري عن ابن مسعود، انه قال: " ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر".[٥]

هذا بعض ما قيل في وصف الظهور النهائي في هذه المرحلة الثانية من حياة الجماعة في مكة على أثر إسلام عمر بن الخطاب بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام [٦] ولكن ينبغي ألا نفهم من أمثال هذه الروايات حول أثر إعلان عمر انضمامه للجماعة ،ينبغي ألا نفهم من ذلك أن الأذى قد ارتفع عن المسلمين بإسلامه،لا بل أن مراجل الحقد والعداوة ضد المسلمين قد فارت أكثر وأكثر، حين أسلم عمر، نتيجة لتعاظم الخوف عند المشركين من القوة الجديدة التي امتلكها الصف الإسلامي، فتعاظم لدى الصف المضاد دفاعه عن القيم الجاهلية ومقدسات الشرك بما يناسب ذلك الخوف، وبما يقابل تلك القوة الجديدة التي رفدت الجماعة .

---

١ – الكديد: التراب الناعم، فإذا وطئ ثار غباره، أراد أنهم كانوا في جماعة، وان الغبار كان يثور من مشيهم.ابن منظور ،لسان العرب،ج١٣،ص٢٦٤

٢ –ابن حجر، الاصابة ،ج٤،ص٢٨٠

٣ – ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص١١.

٤ –البخاري، صحيح البخاري ، ج٣،ص١٤٠٣

٥ –ابن حجر، فتح الباري ،ج٧، ص١٧٧

٦ – السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٩٦.

حتى أن عمر نفسه قد شهد بعينه ذلك العدوان وهو ينصب على إخوانه الجدد من المسلمين، بعدما أسلم، فأبت عليه كرامة الإخوة الإسلامية أن يكون هو بمنأى عن العدوان بسبب الحماية التي خلعها عليه " العاص بن وائل السهمي" [١] بينما إخوانه يسامون سوء العذاب!.

ولذا فقد أحب أن يناله ما ينال سائر المسلمين من المعاناة على النحو الذي رواه عن نفسه... قال:" كنت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب .... فقلت : الناس يضربون ولا أضرب!! فلما جلس الناس في الحجر - وهو المكان الذي تجتمع فيه قريش في ظل الكعبة- أتيت خالي، فقلت تسمع؟ قال: ما أسمع؟ قلت: جوارك مردود عليك! قال لا تفعل ، فأبيت! قال: فما شئت! قال: فما زلت أضرب وأضرب، حتى أظهر الله الإسلام"[٢].

هذا، والذي يُفهم من أحداث هذه الفترة الانتقالية من مرحلة الاستخفاء إلى مرحلة الظهور والإعلان ، أن من معاني ظهور الجماعة بعد إسلام حمزة ثم عمر، هو أن المسلمين قبل ذلك لم يكونوا يقوون على الدفاع عن أنفسهم ضد ما كان يصيبهم من ضرب وإيذاء.. أو رأوا أن الإمساك عن الدفاع، والصبر على الإيذاء هو أسلم لهم من الدفاع، نظراً لأن اللجوء إلى الدفاع وهم قلة، وليس بينهم بعد عدد من المسلمين، ممن تخشى قريش صولتهم، ربما أدى ذلك إلى أن يتخذ الكفار من هذا اللجوء إلى الدفاع ذريعة لخوض حرب مسلحة حقيقة ضد المسلمين تكون فيها تصفيتهم.

من هنا، كان موقف المسلمين في مرحلة الاستخفاء من حملة الاضطهاد التي شنها المشركون عليهم هو الاعتصام بالصبر، والإمساك عن الرد، ولكن هذا الموقف كان يعطي عن الجماعة، وعن المسلمين في تلك المرحلة انطباعا بالضعف والهوان.

---

١ - ابن حجر، فتح الباري ،ج٧،ص١٧٧.

٢-ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب، ص٨.

ومن هنا كان تشوف النبي ﷺ أن يعز الله الإسلام بأحد العمرين: "عمرو بن هشام- أبي جهل- أو عمر بن الخطاب"[١].

فلما أسلم حمزة، ثم أسلم عمر، ارتفعت معنويات المسلمين، وأصبحوا يقوون على مقابلة الضرب بالضرب، مما أزاح عن المسلمين ثقل الشعور بالاستضعاف، وأنبتت في نفوسهم الإحساس بالعزة، التي أعلن عنها ابن مسعود فيما رواه البخاري: "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"[٢] وكان ذلك معنى من معاني ظهور الجماعة، بإسلام عمر في هذه المرحلة الجديدة.

ولعل فيما ورد في الروض الانف ، ما يشير إلى هذا المعنى، وذلك في وصفه لأثر إسلام عمر بعد إسلام حمزة في نفوس المسلمين، مما دفعهم إلى الخروج من المكان الذي كانوا يستخفون فيه، قال بعد ذكره لإسلام عمر: "فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله وينتصفون بهما من عدوهم"[٣].

واستمرت هذه المرحلة الجديدة دون تقدم يذكر في تحويل دفة المجتمع الجاهلي في مكة نحو الإسلام، فقد كانت مجاديف صناديد الشرك في توجيه سفينة ذلك المجتمع شطر اتجاهها القديم أكثر عشرات المرات من المجاديف القليلة التي يملكها المسلمون.ومن هنا نفهم كلام عمر رضي الله عنه في خطابه لكفار قريش: " أحلف بالله! أن لو كنا ثلاثمائة رجل، لتركناها لكم، أو لتركتموها لنا"[٤].

---

١ - السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص٩٦

٢ - ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص١٧٧ .

٣ -السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٩٦

٤ - السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٩٨

سادسا: موقف قريش العدائي ضد الجماعة الجديدة ورجالها

تضم كُتب السيرة النبوية العديد من الاخبار لهذه المرحلة قال ابن إسحاق: "ثم إنهم –أي كفار قريش– عدوا على من أسلم.... فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم، بالضرب، والجوع، والعطش، وبرمضاء[١] مكة، إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم، ويعصمه الله منهم"[٢].

وجاء في صحيح البخاري عن "عبد الله بن عمرو بن العاص": "وقال: رأيت عقبة ابن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ، وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقا شديداً، فجاء أبو بكر، حتى دفعه عنه، فقال:(أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) [٣]؟"[٤].

وجاء في "الروض الانف" للسهيلي: "قال أبو جهل لسمية، أم عمار بن ياسر: ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله، ثم طعنها بالحربة في قبلها" قال: "والأخبار في هذا المعنى كثيرة"[٥] .

وتصور الرواية التالية، مدى القهر والعذاب الذي كان يلحقه الكفار بالمسلمين في مكة بسبب إسلامهم: "عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب وما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم! والله، إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه ويعطشونه، حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: آللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول:

١– "الرمضاء: الحجارة الحامية من حر الشمس"ابن منظور، لسان العرب،ج٢ ،ص٩١.

٢–السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٦٧

٣– سورة غافر، الآية: ٢٨

٤–ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٢٢ .

٥–السهيلي، الروض الأنف ،ج ٢، ص٤٨.

نعم! حتى إن الجعل[١]. ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم! افتداء منهم مما يبلغون من جهد"[٢].

وفي جواب ابن عباس للسائل في هذه الرواية إشارة إلى العذر الذي أنزله الله عز وجل في حق المسلم الذي يطيع الكفار فيما يكرهونه عليه من الكفر نتيجة لممارسات العنف والتعذيب: وذلك في قوله عز وجل: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "[٣].

ولكن ما الذي كان عليه موقف المسلمين إزاء هذا العنف الذي كان كفار قريش يسلطونه عليهم؟ هل كان موقفهم موقف إمساك عن الدفاع، وحمل النفس على تلقي الأذى بما وسعهم من صبر واحتمال؟

أم هل كان موقفهم موقف إقدام على الدفاع، والرد على الصاع بالصاع؟

أم هل كان موقفهم موقف الزجر والردع؟ بمعنى: مبادرة من يتحفز للاعتداء من الكفار، بمواجهته بمثل ما يهم القيام به من اعتداء – قبل أن يقوم هو به! وذالك على سبيل رد العدوان قبل وقوعه!.

أي تلك المواقف الثلاثة، كان هو موقف المسلمين تجاه ما كان يصيبهم من المشركين من أذى واعتداء؟

١- الجعل، وجمعه: جعلان: ضرب من الخنافس، مختار الصحاح، ص٨٧.

٢-السهيلي، الروض الأنف ،ج ٢، ص٦٩.

٣- سورة النحل، الآية: ١٠٦.

سابعا: موقف الرسول ﷺ وجماعته من عدوان قريش عليهم.

تدل الوقائع التي جرت بين المسلمين وبين أصحاب العدوان من كفار قريش في مرحلة ما قبل الهجرة، أن كلا من تلك المواقف المذكورة قد اتخذه المسلمون، ولم يقتصروا على موقف واحد التزموه، وذلك تبعاً لاختلاف الأحوال، فيختارون لكل حالة لبوسها من الموقف المناسب الذي يصلح لها، بحيث يحمون الجماعة واتباعها، مخاطر التصفية النهائية، أو خطر الضربة البالغة التي توقف مسيرة الجماعة!.

أ- أما موقف الإمساك عن الدفاع، فهو نوعان:

موقف الإمساك عن الدفاع- مع فقد الحيلة إليه.

وموقف الإمساك عن الدفاع- مع توفر القدرة عليه.

أما موقف الإمساك عن الدفاع مع فقد الحيلة إليه فهو ما كان عليه حال المستضعفين من المسلمين ممن لا منعة لهم تعضدهم إذا ما أرادوا الدفاع عن أنفسهم وذلك أمثال "آل ياسر"[١]، و"بلال بن رباح"[٢] من المملوكين، وأمثال "عبد الله بن مسعود" من الأحرار.

جاء في الروض الانف ،عن الزبير بن العوام قال:

"كان أول من جهر بالقران بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به – قط- فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه! قال: دعوني، فإن الله سيمنعني قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم – رافعاً بها

١-السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٦٨

٢-السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٦٧

صوته- "الرحمان، علم القرآن" قال: ثم استقبلها يقرؤها، قال: فتأملوه، فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: ليتلوا بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه، فجعلوا يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك! فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن! ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا! قالوا: لا، قد أسمعتهم ما يكرهون!" [١].

وأما موقف الإمساك عن الدفاع مع القدرة عليه فكان يتجلى في موقف النبي ﷺ إذ يتلقى عدوان قريش بالصبر والإغضاء مع قدرته على الانتصاف والانتصار، وذلك باستخدام قوته الذاتية، وبالاعتماد على المنعة التي يتمتع بها في "بني هاشم" و"بني المطلب" لو أراد! وقد قال عليه الصلاة والسلام بصدد هذه المنعة: "إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد"[٢] "إنهم لم يفارقونا في جاهلية، ولا إسلام"[٣].

ولو فعل عليه الصلاة والسلام، واستنصر بمنعته، إذن، لقطع أيدي المتجرئين عليه أن تناله بسوء كما لم يستطع أحد أن ينال من عمه حمزة بن عبد المطلب بسوء بسبب قوته الذاتية، والمنعة التي يملكها في عشيرته، فقد وجد بعض السفهاء من الكفار في ذلك باباً مفتوحاً للتجرؤ على النبي ﷺ ، والنيل منه!.

ولكن لما كان رسول الله ﷺ يؤثر موقف كف اليد عن الدفاع، على موقف بسط اليد في الإقدام على الدفاع؟

١-السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٤٧

٢- ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٢٤٤

٣- يريد أن "بني المطلب" لم يفارقوا نصرتهم لبني هاشم البيهقي،السنن الكبرى، ج٦، ص٣٤١.

نلاحظ أن لهذا الموقف آثارا وثمرات كان الرسولﷺ يتوقعها يذكر منها:

١- رسم القدوة من صاحب الجماعة لأتباعه في أن يتحملوا ما يفرضه عليهم السير في طريق الجماعة من صنوف العذاب، وضروب الاضطهاد، فهذا هو الطريق حتى يكتب له النصر فوق ما في الصبر على تكاليف الدعوة من عظيم الأجر!.

٢- ومنها الشعور بالعزاء، والسلوان الذي يجده المستضعفون في نفوسهم، حين يرون رسول الله ﷺ يناله من الأذى في سبيل الله، فيمسك عن الدفاع عن نفسه حرصا على الثواب، وحرصا على مصلحة الجماعة، مع أنه مؤيد بمنعته في عشيرته، بل مؤيد من السماء في ذلك الدفاع لو أراد .

هذا الموقف من الرسول ﷺ مع القدرة على الدفاع لو شاء، يجعل المستضعفين يشعرون بالسلوان لما يحل بهم على أيدي المشركين، فيخفف عنهم الإحساس بالمعاناة، ويشحن نفوسهم بالمصابرة، ومغالبة الأهوال!.

٣- ومنها ما يترتب على موقف الصبر من الرسول ﷺ وصحابته من نشوء التنبه لدى المشركين على أنه لولا يقين الجماعة وأفرادها بصدق رسالتهم التي يحملون ما وقفوا هذا الموقف الصلب أمام التحديات والمجابهات، فيدعوهم ذلك إلى إعمال التفكير في التحري عن صدق صاحب هذه الجماعة فيما جاء به، بدلاً من اعتماد الرفض المبني على التعصب الأعمى للوثنية الموروثة! وهذا وحده كسب للجماعة من شأنه أن يؤدي إلى اعتناق أفكارها، والالتحاق في صفوفها، ولعل في إسلام "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه بعض ما يدل على هذا المعنى الذي ذكرناه"[١].

١- يعني، انكسار ثورة عمر أمام صلابة أخته وزوجها التي كانت بداية الانعطاف في موقفه من الدعوة أنظر: قصة إسلام عمر في السهيلي، الروض الأنف ،ج٢، ص٩٥-٩٦.

٤- ومنها: أن موقف الصبر من شأنه أن يولد الإحساس لدى بعض المشركين بمدى الظلم الذي يحمله قادة الكفر للإنسان إذ يسلطون عليه العذاب بسبب عقيدة آمن بها! الأمر الذي يجعلهم ينفصلون شعورياً عن أولئك القادة تبعاً لكراهية الإنسان الطبيعية للظلم.

كما يجعلهم ينعطفون وجدانياً نحو المسلمين المقهورين بسبب ما جبلت عليه النفوس من ميل غريزي تجاه المستضعفين، وهذا إن لم يجعلهم في صف الجماعة فهو كفيل ألا يجعلهم يتناولونه بالأذى، وفي ذلك فائدة للجماعة لا تنكر.

٥- ومنها: الحيلولة دون تطوير الموقف العدواني الذي يحمله المشركون ضد المسلمين بحيث يصل إلى المواجهة المسلحة مما يعرض الجماعة وأفرادها لخطر التصفية في تلك المرحلة من الدعوة التي لا تملك فيها كياناً ولا جيشاً تستطيع بهما مواجهة قريش في ميدان القتال.

هذه بعض فوائد الاعتصام بالصبر والعزوف عن التصدي للدفاع الذي أخذ به النبي ﷺ بعض من صحابته إزاء العدوان الذي واجهت به قريش صاحب الجماعة، والعاملين معه، ولعل فيها بعض التفسير للترغيب في اعتماد هذا الموقف، وتفضيله على موقف الاندفاع في الرد على العنف بالعنف، وعلى السيئة بأختها في هذه المرحلة من عمر الجماعة في مكة قبل الهجرة.

ب- أما موقف الدفاع، والرد على الضرب بالضرب، وعلى العنف بمثله، فانه يتجلى في الحادثة التالية التي رواها ابن إسحاق قال:"كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب[١]، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين – وهم يصلون– فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون

١- الشعاب: مفردها شعب: الطريق في الجبل ، ابن منظور، لسان العرب،ج٢، ص١١٩.

حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي[١] بعير فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام"[٢].

فالقتال هنا، وهو بمعنى المضاربة قد بدأ به المشركون، ورد به عليهم سعد بن أبي وقاص دفاعاً عن النفس، فكان ما كان: ومن هذا القبيل ما أورده ابن الجوزي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " كان الرجل إذا أسلم تعلق به الرجال فيضربونه ، ويضربهم "[٣] هذا ما كان من شأن الدفاع.

ج- وأما موقف الردع : بمعنى مواجهة من يقصد المسلم بسوء بمثل ما هو بصدد القيام به ، قبل أن يتمكن العدو من القيام بفعلته – فهذا الموقف هو من الدفاع عن النفس أيضاً، ومما يدل على هذا ما ورد في قصة إسلام " عمر بن الخطاب ". كما جاء عند السهيلي أن احد الصحابة في دار الأرقم نظر من خلل الباب فرأى عمر ، فرجع فزعاً يقول : " هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب ، فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه[٤]

فهذه هي المواقف التي اتخذها المسلمون من المشركين ، وهم يصبون عليهم العذاب الواناً، كما نطقت بذلك الوقائع التي جرت في تلك الحقبة من حياة الجماعة بمكة قبل الهجرة.

وهذه المواقف المتشددة من قريش وإعراضهم عن قبول فكرة الدين والدولة نقلت منهج الرسول في إقامة الدولة لمرحلة جديدة وهي طلب النصرة من القبائل وهذا ما سيعالجه الباحث في الفصل الثاني.

١- اللحي: جمعه: ألح ولحي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان،ابن منظور، لسان العرب،ج٢، ص٢١٠.

٢-السهيلي، الروض الأنف ،ج٢، ص٣

٣- ابن الجوزي ،تاريخ عمر بن الخطاب، ص٧.

٤- السهيلي، الروض الأنف ، ج٢، ص٩٦.

الفصل الثاني

منهج الرسولﷺ في إقامة الدولة (٢).

أولاً: مرحلة طلب النصرة من القبائل لإقامة الدولة.

ثانياً: عرض الجماعة نفسها على زعماء القبائل في سبيل طلب النصرة.

ثالثاً: انعقاد البيعة مع الأنصار على إقامة الدولة

أولاً: مرحلة طلب النصرة من القبائل لإقامة الدولة

عرفنا في الفصل السابق كيف وصل العمل لاقامة الدولة الإسلامية في مكة إلى طريق مسدود فقادة الكفار ما زالوا على عنادهم القديم، وهذا أبو جهل يعلن لقريش عن يأسه من تحول النبي عليه السلام عن دعوته فيقول: "امضوا على دين أبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه"[١]وهؤلاء رجال الجماعة ما بين مقهور بمكة، أو هارب بدينه من الفتنة في أرض الغربة في الحبشة[٢].

وإذا كان قد تجلى في هذا المرحلة الثانية من مراحل إقامة الدولة الإسلامية، بمكة نوع من الظهور لهذه الجماعة وشيء من الانتصاف لبعض رجالها ممن يضطهدهم من الكفار، على نحو ما سبق بيانه، فليس هذا هو كل ما تريده الجماعة لأتباعها، ولا هو غاية الظهور الذي تريده لنفسها.انه تريد إقامة الدولة التي يسعى لها الرسول لقوله تعالى:(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ) [٣] كما تريد الجماعة لنفسها الظهور الذي ليس فوقه ظهور.

ومما زاد في الصعوبات التي كانت تقف في وجه صاحب الجماعة ﷺ في هذا المرحلة من دعوته ما حدث من وفاة خديجة زوج النبي ﷺ، وكانت، نعم السند العاطفي له،ثم وفاة عمه أبي طالب وكان هو السند الاجتماعي الذي يحميه من قريش.

قال ابن إسحاق: ثم أن خديجة بنت خويلد، وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، ويهلك

---

١ – السهيلي، الروض الأنف ، ج٢،ص١٦٧

٢– السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص٢١١

٣ – سورة القصص الآية ٥–٦.

عمه أبي طالب، وكان له عضدا.؟.. وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنوات، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب".[١]

وفي هذه الحال، كان لا بد من البحث عن الخروج من هذا المأزق الذي صارت إليه الجماعة، وصاحبها، وأتباعها، ومن أجل ذلك قصد النبي ﷺ إلى مدينة الطائف كان ذلك في شوال سنة ١٠ من البعثة [٢]، رجاء أن يجد عند ثقيف من يبذل له المنعة والنصرة، للمضي في إبلاغ رسالة ربه، فلم يجد عندهم إلا الصد، والتحريض على اهانته وإيذائه.[٣]

حتى أن عائشة رضي الله عنها لتسأله ذات يوم، بعدما انتصرت الجماعة، وصار لها دولة وامتداد، هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أُحد؟ قال لها: "ولقد لقيت من قومك ما لقيت! وكان أشد ما لقيت.... إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال!- وهو من أكابر أهل الطائف- فلم يجيبني إلى ما أردت، فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب"[٤] .

ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة، ولم يستطع أن يدخلها إلا بحماية أحد قادتها المشركين، وهو المطعم بن عدي[٥].[٦] وقال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه... فكان رسول الله عليه السلام يعرض نفسه في المواسم- إذا كانت- على قبائل

---

١ - السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٦٦

٢-الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٣٩٢.

٣ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢، ص٣٤٤

٤ - موضع بينه وبين مكة المكرمة يوم وليلة، وهو ميقات أهل نجد:الحلبي، ،السيرة الحلبية، ج١،ص٣٩٥ ويسمى أيضاً: قرن المنازل والحديث ورد في صحيح البخاري: رقم ٣٢٣١ ، ابن حجر، فتح الباري ج٦، ص٣١٢-٣١٥

٥ - هو رجل من قريش من بني عبد مناف، والد الصحابي جبير بن مطعم، عاش في زمن النبي محمد، ولكنّه توفي ولم يعتنق الإسلام، ورغم ذلك فإن له في نفوس المسلمين احترامًا كبيرًا، لمواقفه الداعمة للمسلمين في بداية الدعوة، فقد كان أحد الستة الذين نقضوا صحيفة بن هاشم،ابن سعد ،الطبقات،ج١،ص٢١٠

٦ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،ج ٢، ص٣٤٧- ٣٤٨.

العرب، يدعوهم إلى الله والى نصرته [١]، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم، أن يصدقوه ويمنعوه، حتى يبين عن الله ما بعثه به" [٢] " فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما رجع له الناس بالموسم... وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له، فدعا إلى الله، وعرض عليه ما عنده..."[٣].

وهكذا تكون رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف لطلب النصرة، والنشاط الدؤوب في البحث عن الأنصار بين قادة القبائل العربية، وأشرافها، في مواسم الحج بعد رحلة الطائف مرحلة جديدة من مراحل إقامة الدولة الإسلامية في مكة المكرمة قبل الهجرة إلى المدينة.

ثانياً: عرض الجماعة نفسها على زعماء القبائل في سبيل طلب النصرة.

بالرجوع إلى سيرة النبي ﷺ في المرحلة التي نعالجها، نلاحظ أنه عليه الصلاة والسلام كان يعرض نفسه على زعماء القبائل بصفته حامل دعوة من الله، من أجل حمايته، لكي يتمكن من تبليغها إلى الناس، ومن أجل نصرته فيما يسعى إليه من إقامة دولة لتلك الدعوة، يوفر لها ولأتباعها الحماية والأمن، ومن ثم يمكنها من الانطلاق في الأرض داعية كل جنس ولون إلى الاستجابة لأمر الله.

هذا، ولم تكن النصرة التي خرج النبي عليه الصلاة والسلام يبحث عنها في الطائف، أو يلتمسها عند زعماء القبائل مطلق نصرة... دون أن تتوفر فيها اعتبارات خاصة، سواء من حيث الزمان، أو المكان، أو العدد، أو القوة، أو الغرض... وما إلى ذلك.

---

١ -الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،ج ٢ ، ص٣٤٧-٣٤٨.

٢ - السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٣

٣ - السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٤

بل كانت نصرة ذات صفة مخصوصة وذلك على النحو التالي:

١. كان طلب الرسول للنصرة من خارج مكة إنما بدأ ينشط بشكل ملحوظ، بعد أن اشتد الأذى عليه وعلى أفراد جماعته،عقب وفاة عمه أبي طالب الذي كان يحميه من قريش، وذلك لأن قائد الجماعة لن يستطيع أن يتحرك التحرك الفعال في النشاط في حمل أفكار الجماعة، وتوفير الاستجابة له، في جو من العنف، والضغط والإرهاب، وذلك واضح فيما جاء في سيرة ابن هشام، ما نصه: " ولما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله عليه الصلاة والسلام من الأذى ما لم تكن تنال... فخرج رسول الله إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف..."[١]

كما جاء بخصوص نشاطه ﷺ ، ما نصه: " ثم قدم رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة، وقومه على أشد ما كانوا عليه من خلافه... فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه في المواسم.... على قبائل العرب.. ويسألهم أن يصدقوه، ويمنعوه" [٢].

٢- كان عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل يطلب منهم النصرة ، إنما هو بأمرٍ من الله عزوجل له في ذلك ، وليس مجرد اجتهادٍ من قبل نفسه، اقتضته الظروف التي وصلت إليها الجماعة، وذلك بدليل ما جاء في فتح الباري ، ما نصه :"لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج وأنا-علي بن ابي طالب- معه وأبو بكر إلى منى . . . " [٣].

فهذا نص صريح بأن عرض النبي نفسه على القبائل إنما كان بأمر من الله ، ويذكر في هذا الحديث الطويل كيف كان الرسول ﷺ وصاحباه ، يقصدون مجالس العرب بمنى في موسم الحج ..حتى ذكر قصدهم لمجلس ربيعة ، ثم لمجلس الأوس والخزرج ، من أجل الإيواء ، والنصرة!

---

١ - السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٢

٢ - السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٣

٣- ابن حجر، فتح الباري ،ج ٧، ص٢٢٠.

٣- حصر رسول الله ﷺ طلب النصرة ، بزعماء القبائل ، وذوي الشرف والمكانة ، ممن لهم أتباع يستمعون لهم ويطيعون ؛ لأن هؤلاء هم القادرون على توفير الحماية للجماعة ، ولصاحبها وهذا واضح في هذا النص الذي ورد في السيرة : " لما انتهى رسول الله إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف ، وأشرافهم . . . فجلس إليهم فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاء إليه من نصرته على الإسلام ، والقيام معه ، على من خالفه من قومه .. " [١]

٤- كان النبي عليه الصلاة والسلام يطلب ممن يلتمس منهم نصرته على الإسلام ، أن يؤمنوا به أولاً ، ويصدقوه ، كما سبق في النصوص السابقة ، مثل : (ويسألهم أن يصدقوه ، ويمنعوه)[٢] . وبهذا الشرط يتجلى الفرق بين طلب النصرة لاقامة الدولة،وبين الحماية التي كان يأخذها لشخصه فقط ،فطلب النصرة الجديد يختلف كليا عن هذه الحماية الشخصية التي كان يأخذه مجموعة من أفراد الجماعة لانفسهم ، كحماية أبي طالب[٣] للنبي ﷺ ، وطلبه من المطعم بن عدي[٤] أن يجيره ليتمكن من دخول مكة ، وحماية العاص بن وائل السهمي لعمر بن الخطاب ، وحماية ابن الدغنة لأبي بكر الصديق [٥]و هم من المشركين

أما طلب النصرة الجديد ، بمعنى النصرة للجماعة ، فإن كل النصوص السابقة تدل على أن الرسول ﷺ كان يتقدم إلى من يطلبها منهم بأن يدخلوا في الإسلام أولاً ثم يطلب منهم النصرة ثانياً وهذا ما يقتضيه منطق الأمور ، وذلك لأنه ما دام الدافع لتلك الجهة إلى مساندة جماعة لا تؤمن به إنما هو ظرف عارض ، ومصلحة طارئة ؛ فإن طبيعة الظروف أن تتغير ، ومن شأن المصالح أن تتبدل ، وتنتقل من النقيض إلى النقيض وهنا تجد تلك الجهة مصلحتها في ضرب تلك الجماعة تبعاً لمصلحتها ،

١- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٢.
٢- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٣
٣-السهيلي، الروض الأنف ،،، ج ٢، ص١٦٦
٤- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ،ج ٢، ص٣٤٧-٣٤٨ .
٥-ابن حجر، فتح الباري ، ج ٧ ، ص١٧٧

فإذا بها تقلب لها ظهر المجن ، ومن هنا ، كان إصرار النبي ﷺ في كل مفاوضاته في طلب النصرة على أن يدخل أهل النصرة في الإسلام قبل كل شيء !

٥- كما يلاحظ في سيرة النبي ﷺ بخصوص طلب النصرة أنه كان يطلبها لأمرين اثنين :

أولاً : كان يطلب النصرة من أجل حماية الجماعة ، حتى يسير بين الناس ، محمي الجانب ، بعيداً عن الإساء إليه و إلى أتباعه !

ثانياً : كان يطلب النصرة من أجل أن يتسلم النبي ﷺ مقاليد الحكم والسلطان على أساس الجماعة وأفكارها وذلك لأن حماية التبليغ أولاً ، من شأنها أن توجد ما يسمى بالقاعدة الشعبية التي تسند الفكرة التي يقوم عليها الجماعة ، وذلك عن طريق هؤلاء الذين اعتنقوا الفكرة في ظل ما توفر له من جو الحماية ، فإذا ما كثر هؤلاء المؤمنون بالفكرة ، المستعدون للتضحية في سبيلها ، تكون قد وجدت الأرض الصلبة ، والقاعدة العريضة التي يستند إليها الحكم والسلطان .

وهنا يتأتى الانتقال إلى طلب النصرة من أجل تسلم الحكم على أساس أفكار الجماعة.هذا ويتجلى طلب الرسول ﷺ للنصرة من أجل حماية التبليغ ، فيما سبق إيراده من وصف ابن إسحاق لنشاط الرسول ﷺ بعد رحلة الطائف في هذا االمجال ، كما يتجلى فيما رواه الحاكم:"عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف-موسم الحج- ، فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي ؟ قال: فأتاه رجل من بني همدان ، فقال: أنا ! فقال: وهل عند قومك منعة ؟ . قال : نعم! وسأله من أين هو ؟ فقال: من همدان ، ثم إن الرجل الهمداني خشي أن يخفره قومه – أي : ينقضوا عهده – فأتى رسول الله ﷺ ،فقال : آتي قومي ، فأخبرهم ، ثم ألقاك من قابل . قال : نعم " [١].

فالنصرة المطلوبة هنا ، إنما هي من أجل حماية الرسول ﷺ بصفته صاحب دعوة ، ليتمكن من إبلاغ رسالة الله إلى الناس في جو من المنعة ، والأمن ، والاطمئنان . الأمر الذي يمكن بالتالي من إيجاد

١- الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦١٢ – ٦١٣

القاعدة التي تؤمن بهذه الفكرة ، لكي يتم الانتقال بعد ذلك إلى النوع الآخر من طلب النصرة، وهو طلب النصرة من أجل تسلم الحكم والسلطان في البلد التي أعطت النصرة ، وذلك لإقامة الدولة على أساس أفكار الجماعة .

وهذا واضح من المفاوضة التي جرت بين الرسول ﷺ ، وبين أشراف بني عامر ، بشأن الطلب الذي تقدم به الرسول ﷺ إليهم ، ويحكي رجال بني عامر ، لشيخ لهم فيما بعد، صفة هذا الطلب بقولهم : "جاءنا فتى من قريش يزعم أنه نبي ، يدعونا إلى أن نمنعه ، ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا" [١] .

وقد فهم بنو عامر أن نتيجة الإجابة لطلب النصرة هذه أن يصبح النبي ﷺ هو صاحب الحكم والسلطان على العرب جميعاً ، إذا ما أظهره الله عليهم بسبب استخدامه للنصرة التي بذلوها له . وهنا أرادوا أن يكون هذا الأمر . أي : الحكم والسلطان من بعد النبي ﷺ إنما هو لبني عامر ، بصورة شرعية ، على سبيل الثمن لما قدموه من تضحيات !

قال مفاوض بني عامر ، واسمه : بحيرة بن فراس : " أرأيت إن نحن تبعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله ، يضعه حيث يشاء ، قال ، فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ،"وفي رواية : أنقاتل العرب دونك"[٢] فإذا أظهرك الله ، كان الأمر لغيرنا – أي : السلطة– لا حاجة لنا بأمرك! – أي: دعوتك . فأبوا عليه" [٣].

ويتجلى من هذا النص أن لا خلاف على أن السلطة إنما هي للنبي ﷺ في حياته ، وهذا يعني أن النصرة إنما بذلت للنبي عليه الصلاة والسلام على هذا الأساس ، ولكن الخلاف هو في أمر السلطة من بعده ، لمن تكون؟ وكان الجواب النبي ﷺ أن هذا الأمر إنما الحكم فيه إلى الله ، ولا يخضع للمساومة ،

١–السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٤.

٢–الحلبي ،السيرة الحلبية، ج٢، ص٣ .

٣–السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٤

وقد حكم الله عز وجل فيما جاء بعد من تشريعات أن السلطة هي لأمة تعطيها لمن تشاء عن طريق البيعة وفقا للأحكام الإسلامية .

٦- ومما يلاحظ في سيرة النبي ﷺ بخصوص طلب النصرة ، أنه عليه الصلاة والسلام رفض أن يعطي القوى المستعدة لتقديم النصرة أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للجماعة ، ما تجلى ذلك في النقطة السابقة، في المفاوضة التي جرت بين الرسول ﷺ وبين بني عامر بن صعصعة[١]!

وذلك لأن أفكار الجماعة بما تحمل من دعوة إلى الله ، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها ، ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله ، وينشد رضاه ، هما الغاية التي يسعى إليها من وراء تلك النصرة ، والتضحية ، وليس طمعاً في نفوذ ، أو رغبةً في السلطان ، وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء ، هي التي تكيف نشاط الإنسان في السعي إليه ، وتحدد مدى الحفاظ عليه وحجم التضحية في سبيله ! فلا بد إذن ، من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الجماعة – عن أي مصلحة مادية ، لضمان دوام التأييد له ، وتقديم التضحيات في سبيله!

٧- ومما يلاحظ أيضاً في سيرة النبي ﷺ يخصوص طلب النصرة ، أنه لم يكن عليه الصلاة والسلام يبحث عن النصرة لدى أشخاص لمجرد كونهم من زعماء القبائل ، ذوي الشرف فيهم فحسب ، بل كان يبحث عما يملك هؤلاء الزعماء في بلدهم من قوى تستطيع أن تقف في وجه أعداء الدولة الإسلامية ، فيما لو آمنت بها وسلمت إليها قيادتها ، فإذا لم يجد في تلك القوى ما تستطيع به حماية الجماعة ، لم يتقدم إليهم بطلب النصرة ، واكتفى بالتذكير بالله .

يدل على هذا ما جاء في بعض السير ما نصه : "لما قدمت – بكر بن وائل – مكة للحج قال رسول الله ﷺ لأبي بكر ، آئتهم فاعرضني عليهم ، فأتاهم فعرض عليهم ، فقال لهم : كيف

١-الطبري،تاريخ الأمم والملوك ، ج٢، ص٣٥٠ .

العدد فيكم؟ قالوا: كثير مثل الثرى . قال: فكيف المنعة ؟ قالوا : لا منعة! جاورنا فارس، فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم" [١].

وهنا اكتفى رسول الله ﷺ بتذكيرهم بالله ، وأخبرهم أنه رسول الله .

٨- ومن صفة النصرة التي كان رسول الله ﷺ يطلبها لجماعته من زعماء القبائل ، أن يكون أهل النصرة غير مرتبطين بمعاهدات دولية تتناقض مع أفكار الجماعة ، ولا يستطيعون التحرر منها وذلك لأن احتضانهم للجماعة وهم على هذه الحالة، يعرض الجماعة لخطر القضاء عليها ، وتهديدا لمصالحها!

ومن هنا ، كان عليه الصلاة والسلام يبحث عن أهل النصرة القادرين على إحاطة الإسلام من جميع جوانبه دون أن تكون هناك أدنى ثغرة يستطيع الأعداء أن ينفذوا منها لإلحاق الأذى بالجماعة ، وأتباعها! وهذا ما يدل عليه ما جاء في كتاب (الروض الأنف) حول الحوار الذي دار بشأن طلب النصرة بين الرسول ﷺ وأبي بكر من جهة وبين زعماء بني شيبان من جهة أخرى. [٢] هذه جمل من ذلك الحوار الرفيع الواعي تدل على النقطة التي نحن بصددها.

"قال أبو بكر لأحد سادة بني شيبان واسمه: مفروق: "كيف العدد فيكم ؟ قال مفروق: إنا لنزيد على الألف ، ولن تغلب ألف من قلة! فقال أبو بكر : كيف المنعة فيكم؟ فقال المفروق : علينا الجهد، ولكل قوم جد! [٣]فقال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟. فقال المفروق:إنا لأشد ما نكون غضبا لحين نلقى ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح! والنصر من عند الله ، يديلنا مرة ، ويديل علينا ! لعلك أخو قريش ؟ -يقصد

١- الحلبي ،السيرة الحلبية ، ج٢، ص٥ .

٢- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨١ .

٣- أي: حظ وسعادة أي : علينا أن نجهد ، وليس علينا أن نكون الظفر لنا ؛ لأنه من عند الله يؤتيه من يشاء،الحلبي، السيرة الحلبية،ج٢،ص٤.

مفروق-: هل أنت محمد ﷺ ؟ فقال أبو بكر : أو قد بلغكم أنه رسول الله ؟! فها هو ذا! - مشيرا إلى رسول الله! - فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك!

ويتجه مفروق نحو الرسول ﷺ قائلاً : فإلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، وإلى أن تؤوني ، وتنصروني فإن قريشاً قد ظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، وامتنعت بالباطل عن الحق ، والله الغني الحميد. "[١].

ويبدو أن رجل بني شيبان قد اطمأن إلى رسول الله ﷺ ، وأعجب بأفكاره التي يحملها بعدما أكثر من الاستفسار عنها ، ووجد في إجابات الرسول ﷺ ما يشفي غليله! وهنا ، انبرى رجل بني شيبان ، يقول للنبي ﷺ : "والله! لقد أفك قوم كذبوك ، وظاهروا عليك!" .

ثم تكلم هانيء بن قبيصة شيخ بني شيبان ، وصاحب دينهم فقال: "قد سمعت مقالتك ، يا أخا قريش ، و إني أرى أن تركنا ديننا ، و اتباعنا إياك على دينك ، لمجلس جلسته إلينا ، ليس له أول، ولا آخر - زلة في الرأي، وقلة النظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة! ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر . . ".[٢]

ثم تكلم المثنى بن حارثة من شيوخ بني شيبان ، وصاحب حربهم ، فذكر بأن بني شيبان ينزلون في بلاد هي بين أنهار كسرى ، ومياه العرب - أي : على حدود بلاد فارس - وعرض ما في مقدور قومه أن يقدموه للنبي ﷺ بشأن النصرة التي طلبها منهم ، بالنظر لموقع بلاده ، ولعلاقة قومه بدولة الفرس فقال : " فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ! و أما ما كان من مياه العرب ، فذنبه مغفور ، وعذره مقبول ! وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى

١- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨١ .
٢- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨١ .

أن لا نحدث حدثاً[١]، ولا نؤوي محدثاً ! وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه هو مما تكرهه الملوك! فإن أحببت أن نؤويك ، وننصرك مما يلي مياه العرب – فعلنا!

فقال رسول الله ﷺ : "ما أسأتم في الرد ، إذ أفصحتم بالصدق ،إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه!" [٢] .

ويبدو نفوذ شخصية النبي ﷺ ،وأفكاره في نفوس هؤلاء الزعماء من بني شيبان جعلهم يصدقون رسول الله عليه الصلاة والسلام في موقفهم من طلب النصرة الذي تقدم به النبي إليهم. فعرضوا حيال هذا الطلب كل ما يملكون .

وإن كان ليس هو المطلوب الذي يكفي لحماية جماعته، وإقامة دولة ناشئة على أساسه ، بجوار دولة فارس الكبرى،آنئذ ، وقد خرجت لتوها من حرب ضارية مع دولة الروم الكبرى ، وهي – أي : فارس– تجر أذيال النصر ، كما يشير إلى ذلك مطلع سورة

الروم في القرآن الكريم[٣]. ولا سيما وأن هناك معاهدة دولية بين بني شيبان وهم بمثابة دويلة صغيرة، وبين دولة فارس الكبرى ألا يحدثوا حدثاً ، ولا يؤوا محدثاً! وقد أثنى الرسول ﷺ على صدقهم ، وبين لهم أن النصرة المطلوبة تتجاوز الحدود المبذولة! "إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه " [٤].

٩– وأخيرا نفهم من سيرة النبي ﷺ في شأن طلب النصرة بصفتها طريقاً لإيصال الجماعة إلى الحكم والسلطان – أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلبها من خارج مكة إلا عندما يئس من الحصول عليها من داخلها ، وعندما لم يكن في رجال الجماعة العدد الكافي من أهل المنعة، وذوي الكلمة

١–حدث : هو الأمر المنكر الذي ليس مألوفا،ابن منظور، لسان العرب ،ج٢،ص٢٣٠

٢–السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨٢ .

٣–سورة الروم الآيات ١–٦.

٤–السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨٢

المطاعة في عشائرهم ، بحيث يستطيع الجماعة بالاعتماد عليهم أن يصل إلى الإمساك بمقاليد الأمور ، والقبض على زمام السلطة!

وقد كان زعماء قريش يذكرون أن حجب نصرتهم عن الرسول ﷺ ، هو الذي يؤخر انتصار الجماعة ، ووصولها إلى الحكم والسلطان، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يتخوفون من أن تتسع القاعدة التي تؤمن بالجماعة وتستقطب عدداً أوفر ، من أمثال حمزة وعمر ، وحينئذ يتوقع سادة قريش – خائفين – أن يتمكن المسلمون من سحب بساط السلطة من تحتهم من حيث يشعرون ، أو لا يشعرون! أو على حد تعبيرهم: "لا نأمن أن يبتزونا أمرنا! " [١] أي : أن تتحول السلطة إلى المسلمين ، رغما عن سادة قريش!

ولعل مما يشير إلى ذلك قول عمر بن الخطاب لأولئك الزعماء "أحلف بالله أن لو قد كنا – أي المسلمين ثلاثمائة رجل لتركناه لكم – أي مكة– أو لتركتموها لنا" [٢] .

ويدل على ذلك ما جاء في الروض الأنف :" قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش ، بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فليأخذ على ابن أخيه ، وليعطه منا! والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا! . . فقال رسول الله ﷺ : نعم ، كلمة واحدة تعطونيها ، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم ! قال: فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ! قال:تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه ! قال: فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا: أتريد يا محمد ! أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب! . . قال : ثم تفرقوا" [٣].

١–السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٦٦–١٦٧

٢–السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص٩٨

٣–السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٦٦–١٦٧

ونبادر هنا إلى القول بأن إطماع النبي ﷺ سادة قريش إذا ما أسلموا ، بأن يكون لهم السلطان على العرب والعجم – لم يكن على سبيل الثمن لما يقدمونه من نصرة للجماعة بإسلامهم ، لأن مثل هذا الثمن مرفوض في أفكار الجماعة كما تجلى ذلك فيما بعد في مفاوضة النبي ﷺ مع بني عامر بن صعصعة على النحو الذي سلف ذكره[١] .

ويبدو أن مراد النبي ﷺ من ذلك إنما هو من قبيل ما قاله أبو بكر الصديق – فيما بعد– في اجتماع السقيفة مع الأنصار بشأن الحكم والسلطان – الخلافة – بعد الرسول ﷺ . قال: "إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، وهم أوسط العرب دارا،ونسباً . ." [٢].

فهذه هي بعض الخطوط التي ظهرت للباحث من خلال لقاءات الرسول ﷺ مع زعماء القبائل العربية سعيا وراء إيجاد النصرة لجماعته ، لتأمين الحماية له، ثم الانتقال لإقامة الدولة الإسلامية على أساس أفكاره .

١- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢، ص٣٥٠

٢- الطبري، تاريخ لطبري ، ج ٣، ص٢٠٥.

ثالثاً: انعقاد البيعة مع الأنصار على إقامة الدولة .

جاء في السيرة النبوية أن لقاء الرسول ﷺ بأهل المدينة من الأوس والخزرج في مواسم الحج ، وهو يطلب النصرة من زعماء القبائل – هذا اللقاء بالأوس والخزرج مر عبر خمس مراحل :

١- لقاؤه ﷺ مع زعيم من زعماء الأوس ، يسميه قومه بالكامل ، لجلده وشعره، وشرفه ، ونسبه اسمه : سويد بن الصامت ، جاء مكة حاجاً ، فتصدى له رسول الله ﷺ ،فدعاه الى الله ، والى الإسلام،وتلا عليه القران ، فقال: ان هذا لقول حسن، ثم أنصرف إلى المدينة . فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، وكان مقتله سبب يوم بعاث [١] بين الأوس والخزرج .

٢- بعد مقتل سويد بن الصامت من الأوس على يد الخزرج ، قدم مكة وفد من الأوس يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، وعلى رأس الوفد :أنس بن رافع، وفيهم شاب اسمه : إياس بن معاذ، فلما سمع ﷺ بمقدمهم ، وبما جاؤوا له ، أتاهم وقال لهم : هل أدلكم على خير مما جئتم له ؟ وعرض عليهم الإسلام ، فقال إياس بن معاذ :أي قوم! هذا والله خير مما جئتم له! فرد أنس على الشاب قائلاً : دعنا منك! فلعمري لقد جئنا لغير هذا ! فقام عنهم رسول الله ﷺ ، ورجع الوفد من الأوس إلى المدينة ، وأخفقوا في عقد الحلف مع قريش ضد أبناء عمومتهم من الخزرج ، ونشبت يوم بعاث ، بين الأوس والخزرج ، ولم يلبث أن مات إياس بن معاذ وذكر من حضر موته من قومه بأنهم: " لم يزالون يسمعونه يهلل الله تعالى ، ويكبره ، ويحمده ، ويسبحه حتى مات ، فما يشكون أنه مات مسلماً " [٢].

١- بعاث : اسم مكان قريب من المدينة ، على ليلتين منها ، عند بني قريظة ، كان به القتال بين الأوس والخزرج . الحلبي،السيرة الحلبية ،ج ٢،ص٦-٧.

٢- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢، ص٣٥٢.

٣- وفي موسم الحج الذي تلا يوم بعاث قدم رهط من الخزرج إلى مكة ستة،أو ثمانية رجال[١]، فلقيهم رسول الله ﷺ ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن : "فلما سمعوا قوله أنصتوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوتهم إليه ، فصدقوه ، وآمنو به ، وكانوا من أسباب الخير ثم قالوا له : قد علمت الذي بين الأوس والخزرج من الدماء ، ونحن نحب ما أرشد الله به أمرك ، ونحن لله ، ولك مجتهدون . إنا نشير عليك بما نرى . فامكث على اسم الله ! حتى نرجع إلى قومنا ، فنخبرهم بشأنك ،وندعوهم إلى الله ورسوله ، فلعل الله يصلح بيننا ، ويجمع أمرنا ، فإنا ، اليوم متباعدون ، متباغضون ، فإن تقدم علينا اليوم ، ولم نصطلح ، لم يكن جماعة عليك ، ونحن نواعدك الموسم، من العام القادم،حتى قلَ دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة" [٢].

وجاء حول لقاء الرسول ﷺ هذا الرهط الخزرجي : قال بعضهم لبعض : يا قوم ! تعلمن والله! إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعا إليه بأن صدقوه . . . وقالو : إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك! فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك . . . فإن يجمعهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك! . . . فلما قدموا المدينة . . ذكروا لهم رسول الله ﷺ ،ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم يبق بين دار من دور من الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ" [٣].

١- الحلبي، السيرة الحلبية ، ج ٢، ص٦.

٢- الهيثمي، نور الدين بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ /١٤٠٥م) ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٩ ج، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٣ هـ / ج٦،ص٤٠.وسيشار لاحقا،الهيثمي،مجمع الزوائد

٣- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ /١٣٥٠م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥ ج ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط واخرون، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، والكويت، مؤسسة المنار، ١٩٨١ م،ج ٣، ص٤٥.وسيشار لاحقا، ابن القيم،زاد المعاد

٤- وفي العام المقبل ، في موسم الحج ، قدم من أهل المدينة اثنا عشر رجلا،عشر من الخزرج واثنان من الأوس، وفيهم معظم الرهط الخزرجي الذين أسلموا في العام المنصرم ، واجتمع النبي ﷺ بهؤلاء الأوس والخزرج في منى وعقد معهم بيعة العقبة الأولى سنة(٦٢١م). [١]

وعن عبادة بن الصامت[٢] قال : "كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلا، فبايعنا رسول الله على بيعة النساء[٣] ، وذلك قبل أن تفترض الحرب . على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا ، وأرجلنا ولا نعصيه في معروف ! فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً، فأمركم إلي الله عزوجل إن شاء عذب وإن شاء غفر!" [٤] .

قال ابن إسحاق : " فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير[٥].. وأمره أن يقرئهم القرآن،ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرىء بالمدينة " [٦].

ونجح مصعب بن عمير نجاحا منقطع النظير في كسب عدد من قياداتهم إلى الإسلام .

٥- وفي العام التالي(٦٢٢م) ، في موسم الحج قدم من أهل المدينة من المسلمين ثلاثةوسبعون رجلا،وامرأتان ، وكانوا ضمن مجموعة قومهم من المشركين القاصدين إلى الحج وضرب رسول

١- ابن حجر، فتح الباري ، ج ١، ص٦٦.

٢- أحد أفراد وفد الأنصار الذين جاءوا إلى مكة ليبايعوا رسول الله بيعة العقبة الأولى، وكان أحد الاثني عشر نقيبًا الذين اتخذهم الرسول نقباء على أهليهم وعشائرهم.

٣- يقول محمد أبو زهرة ما كانت هذه التسمية – فيما نحسب – في وقت البيعة ، إنما كانت بعد ذلك ، لمشابهتها لما ورد في القرآن الكريم من مبايعة النبي ﷺ للنساء في أحكامها ، وإن اختلف وقتها ، واختلف موضوعها ، فتلك : كانت مع النساء ، أما هذه كانت مع الرجال، وهي للرجال والنساء على السواء ،محمد ابو زهرة، خاتم النبيين ، ج١، ص٤٩٣ وانظر نص بيعة النساء في سورة الممتحنة ، الآية ١٢.

٤- ابن حجر، فتح الباري ، ج ١، ص٦٦.

٥- من السابقين إلى الإسلام، فهو مصعب بن عمير بن هاشم القرشي يجتمع نسبه برسول الله ﷺ في قصي

٦- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٦.

الله ﷺ للمسلمين من أهل المدينة موعداً يلتقي فيه معهم سراً عن قريش، ومن قومهم من أهل الشرك ، وذلك في أوساط أيام التشريق[١] بعد ثلث الليل عند العقبة.

قال كعب بن مالك [٢]: ". . فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها... ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا. . . لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا ، مستخفين ، حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان اجتمعنا، ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا . ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له .

فلما جلس ، كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج ، إن محمدا منا، حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه ، وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن ، فدعوه فأنه في عز ، ومنعة من قومه ، وبلده! قال، فقلنا له ، قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ! فخذ لنفسك ، ولربك ما أحببت !

قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم ، وأبناءكم . قال : فأخذ البراء بن معرور[٣] بيده ، ثم قال : نعم! والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا [٤] ، فبايعنا يا رسول الله ! فنحن

١- سميت بذلك لأن الهدي والضحايا لا تنحر حتى تشرق الشمس أي تطلع،ابن منظور ،لسان العرب،ج٨،ص٦٥

٢- شاعر الإسلام أسلم قديما وشهد العقبة ولم يشهد بدرا، وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم بعد تخلفهم عن غزوة تبوك. وتوفي سنة ٥٠ هجرية.

٣- من النفر الذين بايعوا البيعة الأولى بالعقبة وهو أول من بايع في قول ابن إسحاق، وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصى بثلث ماله.

٤- أي : نساءنا وأنفسنا ، لأن العرب تكني بالإزار عن المرأة وعن النفس ،الحلبي، السيرة الحلبية ، ج٢، ص١٧-١٨ .

والله! أهل الحروب ، أهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر . قال : فاعترض القول – والبراء يكلم رسول الله ﷺ – أبو الهيثم بن التيهان[١] ، فقال : يا رسول الله! إن بيننا وبين الرجال ، حبالا[٢] ، وإنا قاطعوها – يعني : اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك ، وتدعنا ؟

قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم [٣] ، أنا منكم ، وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم [٤] وجاء في الحديث جابر بن عبدالله : " فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ علينا ، ليعطينا الجنة" [٥].

وليس من مقصد الباحث هنا استعراض كل ما جرى في هذه البيعة ، و إنما القصد هنا فقط هو إثبات لقاء الرسول ﷺ لأهل يثرب عدة مرات بشأن النصرة التي نشط في طلبها من زعماء المناطق النائية في هذا المرحلة من مراحل إقامة الدولة الإسلامية مما يعين في اثبات أن طلب النصرة من القبائل وهم أهل القوة في ذلك الزمن طريقة أصيلة في منهج الرسولﷺ ،في إقامة دولة الإسلام .وهنا نسأل لماذا أعطت يثرب وقبائلها النصرة لرسول الله لإقامة الدولة فيها ؟ بمعنى أدق ما هي ابرز العوامل التي أهلت يثرب لإعطاء النصرة؟

أن يوم بعاث كان من أبرز العوامل التي ساعدت الرسولﷺ على أخذ البيعة فلقد كان هذا اللقاء بعد انتهاء يوم بعاث ، وهي حرب من الحروب القبلية التي دامت بين أبناء العم من الأوس والخزرج – كما قيل – عشرين ومائة عام [٦].

2- هو أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن عمرو الأوسي الأنصاري. وقيل: هو أول صحابي ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية،.

3- أي عهودا: الحلبي، السيرة الحلبية ، ج٢، ص١٨ .

٣- الهدم : إهدار دم القتيل ، أي : دمي دمكم ، تطلبون بدمي ، وأطلب دمكم:الحلبي، السيرة الحلبية ، ج٢-ص١٨

٤- الهيثمي، مجمع الزوائد،ج٦،ص ٤٢

٥- الحاكم ،المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٢٥

٦- الحلبي ،السيرة الحلبية ،ج٢، ص٦-٧

وقد لعبت المصالح الشخصية للزعامات دوراً كبيراً في أثناء الصراع القبلي ، وهذا المعنى هو ما أدركته عائشة ، كما ورد في صحيح البخاري : "قالت : كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ . فقدم رسول الله ﷺ ، وقد افترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم ، وجرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الإسلام " [١] .

يضاف إلى ذلك ، أن اليهود في يثرب ، وما حولها كانوا كلما نشب الخلاف بينهم من جهة ، وبين الأوس والخزرج من جهة أخرى – راحوا يتهددون خصومهم – الأوس والخزرج – بأنهم سوف يذبحونهم عما قريب مع نبي منتظر قد أظل زمانه ، يؤمن به اليهود دون غيرهم ! فلما التقى رسول الله ﷺ مع الرهط الخزرجي ، عرف هذا الرهط أن الذي يحدثهم هو النبي المنتظر الذي ورد في كتب اليهود ، والذي يهددونهم به . . . فسارعوا إلى الإيمان به !

وإلى هذا المعنى كانت الإشارة فيما رواه الطبري، قال :" وكان من صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك ، وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن، قد أظل زمانه ، نتبعه ، فنقتلكم قتل عاد و إرم ، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلموا ، والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوا فيما دعاهم إليه . . "[٢] .

فعملواعلى تصفية الأجواء ، وجمع القلوب حول النبي ﷺ ، ودعوته . . . وقد أثمرت الجهود الحثيثه ، ففشا الإسلام في المدينة ، حتى " لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله " [٣] .

١- ابن حجر ، فتح الباري ،ج ٧ ، ص١١٠

٢- الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢،ص٣٥٣ -٣٥٤

٣- الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢،ص٣٥٥

كان هذا هو دور لقاء الرسول ﷺ مع الرهط الخزرجي الذي مهد لبدء انتشار الإسلام في يثرب ، كما مهد لبيعة العقبة الأولى .

فما هو دور بيعة العقبة الأولى في طلب النصرة ؟ والسعي إلى تحقيقها ؟

عرفنا من قبل أن لقاء الرسول ﷺ مع الأوس والخزرج إنما كان في سياق البحث عن النصرة التي كان ينشدها من زعماء القبائل ، وذوي الشرف والرياسة منهم .

ولكننا نلاحظ في لقاء الرسول ﷺ السابق مع الرهط الخزرجي ، حين عرض عليهم الإسلام أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يتقدم إليهم بطلب النصرة – كما رأينا في لقاءاته مع الزعماء القبائل– و خلو نص بيعة العقبة الأولى من مثل هذا الطلب .

فهل كان لقاؤه ﷺ مع الرهط الخزرجي لمجرد هدايتهم إلى الإسلام ، وكفى ؟

وهل كانت بيعة العقبة الأولى – في العام الذي يلي ذلك اللقاء لمجرد أخذ العهد عليهم أن يتمسكوا بتعاليم الإسلام ، وحسب؟

وهل سكت الرسول ﷺ فعلا عن طلب النصرة من أهل يثرب في هذين اللقاءين ؟

أن عدم ورود نص صريح في طلب النصرة في اللقائين السابقين مع أهل يثرب ، لا يدل على عدم بحث هذا معهم ، بل هناك ما يدل حصول مثل هذا الطلب ، وإن لم يأت في الروايات نص صريح بشأنه .

ومن الأدلة على ذلك ، ما سبق إيراده بخصوص لقاء الرسول ﷺ مع الرهط[١] الخزرجي ، قالوا له بعد إعلان إسلامهم : " إنا نشير عليك بما نرى ، فامكث على اسم الله ، حتى نرجع إلى قومنا ، فنخبرهم بشأنك، وندعوهم إلى الله ورسوله ، فلعل الله يصلح ما بيننا ، ويجمع أمرنا ، فإننا

١ –الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة،ابن منظور،لسان العرب،ج٦،ص٢٤٥

اليوم متباعدون ، متباغضون ! فإن تقدم علينا ، اليوم، ولم نصطلح ، لم يكن لنا جماعة عليك ، ونحن نواعدك الموسم من العام القابل ." [١].

فقولهم : "إن تقدم علينا اليوم ، ولم نصطلح ، لم يكن لنا جماعة عليك"، يدل على أن الرسول ﷺ قد طلب منهم القدوم إلى بلادهم ، وهذا يعني أنه قد طلب منهم النصرة ، كما هو الشأن في مثل هذا الطلب – كما سبق أن عرفنا في سائر مقابلاته مع سادة القبائل !إلا أن هذا الرهط الخزرجي قد أشار على الرسول ﷺ أن يتمهل قبل الإقدام على هذه الخطوة في القدوم إلى بلادهم ، ريثما يهيئون الأجواء في يثرب لتلك الخطوة ، بحيث يتمكنون من تقديم النصرة له ، وذلك حين يقبضون على زمام الأمور في أيديهم ! وهكذا كان!

ويبدو أن حصيلة السنة التي مرت ما بين لقاء الرهط الخزرجي بالرسول ﷺ وما بين بيعة العقبة الأولى – بالنسبة لطلب النصرة ، قد اقتصرت – بشكل رئيسي – على إيجاد أجواء للجماعة ، ولصاحبه ، بمعنى أن أمر الجماعة قد صار حديث البيوت والمجالس ، في يثرب ، إلا أن عدد الذين أعتنقوا الإسلام فيها كان لا يزال قليلا!

وقد يتوهم أن هذا يتعارض مع ما جاء في رواية ابن إسحاق : " ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ" [٢] .

أو الرواية الاخرى: " حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة " [٣]

١- الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص٤٠-٤١

٢- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٧.

٣- الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص٤٢.

تدل هاتين الروايتين تدلان على قلة عدد المسلمين بالنسبة لأهل يثرب .وذلك لأن كلمة – الدار– حين ترد في النصوص السابقة في مثل هذا السياق إنما تعني القبيلة ، [١] ، ولا تعني – المسكن– أو الأسرة الصغيرة كما يتبادر إلى أفهامنا اليوم!

وعلى هذا ، فإسلام ناس من كل عشيرة ، يدل على قلة هؤلاء المسلمين بالنسبة للعشيرة كلها! كما يدل من ناحية أخرى على قلة سادة يثرب الذين دخلوا في الإسلام ؛ وذلك لأنه كان المألوف أن سيد العشيرة إذا أسلم دخلت عشيرته كلها، أو معظمها في الإسلام ، كما حدث حين أسلم سعد بن معاذ[٢]، بعد بيعة العقبة الأولى على يد مصعب بن عمير ، فقد عمد سعد إلى عشيرته –بني عبد الأشهل– بعدما أسلم فقال:" يا بني عبد الأشهل ! كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا ، وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة. قال : فإن كلام رجالكم ،ونسائكم ، علي حرام ، حتى تؤمنوا بالله ،وبرسوله ! قالا :فو الله! ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ، ولا امرأة ، إلا مسلماً ، ومسلمة!" [٣].

وبناء على هذا ، فما دام قد تقرر أن عدد المسلمين لا يزال قليلا في كل عشيرة – في السنة التي نتحدث عنها – فإن هذا يدل على قلة من دخل في الإسلام – في تلك الحقبة المذكورة – من سادة أهل يثرب .

هذا وقد عرفنا من قبل أن الرسول ﷺ كان يطلب نوعين من النصرة :

- نصرة لحماية تبليغ أفكار الجماعة إلى الناس .
- ونصرة من أجل أن يتسلم السلطة على أساس تلك الأفكار .

١– الدار . . القبيلة ابن منظور، لسان العرب ، ج٤، ص١٥

٢– صحابي من أهل المدينة، سيد الأوس. يكنى أباعمر. أسلم على يد مصعب بن عمير

٣– الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢،ص٣٥٩

وعليه فإن ما تعهد به الرهط الخزرجي في لقائه مع الرسول ﷺ ، قبل بيعة العقبة الأولى هو العمل على نصرة الجماعة بمعنى حماية تبليغ أفكاره إلى الناس ، بصفتها خطوة أولى على الطريق الموصل إلى النصرة بمعنى تسليم السلطة للجماعة لإقامة الدولة

وقد تبين أن النوع الأول من النصرة أي : الحماية للتبليغ – لا يشترط ممن يبذلونها أن يكونوا عدداً من السادة الكبار! وإن كان في الوقت نفسه يشترط ألا يكونوا من الغمار أو الصغار! وهذا يعكس النوع الآخر من النصرة – وهو الذي بمعنى : تسليم الحكم والسلطان لشخص ما ، أو لفكرة ما . . فإن مثل هذه النصرة لا يتم إلا من سيد مسموع الكلمة في قبيلته، أو عدد من السادة بحيث يتكون من اجتماعهم قوة غالبة تستطيع أن تفرض رأيها على الجميع !

هذا ما يقضي به منطق الأمور في هذا الموضوع ، وهذا فيما يبدو ما كان يدور في ذهن الرهط الخزرجي حين أشاوروا على الرسول ﷺ أن يتريث في القدوم عليهم إلى يثرب ، إلى أن يتمكنوا من ترتيب الأوضاع في بلادهم لمثل ذلك القدوم[١]، عن طريق العمل في اتجاه النوع الأول من النصرة وهو حماية التبليغ ، حتى إذا صارت أفكار الجماعة مألوفة في أوساط يثرب لا تجابه باستنكار! وكثر بالتالي عدد المسلمين – راحوا يعملون بجانب العمل الأول ، في اتجاه النوع الآخر من النصرة وهو النصرة من أجل تسليم السلطة في يثرب إلى رسول الله ﷺ

وذلك عن طريق كسب عدد من زعماء يثرب إلى أفكار الجماعة، بحيث يتكون من اجتماعهم قوة غالبة تستطيع أن تفرض رأيها على غيرها ، وإن بقي – مع هذا– عدد من زعماء المشركين في يثرب خارج هذا الإطار ، ما داموا لا يشكلون قوة تستطيع أن تغلب القوة الإسلامية المجتمعة! ، ما دام الرهط الخزرجي قد نجح في تقديم النصرة للجماعة بمعنى حماية تبليغ أفكارها للناس .

١– الهيثمي، مجمع الزوائد ، ج٦، ص٤٠–٤١

كما تدل على ذلك الأعمال التي تم القيام بها بعد هذه البيعة ، فقد أرسل النبي ﷺ – بعد هذه البيعة – مصعب بن عمير يدعو الناس عامةً إلى الإسلام ، تحت جناح النصرة – أي : حماية التبليغ – التي استطاع الرهط الخزرجي توفيرها للجماعة كما راح مصعب بن عمير ، ومن أحاط به من رجال الأنصار ، يتقصدون كسب سادة يثرب إلى الإسلام ، فأسلم حينذاك عدد من زعماء يثرب ، من أمثال أسيد بن حضير[١] و سعد بن معاذ[٢].

وحين أصبح عدد من الزعماء الذين أسلموا من أهل يثرب كافياً لتقديم النصرة إلى الجماعة بمعنى تسليم السلطة إلى الرسول ﷺ ، وعقد الأنصار اجتماعاً فيما بينهم قرروا فيه إعطاء النصرة للرسول عليه الصلاة والسلام لكي يتسلم الحكم والسلطان في يثرب [٣].

وعلى إثر هذا الاجتماع [٤] قدم وفد من هؤلاء الأنصار والزعماء يتألف من ثلاثة وسبعين رجلا ،وامرأتين – وذلك في موسم الحج – وتم عقد العقبة الثانية(٦٢٢م) التي أعطي فيها زمام الحكم للجماعة وصاحبها! وذلك في الموعد نفسه الذي ضربه رسول الله ﷺ للاجتماع بهم.

وهذا يعني:إن هذا الاجتماع مع الرسول ﷺ إنما كان فقط من أجل البيعة على شئ قد تقررت الموافقة عليه من قبل، وهو إعطاء النصرة للنبي ﷺ بالمفهوم الذي سبق بيانه.

١– كان زعيما للأوس في المدينة قبل إسلامه، وورث عن أبيه مكانته، حيث كان واحدا من كبار أشراف العرب في الجاهلية ومن مقاتليهم الأشداء

٢– الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج ٢، ص٣٥٩

٣- البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين (ت ٤٥٨هـ /١٠٦٦م)، السنن الكبرى، ١٠ ج ، ط ١ ، حيدر أباد، المطبعة العثمانية، ١٣٥٤ هـ / ج٩، ص٩، وسيشار لاحقا، البيهقي ، السنن الكبرى.

٤- البيهقي ، السنن الكبرى، ج٩، ص٩ .

يدل على هذا عدة أمور تفهم من حديث " كعب بن مالك"[١] بشأن هذه البيعة وهي:

١. إن العباس بن عبد المطلب- وكان أول من تكلم في الاجتماع- بادر الأنصار قائلاً: " إن محمدا.... قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم!" [٢]

إذن، فالأمر مبتوت فيه، وليس هذا الاجتماع من أجل الدخول في مباحثات لطلب النصرة! وإنما كان الاجتماع من جهة الرسول ﷺ ومن جهة الأنصار، وهو من اجل عقد البيعة عليها فقط! وان كان هذا الاجتماع من جهة العباس – ولم يكن قد اسلم بعد- هو من أجل أن يطمئن إلى تصميم هؤلاء الأنصار على بذل كل شئ لضمان حماية ابن أخيه.

٢. إن المتحدث باسم الأنصار بادر الرسول – بعدما انتهى العباس من كلامه- قائلاً: " تكلم يا رسول الله فخذ لنفسك، ولربك ما أحببت!"[٣] وهذا أيضاً يدل على أن أمر إعطاء النصرة للرسول- هو أمر مفروغ منه! وإنما جاؤوا من أجل أن يبايعوا رسول الله على كل شئ يشترطه عليهم.

٣. وفي رواية " جابر بن عبد الله" لبيعة العقبة الثانية [٤] أن الأنصار بادروا بقولهم: " علام نبايعك"[٥]. فالأمر إذن هو أمر مبايعة على شئ مقرر، لا أمر مفاوضة حول ذلك الشيء!.

٤. إن الرسول ﷺ في رواية "كعب ين مالك لبيعة العقبة الثانية، حين تكلم بعد الذي تحدث باسم الأنصار تلا شيئاً من القران أولاً، ثم رغب في الإسلام ثانياً، ثم بادر ثالثاً بقوله: " أبايعكم..... "[٦] إلى آخر النص.

١-السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨٩.

٢- السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨٩.

٣ – السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨٩

٤ – البيهقي ، السنن الكبرى، ج٩، ص٩ ..

٥- البيهقي ، السنن الكبرى، ج٩، ص٩.

٦ – السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨٩

بينما جاء في مقابلاته السابقة مع زعماء القبائل ما نصه، مما سبق ذكره:

"يدعوهم إلى الله وإلى نصرته..." [١]. .. "يلتمس النصرة من ثقيف .. كلمهم بما جاء إليه من نصرته على الإسلام.." [٢]. "يسألهم أن يصدقوه ويمنعوه"[٣]... "أدعو إلى شهادة أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وإلى أن تؤوني، وتنصروني"[٤].

ففي هذه المقابلات كما نلاحظ، دعوة، والتماس، وسؤال للنصرة!.

بينما هنا في اجتماع العقبة الثانية: دخول في البيعة على النصرة مباشرة، دون حاجة إلى طلبها، أو التماسها، أو سؤالها أولاً، قبل البيعة عليها– كما هو واضح فيما سبق!.

وقد يقال: إنّ سبب ذلك الفرق بين المقابلات السابقة مع رجال القبائل وبين هذا الاجتماع مع الأنصار عند العقبة للبيعة الثانية– هو أن أولئك الرجال– في المقابلات السابقة لم يكونوا مسلمين، فكان من الطبيعي أن يدعوا أولاً إلى الإسلام، ثم تلتمس منهم النصرة، ويدعوا إلى تقديمها، بينما كان الأنصار في الاجتماع عند العقبةالثانية– مسلمين، من أجل هذا بادر إلى بيعتهم!.قد يقال: إن سبب الفرق هو هذا!.

أن الرهط الخزرجي الذي التقاه رسول الله ﷺ بعد يوم بعاث كان قد أعلن إسلامه"[٥]، ومع ذلك، لم يبايعهم الرسول ﷺ على النصرة، وإنما الذي فهم من ذلك اللقاء أنه طلب منهم النصرة، كما كان يطلبها من غيرهم، ولكن لم يكن باستطاعتهم في ذلك الوقت بذل تلك النصرة بمعنى تقديم الحكم والسلطان إليه، وعدوه أولاً بالعمل على نصرته بمعنى حماية تبليغ أفكار الجماعة، ونشر الإسلام، وجمع الناس عليه

---

١ – الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢، ص ٣٤٨.
٢ – السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٢.
٣ – السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص١٧٣.
٤ – السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٨١.
٥ – الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص٤٠، السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٧٦–١٧٧

وهذا هو الذي تم ما بين، إسلام الرهط الخزرجي، وبين بيعة العقبة الأولى. ومن ثم يتأتى العمل لكسب القوى التي تقدر على بذل النصرة بمعنى تقديم السلطة للنبي ﷺ وهذا هو الذي تم ما بين بيعة العقبة الأولى، وبين العقبة الثانية، وهو الأمر الذي جاء الأنصار في هذا الموسم لتقديمه للنبي ﷺ والبيعة عليه، وذلك بعدما قرروا ذلك في مؤتمرهم الذي عقدوه في يثرب قبل قدومهم إلى موسم الحج.

وهو ما دل عليه البيهقي في روايته عن جابر بن عبد الله، بشأن هذا المؤتمر الذي انعقد في المدينة: قال: "... فائتمرنا، واجتمعنا سبعين رجلاً منا، فقلنا: حتى متى رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة، .... ويخاف، فرحلنا حتى قدمنا عليه. قال: تبايعوني... قلنا: نبايعك!" [١].

ولنا أن نتساءل- ما دامت هذه البيعة قد تمت على النصرة، فمتى حصل طلب الرسول ﷺ لهذه النصرة حتى بادر في اجتماع العقبة إلى عقد البيعة عليها؟

هل طلب الرسول للنصرة – الذي فهم من لقائه مع الرهط الخزرجي، قبل سنتين من بيعة العقبة الثانية هذه- اعتبر ذلك الطلب طلباً مستمراً إلى أن تحصل القدرة على تلبيته؟ كما يفهم من قول ذلك الرهط: "إنا نشير عليك بما نرى، امكث على اسم الله، حتى نرجع إلى قومنا فنخبرهم... وندعوهم...." [٢]، أم هل كان الرسول ﷺ قد كلف "مصعب بن عمير" بطلب هذه النصرة من زعماء العشائر في يثرب بعد إسلامهم؟ كما قد يفهم مما توحي به هذه العبارة التي وردت في بعض السير: "ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة... وأخبر النبي ﷺ عمن أسلم، فسر- عليه الصلاة والسلام – بذلك!" [٣]؟

١- البيهقي ، السنن الكبرى، ج٩، ص٩ .

٢-الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص٤٠-٤١.

٣-الحلبي ،السيرة الحلبية،ج ٢، ص١٥.

أم هل كانت المبادرة في تقديم النصرة للرسول ﷺ - إنما هي من الأنصار في ذلك المؤتمر الذي عقدوه في يثرب[١]؟

لا يمكن ترجيح أحد من هذه الفرضيات لكن كلها واردة .إلا أن الذي يهمنا أن النصرة تمت بعد بيعة العقبة الاولى ، على مدى عام كامل من طلب النصرة في يثرب.. ثم نتجت تلك الإجابة للنصرة المذكورة ببيعة العقبة الثانية.

والسؤال الذي يثار هنا على ماذا كانت العقبة الثانية، وما هي الشروط التي انعقدت عليها؟

ورد في كتب السنة، والسيرة النبوية روايات متعددة في وقائع الاجتماع لبيعة العقبة الثانية، والكلمات التي ألقيت في الاجتماع، والنص الذي جرت عليه البيعة.

يقول محمد أبو زهرة، بمناسبة تعدد تلك الروايات: "ولا تخالف بينها، بل يكمل بعضها بعضاً، وإذا كانت نقصت بعض العبارات من رواية، فإن الرواية الأخرى تكملها"[٢].

وليس من غرضنا هنا استعراض كل ما جرى في اجتماع بيعة العقبة الثانية، ولا إيراد جميع النصوص الواردة بشأن هذه البيعة، فقد سبق خلال هذا البحث، إيراد بعض النصوص المتعلقة بهذه البيعة، وتكفينا هنا تقرير ما تم عليه العقد في هذه البيعة، وإيراد بعض ما يتعلق بذلك من الروايات لإعطاء صورة متكاملة واضحة عن هذه البيعة!.

يقول ابن حجر، حول هذا الموضوع ما نصه: "إنما كان ليلة العقبة ما ذكر ابن إسحاق، وغيره، من أهل المغازي أن النبي ﷺ قال لمن حضر من الأنصار:" أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، وأبناءكم، فبايعوه على ذلك، وعلى أن يرحل إليهم، هو وأصحابه"[٣].

١- البيهقي ، السنن الكبرى، ج٩، ص٩ .
٢ - محمد أبو زهرة، خاتم النبيين ، ج١، ص٥٠١.
٣ - ابن حجر، فتح الباري ،ج ١، ص٦٦.

ويورد ابن حجر ما قاله عبادة بن الصامت لأبي هريرة(ت٥٧هـ /٦٧٧م)عند معاوية بالشام، بصدد بيعة العقبة الثانية، فيما يرويه احمد... قال:"يا أبا هريرة، إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول بالحق، ولا نخاف في الله لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب! فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا، وأزواجنا، وأبناءنا، ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها..." [١].

وجاء في سنن البيهقي حول هذه البيعة: "تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر.."[٢].

وجاء في رواية أسعد بن زرارة[٣]، أحد رجالات الأنصار في هذا الاجتماع، قال: "يا رسول الله! إن لكل دعوة سبيلا، إن لين وإن شدة! وقد دعوتنا اليوم إلى دعوة متجهمة للناس، متوعرة عليهم، دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك إلى دينك، وتلك مرتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار، والأرحام، والقريب والبعيد، وتلك مرتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا ونحن جماعة في عز ومنعة، ولا يطمع فينا أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا، قد أفرده قومه، وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلا من عزم الله على رشده، والتمس الخير في عواقبها، وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا، وصدورنا... نبايعك على ذلك، ونبايع الله ربك، يد الله فوق أيدينا، ودماؤنا دون دمك..." [٤].

---

١ – ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص٦٦.

٢ – البيهقي ، السنن الكبرى، ج٩،ص٩.

٣ – هو أسعد بن زرارة الأنصاري الخزرجي النجاري، قديم الإسلام، شهد العقبتين وكان نقيباً على قبيلته ولم يكن في النقباء أصغر سناً منه، ويقال أنه أول من بايع ليلة العقبة.

٤ – الهندي،علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ /١٥٦٨م)،كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،١٦ج،ط ٢ ، حيدر أباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٨ هـ١٩٦٨ م،ج١،ص٣٢٦.وسيشار لاحقا،الهندي،كنز العمال

وعن أبي مسعود، عقبة بن عامر، أحد رجال الأنصار في بيعة العقبة الثانية، وكان أصغرهم، قال: "وعدنا رسول الله ﷺ في أصل العقبة .. فأتانا فقال: أوجزوا في الخطبة، فإني أخاف عليكم كفار قريش، فقلنا: يا رسول الله: سلنا لربك، وسلنا لأصحابك، وأخبرنا ما لنا من الثواب على الله – تبارك وتعالى– وعليك؟ قال: أما الذي أسألكم لربي: أن تؤمنوا به، ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذي أسألكم لنفسي، أسألكم إن تطيعوني أهدكم سبل الرشاد، وأسألكم لي ولأصحابي أن تواسونا في ذات أيديكم، وأن تمنعونا مما منعتم منه أنفسكم، فإذا فعلتم ذلك فلكم على الله الجنة، وعليّ! قال: فمددنا أيدينا فبايعناه!" [١].

وعن "عروة بن الزبير" أن أبا الهيثم ين التيهان خطب في هذا الاجتماع فقال: "يا قوم! هذا رسول الله، أشهد إنه لصادق، وإنه اليوم في حرم الله وأمنه، وبين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا، إنه إن تخرجوه برتكم العرب عن قوس واحدة! فإن طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله! وذهاب الأموال والأولاد– فأدعوه إلى أرضكم، فإنه رسول الله حقاً. وإن خفتم خذلانا– فمن الآن! فقالوا عند ذلك: قبلنا عن الله، وعن رسول ما أعطيانا، وقد أعطينا من رسول الله الذي سألتنا، يا رسول الله!" [٢].

كما قام العباس بن نضلة أحد رجال هذه البيعة، فألقى كلمة قال فيها: " هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس!" [٣].

هذه نبذه من وقائع اجتماع العقبة، والكلمات التي ألقيت فيه، بصدد بيعة العقبة الثانية، نستخلص منها، أن البيعة قد تمت على ضوء الأمور التالية:

---

١ – الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص٤٧.

٢ – الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦،ص٤٧.

٣ – السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢، ص١٩١. وجاء في الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢، ص١٨–١٩: "أي: على من حاربه منهم– أي: العرب– والعجم– وإلا فهو ﷺ لم يؤذن في البداءة بالمحاربة إلا بعد أن هاجر إلى المدينة بمدة: وكان قبل ذلك مأموراً بالدعاء إلى الله تعالى، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل".

١- الالتزام، والتأكيد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهر بالحق، دون خوف من لومة لائم.

٢- أن يهاجر رسول الله ﷺ إلى يثرب مع أصحابه، وأن يبذل الأنصار من أموالهم على سبيل المواساة للنبي ﷺ ، ولأصحابه الذين يهاجرون اليهم.

٣- تقديم الحماية للرسول ﷺ ، ولأصحابه حين يقدموا يثرب، والدفاع عنهم ممن يقصدهم بسوء، كما يدافعون عن أنفسهم، وأهليهم.

٤- إعطاء الرسول ﷺ مقاليد السلطة في يثرب، وذلك بجعله رئيساً عليهم وبيعته على الطاعة في جميع الأحوال.

٥- جعل رابطة الإسلام التي تربط بين المسلمين فوق كل الروابط، وقطع كل ما يعارضها من روابط الجوار، والنسب، والقريب والبعيد!.

٦- التهيؤ لمواجهة عداوة العرب جميعاً بعد هجرة النبي ﷺ ، وصحبه إلى يثرب، وإقامة الدولة الإسلامية، والاستعداد لذلك بالقتال في سبيل الله عن طيب نفس هذا ما تمت عليه بيعة العقبة الثانية.

كما يفهم من جميع النصوص المتعلقة بهذه وقد اشتهرت هذه البيعة في كتب السنة والسيرة ببيعة الحرب[١]، لأن هذه البيعة قررت استخدام الحرب تحقيقاً للمنعة التي تمت عليها البيعة- ضد كل من يريد الدولة الإسلامية بسوء، ولكن مع وقف الإذن بالتنفيذ حتى يصل الرسول ﷺ إلى يثرب. وإنما سميت ببيعة الحرب مع أنها تشتمل على أشياء أخرى غير الحرب وذلك من باب تسمية الشيء بأبرز ما فيه!.

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٧٠.

وبعد تمام هذه البيعة أمر رسول الله ﷺ صحبه بالهجرة إلى يثرب في قوله:" إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا، وداراً تأمنون بها، أخرجوا رسالا"[١].

وقوله ﷺ: "إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل يثرب ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى يثرب"[٢].

وبهذا يتجلى أن الهجرة إلى يثرب لم تكن فراراً من الأذى، وإنما كانت لإقامة كيان للمسلمين يمكنهم من حمل رسالتهم إلى العالم، وفي هذا يقول "محمود شلتوت" في كتابه: "الإسلام والوجود الدولي للمسلمين" ما نصه: "إن نقطة التحول في حياة الإسلام، هي الهجرة.. التي كانت تمهيدا لتثبيت البناء الإسلامي، وميلاد دولة، داخل إطار من القوة...!. لم تكن الهجرة فراراً من الأذى... ولا التماسا للرزق... إنما هو الإيمان بالله.. يأبى على صاحبه أن يخلد إلى السكون، أو يرضى بالخنوع تحت سلطان القهر...وهكذا تمت الهجرة، وكانت مبدأ الوجود الدولي للمسلمين... و.. كملت لهم عناصر الوجود الدولي فيما بينهم، بعضهم مع بعض، بتشريعاتهم الداخلية، وفيما بينهم وبين غيرهم، بتشريعاتهم الخارجية"[٣].

وبهذا الاستعراض نصل إلى نتيجة مفادها أن الرسول ﷺ قد سار في الفترة المكية بمنهج واضح المعالم لإقامة دولة الإسلام ، فلقد بدأ هذا المنهج بإقامة جماعة تحمل عبء العمل لهذه الدولة .فحرص على تنظيمها وتثقيفها وإعدادها الإعداد اللازم لتحمل مهام الدولة التي كان يخطط لإقامتها، وزود هذه الجماعة بما يلزم من الأفكار التي يحتاجها لخوض غمار المجتمع المضاد لفكرة الدولة ، ليقلب فيه أفكار المجتمع القديمة ويحل مكانها الأفكار الجديدة .

---

١ - السهيلي، الروض الأنف ، ج ٢،ص٢١١.

٢ - ابن حجر، فتح الباري،ج ٧،ص٢٣١.

٣ - محمود شلتوت، الإسلام والوجود الدولي للمسلمين، ص٤٦، ٥٣

ولذلك حرص الرسول ﷺ على سرية هذا التنظيم واحتاط له ما أمكن من الانكشاف وبعد أن اكتمل بناء هذه الجماعة وتوفرت شروط ظهوره ، أعلنه الرسول ﷺ بشكل لافت للنظر بأن أخرجهم صفيين،حمزة وعمر في كل صف بشكل لم تعهده مكة من قبل.

وبذلك دخل منهج الرسول ﷺ مرحلة جديدة وهي مرحلة التفاعل مع المجتمع بالفكر الجديد والجماعة الجديدة وخوض أفكار الإسلام الصراع الفكري مع أفكار قريش ، بل وزاد الرسولﷺ في هذه المرحلة أعمالا جديدة وهي العمل السياسي المتقصد لزعماء قريش وأفكارهم .

ويلاحظ ما ترتب على هذه المرحلة من مقاومة شديدة من قريش ومحاولات فتن أصحاب الفكر الجديد عن مبدأهم لكن البناء المحكم في فترة التثقيف كان له الدور الأبرز في الصمود في مواجهة هذه الهجمة الشرسة من أعداء فكرة الدولة .

وبعد تجمد مجتمع مكة ، لاستقبال هذا الفكر الجديد أضاف الرسول ﷺ عملا جديدا لهذه المرحلة العلنية وهي طلب النصرة من أهل القوة من القبائل المختلفة حتى استطاع نيلها من أهل يثرب وبذلك اكتمل المنهج بأخذ (بيعة الحرب) في بناء دولة الإسلام الأولى في يثرب.

وقد حاول الباحث -ما استطاع – عرض النصوص والاستشهادات التي تدعم فكرته في مفاصل هذا المنهج ،رغم صعوبة الفصل بين أعمال الرسول الدعوية التي كان يهدف من خلالها لنشر الدين، وبين أعماله المخصوصة التي كان يهدف منها لبناء الدولة .

رغم ميلنا لفكرة وهي إن من لزوم نشر الدين إيجاد دولته ، فتكون الدولة بهذه الفرضية هي الطريقة التي اتخذها الرسول ﷺ لنشر الدين .

وبهذا ينتهي فصل منهج الرسول في إقامة الدولة وتبدأ مرحلة جديدة وهي التطبيق العملي لفكرة الدولة في المدينة وهذا ما سنعالجه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

الفصل الثالث

مرحلة إقامة الدولة.

أولاً: يثرب قبل إقامة الدولة.

ثانياً: خصائص يثرب التي أهلتها لتكون مقرا لدولة الرسولﷺ

ثالثاً: النظام السياسي الجديد الذي جاء به الرسول ﷺ

الفصل الثالث: مرحلة إقامة الدولة

شكلت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى يثرب تتويجا لمنهجه ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية التي عمل على بنائها بمنهج واضح المعالم ثابت الخطى، فقد بات من المتفق عليه بين المؤرخين أن حدث الهجرة كان إعلاناً لبزوغ مرحلة الدولة الإسلامية، بعد مرحلتي التثقيف والتفاعل مع المجتمع في مكة المكرمة، وقد وضع الرسول ﷺ خلال هذه المرحلة الجديدة المعالم الأساسية للدولة الإسلامية في كل أبعادها، وأخذ يفكر في هذه الحياة الجديدة التي استفتحها، والتي نقلته ونقلت جماعته خطوة واسعة من دور إلى دور، نقلتها من دور التثقيف ومن دور التفاعل إلى دور تطبيق أحكام الإسلام على النّاس في علاقاتهم، نقلتها من دور الدعوة فحسب والصبر على الأذى في سبيلها، إلى دور الحكم والسلطان والقوة التي تحمي هذه الجماعة.

فالرسول ﷺ منذ وصل يثرب أمر ببناء المسجد مكاناً للصلاة وللاجتماع وللتشاور ولإدارة شؤون المسلمين والقضاء بينهم، واتخذ أبا بكر وعمر وزيرين له، قال عليه الصلاة والسلام: «وزيراي في الأرض أبو بكر وعمر»[١] والتف المسلمون حوله وصاروا يرجعون إليه، فكان يقوم بأعمال رئيس الدولة والقاضي، وقائد الجيش، وكان ﷺ يرعى شؤون المسلمين، ويفصل الخصومات بينهم.

وأخذ يؤمّر على السرايا قواداً، ويرسل السرايا خارج يثرب. وبذلك أقام الدولة في يثرب من أول يوم أقام فيها، وأخذ يركز هذه الدولة ببناء المجتمع على أساس ثابت، وتهيئة القوة الكافية لحماية الدولة ونشر الدعوة. وبعد أن اطمأن لذلك كله بدأ يزيل الحواجز المادية التي تقف في سبيل نشر الإسلام.

وبالتالي فإن مرحلة استلام الحكم في يثرب وتطبيق أفكار الإسلام من خلال دولة جديرة بالاهتمام والدراسة، - فكيف أسس الرسول ﷺ ، بعد الهجرة مدينة بأكملها، أو بالأحرى كيف أعاد

---

١ – الترمذي، السنن، ج٥،ص٦١٦

تهيئة مدينة صغيرة ليجعل منها في ظرف وجيز نسبيا حاضرة مهمة نافست أهم حواضر عصرها؟

وقبل التعرف على ما قام به الرسولﷺ في يثرب يجب الاطلاع على يثرب قبل أقامة الدولة فيها.

أولاً: يثرب قبل إقامة الدولة

يقول الإخباريون أنها سميت يثرب نسبة إلى يثرب من قائية بن هلائيل بن أرم بن عبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو أول من نزلها عند تفرق ذرية نوح[١].

وذكر بعض الإخباريين أن اسم يثرب مأخوذ من الثرب بمعنى الفساد أو التثريب أي المؤاخذة بالذنب، وذكروا أن النبي ﷺ نهى عن تسميتها بيثرب، وسماها طيبة وطابة كراهية لتثريب[٢].

وحين هاجر الرسول، إليها ونزل بها سميت بمدينة الرسول في الاسلام، لأنه كان ينفر من اسمها القديم " سواء كان بمعنى التثريب أو الافساد أو لأنه أسم رئيس من العمالقة الذين نزلوا بها في العصور القديمة فيما يقرب من سنة ٢٦٠٠ ق.م على حد قول بعض الباحثين "[٣].

أما على صعيد سكان يثرب، وبخاصة منهم اليهود، فإننا نجد بعض التباينات حول أهل يهود يثرب، من حيث المكان الذين هاجروا منه، والزمان الذي قدموا فيه.

فهناك بعض الإخباريين من يزعم أن أول من زرع بيثرب واتخذ بها النخيل، وعمر بها الدور والاطام، واتخذ بها الضياع، العماليق، وهم بنو عملاق بن أرفخسد بن سام بن نوح. وكان يسكن يثرب منهم بنوهف، وسعد بن هفاف، وبن مطرويل [٤] ، ثم نزل اليهود بيثرب، وكان سبب نزولهم

١- المسعودي، مروج الذهب ، ج٢، ص١٤٨

٢- السمهودي، علي نور الدين أبو الحسن بن عبد الله (ت ٩١١ هـ /١٥٠٦م)، وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى، ٢ ج ، القاهرة، مطبعة الاداب والمؤيد، ١٣١٦ هـ ، ج١، ص١،وسيشار لاحقا،السمهودي ، وفاء الوفا ،

٣- مولاي، محمد علي، محمد رسول الله، ترجمة مصطفى فهمي، القاهرة ١٩٤٥، ص٨،وسيشار لاحقا،مولاي،محمد رسول الله

٤- السمهودي، وفاء الوفا ،ج١، ص١١٠

يثرب وفقا لروايات الاخباريين بأن موسى بن عمران بعث بعثاً منهم إلى العماليق وقاتلوهم حتى قتلوهم، وكان هذا أول سكنى اليهود بالحجاز ويثرب[١] .

غير ان النظرية التي تحظى بتأييد نسبة قوية من الاخباريين تقر بأن اليهود قد نزحوا من بلاد الشام في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد بعد أن سيطر الروم على الشام ومصر، وعلى اليهود ودولة الأنباط ، الأمر الذي جعل اليهود يهاجرون إلى الحجاز.

وذلك لأن بني قريظة يزعمون أن" الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بني اسرائيل خلقاً كثيراً، فخرج بنو قريظة والنظير وهدل، هاربين من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو اسرائيل ليسكنوا معهم، فلما فصلوا من الشام وجه ملك الروم في طلبهم من يردهم، فاعجزوا رسله وقاتلوهم"[٢] .

واشتدت هجرة اليهود إلى الحجاز بعد فشل التمرد اليهودي ضد الرومان والتي أخمدها الامبراطور تيتوس في عام ٧٠م، وقد وصل بعض هؤلاء اليهود المهاجرين إلى يثرب كما وصلت مجموعة أخرى من اليهود إلى يثرب بعد فشل ثورة أخرى قاموا بها في زمن الإمبراطور هادريان بين عامي ١٣٢-١٣٥م وشكل هؤلاء اليهود الجالية اليهودية من يثرب والحجاز[٣] .

لقد سيطر اليهود في يثرب سيطرة اقتصادية وسياسية وفكرية، فكان يهود يثرب يتاجرون مع بلاد الشام، اذ أنهم نقلوا منها فكرة بناء الاطام[٤] " [٥] حيث بلغ عددها ٥٩ أطماً. [٦]

١- السمهودي، وفاء الوفا ،ج١، ص١١٢

٢- السمهودي، وفاء الوفا ، ج١ ،ص١١٢

٣- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص٥١٤ .

٤- " الأُطُمُ : حصن مبني بحجارة ، ابن منظور ،لسان العرب،ج١،ص١٢١

٥- ابن سيده ،علي المرسي الأندلسي(ت ٤٥٨هـ /١٠٦٦م) ، المُحكم والمحيط الأعظم ، طبعة دارالكُتب العلمية بيروت،ج٩ ، ص ٢١٠ ،وسيشار لاحقا،ابن سيده،المحكم

٦- الزبيدي، تاج العروس، ج٨،ص١٨٧

كما حمل اليهود معهم خبراتهم الزراعية والحرفية مما أثر في ازدهار بساتين يثرب حيث النخيل والأعشاب والرمان وبعض الحبوب، كما ظهر الاهتمام بتربية الدواجن والماشية وبرزت حرفة النسيج الذي تحوكه النسوة إلى جانب الأواني المنزلية.

وكما أثر اليهود على مجتمع يثرب فقد تأثروا بالعرب من حولهم فظهرت مظاهر الحياة القبلية على يهود بما فيها من عصبية وكرم واهتمام بالشعر وتدريب على السلاح.

وطغيان النزعة القبلية على اليهود جعلهم لا يعيشون ككتلة دينية واحدة بل قبائل متنازعة لم تتمكن من توحيد صفها حتى في عصر النبوة عندما واجهت أحداث الجلاء[١] .

وإذا كان لليهود الغلبة على القبائل العربية التي كانت تسكن يثرب والتي يعود نسبها إلى العماليق، باعتبار أن اليهود كانوا يمتلكون السلطة الاقتصادية والمتمثلة في الأموال والاطام والنخيل، إلا أن هذا الاتجاه تغير مع قدوم الأوس والخزرج إلى يثرب.

وكان قدوم الأوس والخزرج الذين ينتمون إلى قبيلة الازد اليمانية الكبيرة، التي هاجرت من اليمن باتجاه الحجاز في فترات مختلفة ،على أثر انهيار سد مأرب، وحدوث سيل العرم.

فأجمع عمر بن عامر بن حارثة بن ثعلبية، الخروج عن بلاده وباع ماله بمأرب، وتفرق ولده، فنزلت الأوس والخزرج يثرب

وارتحلت غسان إلى الشام، وذهبت الازد إلى عّمان وخزاعة إلى تهامة.وأقامت الأوس والخزرج بيثرب ووجدوا الأموال والاطام والنخيل في أيدي اليهود ووجدوا العدد والقوة معهم، فمكثوا معهم أمداً وعقدوا معهم حلفاً وجوارا يأمن به بعضهم بعضاً ويمتنعون به من سواهم، فلم يزالوا على ذلك زمناً

١- العمري، اكرم ضياء، المجتمع المدني في عهد النبوة، الطبعة الأولى ١٩٨٣،الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ص٥٩-٦٠.وسيشار لاحقا، العمري، المجتمع المدني .

طويلاً حتى نقضت اليهود عهد الحلف والجوار، وتسلطها على يثرب، فاستعان الأوس والخزرج بأقربائهم على اليهود، فغلبوهم، وصارت الغلبة للعرب على يثرب منذ ذلك العهد[١].

على الرغم من العلاقات الأخوية التي كانت قائمة بين الأوس والخزرج اثر تغلبهم على اليهود، وانتقال مركز السيطرة الاقتصادية والمالية لمصلحة العرب، الذين ازداد عددهم وثروتهم، إلا أنه سرعان ما دبت الخلافات والحروب بين القبيلتين، وعمل اليهود على بث الفرقة والشقاق بين العرب، بهدف تفتيت وحدتهم.

وقد نجح اليهود في إذكاء نار العداوة والحروب بين الأوس والخزرج، فتحالف الأوس مع يهود قبيلة بني قريظة وبني النضير، وهزمت الخزرج في "يوم بعاث"، وذلك قبل الهجرة، بخمس سنوات، وكانت نتيجة هذا الصراع لمصلحة الأوس، وفطن كل من الأوس والخزرج ما كان يسعى إليه اليهود من تفريق صفوفهم، بهدف استعادة سيطرتهم على يثرب.

وهذه الحروب ولدت شعوراً بالمرارة عند الطرفين، ورغبةً قوية في العيش بهدوء وسلام- وقد عبرت السيدة عائشة زوجة الرسول عن أثر الحروب والمنازعات في إقبال أهل يثرب على الإسلام بقولها" كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ ، وقد افترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم ، وجرحوا ، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الإسلام "[٢].

ثانياً: خصائص يثرب اهلتها لتكون مقراً لدولة الرسولﷺ

إن اختيار الرسول ﷺ ليثرب بتأييد وتوفيق من الله تعالى روعيت فيه اعتبارات دقيقة، كيف لا والهجرة لم تكن فقط -موقفا تعبديا ينتظر منه الحماية للمسلمين فحسب، بل كان حكما ربانيا بإنشاء دولة الإسلام [٣]

١- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص١٢٨-١٢٩.

٢- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص ١١٠

٣- عبدالعاني،أسامةعبدالمجيد،رؤية اقتصادية، مجلة الإسلام اليوم إسيسكو العدد١٣ ،١٤١٦هـ ١٩٩٥م ، ص ٢٠

فالرسول ﷺ وهو يتطلع إلى مستقبل الإسلام والمسلمين خلال المراحل المقبلة، لم يقع اختياره على يثرب بالصدفة، هو الذي كانت له تجارب مع مواقف أخرى داخل وخارج الجزيرة العربية: بني حنيفة، الطائف، الحبشة· بل لاشك أنه وفق لهذا الاختيار بتأييد من ربه لاعتبارات يمكن أن نجمل أهمها فيما يلي:

أولاً: الموقع الجغرافي ليثرب: إن الموقع الجغرافي لأية مدينة يعتبر من أهم العوامل التي تحدد مدى تطورها وازدهارها، بل إن نشأة وتطور كثير من المدن والحواضر يرجع في المقام الأول إلى الخصائص الجغرافية التي تميز موقعها، ويثرب، تمتاز بموقعها الجغرافي على طريق تجارة الشام عصب الاقتصاد القرشي ومتاخمتها لمنطقة حضارية عريقة في الشمال حيث التيارات المسيحية والثقافات الإغريقية تتجاذبها وتدفع بتأثيرها إلى الحجاز[١]

ثانياً: توافر بنية اقتصادية معتبرة من خلال تنوعها ومستوى تطورها، فهناك الزراعة التي تعتبر يثرب إحدى أهم واحاتها في الجزيرة العربية إلى جانب الطائف وعسير وحضرموت··· فهذه المناطق كانت تمتاز بخصوبة أراضيها ووفرة مياهها وكثرة وتنوع أغراسها [٢]

وقد كان التطور الزراعي في يثرب حصيلة الخبرة الزراعية التي أتى بها اليهود من بلاد الشام من جهة، والعرب التي هاجرت من بلاد اليمن من جهة ثانية [٣] أما فيما يخص النشاط الحرفي فقد قامت في يثرب مجموعة من الحرف خاصة تلك التي تعتمد على الإنتاج الزراعي المحلي كما عرفت بعض الحرف التعدينية كصناعة الأسلحة والآلات المستخدمة في الري والزراعة[٤]

١- بيضون، إبراهيم، الحجاز والدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ط١، ص ١٢٤ · وسيشار لاحقا ، ابراهيم بيضون ، الحجاز والدولة الإسلامية.

٢- خليل، محسن، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢، ص٣٨،وسيشار لاحقا،محسن خليل، في الفكر الاقتصادي

٣- العمري، المجتمع المدني، ص ١٨

٤- محسن خليل، في الفكر الاقتصادي، ص٤٨

وأخيرا فإن النشاط التجاري كان له حضوره أيضاً بحكم موقع يثرب كنقطة على طريق الشام فضلاً على أن فائض الإنتاج الزراعي والحرفي يقتضي صرفه نحو الخارج.

ثالثاً: من الناحية السياسية والاجتماعية، كانت يثرب تعيش في ظل تنوع سكاني يطبعه اختلال في موازين القوى لصالح اليهود على حساب العرب، كل ذلك في ظل غياب سلطة سياسية مركزية موحدة [١].

هذه هي الوضعية التي كانت تميز يثرب عشية الهجرة إليها،ولتوضيح الصورة يحتاج الباحث للتدليل على صفات النظام السياسي الجديد الذي أتى به الرسولﷺ ليثرب والذي كان يسعى له بمنهجية واضحة ذكرناها في الفصول السابقة للدراسة.

فمجموعة المراحل التي سار عليها الرسولﷺ لإقامة الدولة الإسلامية توجت بعد إعطاء أهل يثرب النصرة له ليطبق النظام الجديد الذي وعدهم به والذي رأوه حالا لمشاكلهم ودافعاً عنهم الضعف والفرقة والتنازع ولهذا سيعمد الباحث لتوضيح ما هو نظام الحكم الذي جاء به الرسولﷺ ليحكم به يثرب.

ثالثاً: النظام السياسي الجديد الذي جاء به الرسول ﷺ

إن الدراسة التي تبحث في –منهج الرسول ﷺ في بناء الدولة الإسلامية – تجد لزاما عليها أن تعالج واحدة من القضايا التي ما فتئ يطرحها الفكر السياسي المعاصر على تنوع تياراته واتجاهاته ، وتتعلق هذه القضية بطبيعة الصراع الذي ساد بين صاحب الجماعة؛محمد ﷺ وكفار قريش ، لمعرفة ما إذا كان رسول اللهﷺ يعمل من الوهلة الأولى إلى إنشاء مجتمع جديد بنظامه ودولته بمعنى آخر عقيدة ينبثق عنها نظام ، أم أنه لم يكن يطمح إلى أكثر من تبليغ رسالته على مستوى فردي للاعتقاد بالدين الجديد اعتقادا شخصيا لاأكثرولا أقل ؟ وبتعبير

١- إبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص، ١٠٤

آخر ، هل بعث رسول الله ﷺ مبشرا بالدعوة الإسلامية لا غير، أم أنه كلف أيضاً بإقامة نظام سياسي إسلامي؟

إن الإجابة على هذا السؤال متشعب جدا في الفكر المعاصر ، ذلك لأن المعاصرين تناولوا معالجة المسألة المطروحة انطلاقا مما وصل إليه الغربيون من مناهج وأساليب عقلية في العلم والفلسفة والحضارة ، في حين أننا نجد نقيض هذا في تراثنا القديم ، إذ أن أسلافنا القدماء الذين تناولوا تاريخ الدعوة الإسلامية ، لم يكن تناولهم للموضوع مختلفا عن المستوى الذي وصل إليه العلم والحضارة عندهم آنذاك ، إذ زودونا بمعارف كثيرة جدا فيما يتعلق بهذه المسألة ، حتى لم يكادوا يتركون كبيرة أو صغيرة من الأخبار و الأحداث إلا أحصوها ،ذلك ما نجده في السير الكثيرة ،كسيرة ابن إسحاق(١٥١ هـ- ٧٦٨ م) بتهذيب ابن هشام ومن حذا حذوهما من الكتاب والمؤرخين مثلما هي الحال عند الطبري والمسعودي.

وفي كل ما نجده من موسوعات ومدونات مكثفة في شكل متون وحواشي وشروحات وتعليقات عليها ، وما قاموا به تجاه الحديث النبوي الشريف من جمع وتحقيق وتخريج ، ثم من شرح وتفسير وتمحيص إلى غير ذلك ، لكن ما أنتجته قرائحهم الفكرية في تاريخ الدعوة الإسلامية ، هو بمثابة المادة الخام ؛ جمعًا وتكديسًا للأخبار عن الحوادث كما رأوها أو سمعوا عنها ، لكن دون تحليل ونقد واجتهاد لتعبئة الفجوات التاريخية ، ودون تعليل واستنتاج فلا نكاد نجد كلاماً مباشراً يتطرق أصحابه إلى كيفية نشأة الدولة الإسلامية وتطورها ، رغم أنها كانت دولة قائمة ، وكل ما يدور حوله الحديث ، هو في الحقيقة لا يكاد يخرج عن نطاق الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية ، دون تأويل وتعليل ودون سبر للآراء وتفسير للأحداث ، فكان لا بد أن يفتح الباب أمام أساليب ومناهج البحث الجديدة في التراث العربي الإسلامي، وتغوص في أعماقه قصد الكشف عن أسراره وخباياه .

إن موقف كثير من علماء المسلمين المتقدمين منهم والمتأخرين أن الإسلام لا يفصل بين الدين والدولة ، ولا يفرق بين السياسة والدعوة ، بل هو موقف جامع بين الدين والدولة . فلا دعوة دينية دون تنظيم المسلمين تنظيما سياسيا ، ولا سياسة دنيوية للمسلمين في غياب هذه الدعوة .

فالدين الإسلامي كما يقول رشيد رضا؛ " هداية روحية ، ورابطة اجتماعية سياسية ، والكامل فيه من كملتا له ، والناقص فيه من ضعفت فيه إحداهما أوكلتاهما " [١] ولا يخرج هذا الموقف عن المفهوم الذي حدده مفكرو الإسلام في تعريفاتهم للخلافة ، أو الإمامة ، إذ قال الماوردي في الأحكام السلطانية ؛إن"الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا "[٢]

ونجده أيضاً عند ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦م)الذي يرى أن" الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية[٣]

وهو أيضاً ما يمكن استخلاصه من قولهﷺعندما طلب منه عمه ، في مرحلة سابقة ، إنصاف قومه والكف عن شتم آلهتهم مقابل تركهم له عن دينه ، قال : "أو لا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟" قال أبو طالب: "وإلامَ تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكوا بها العجم" وهي أن يقولوا : "لا اله إلا الله "[٤] .

فنلاحظ – هنا –وكأن رسول الله ، ﷺ، يعدهم بالسلطة السياسية التي بموجبها يخضع لهم العرب والعجم ، إن هم آمنوا بالله ربا ، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا .

١- رضا، رشيد ، الخلافة ، موفم للنشر ، ط ١، الجزائر ، ١٩٩٢ ، ص ١٠٧،وسيشار لاحقا، رضا، الخلافة

٢- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ /١٠٥٨م) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م، ص ٦٠،سيشارلاحقا،الماوردي، الأحكام السلطانية

٣– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٣٦

٤- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ،ج١، ص ٥٤٤

وقد جاء هذا المعنى في حديث الرسولﷺ فيما بعد إذ أنه قال: "إن هذا الأمر في قريش" [١]. وهي إشارة واضحة أن الإسلام جاء بدين منه تخرج دولة تمثله .

وبنفس المعنى يظهر شكل الدولة الجديدة مما ذكره الطبري عند الحديث عن الذي دار بين النبي وبعض رجال قبيلة بني عامر ، وهو بحيرة بن فارس الذي تحدث باسم قومه فقال : "أرأيت إن نحن تبعناك على أمرك ، ثم أظهره الله على من خالفك،أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال رسول الله ﷺ؛ الأمر لله يضعه حيث يشاء" [٢] .

ومن خلال هذه المواقف الواضحة ، ندرك جيدا مدى التلاصق بين الدين والدولة التي تمزج بين الاثنين إلى درجة القول بأنهما ؛" توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه " [٣]
كما يقول الماوردي ، إذ" أن الدين أس ، والملك حارس ، ولا بد للملك من أسه ، ولا بد للأس من حارسه ، لأن ما لا حارس له ضائع ، وما لا أس له منهدم " [٤] .

ويؤكد ابن تيميه من جهته هذا المعنى أيضاً ، إذ يقول": إن انفرد السلطان عن الدين ، أو الدين عن السلطان ، فسدت الأحوال "[٥]

وما نستخلصه من مواقف وأدلة علماء الأصول ؛و الفقهاء والمتكلمين ، هو أن الإمامة أو الخلافة ليست غاية في حد ذاتها بقدر ما هي وسيلة ضرورية لتحقيق الغاية العقائدية التي بموجب توفرها تحصل السعادة ، وهذا ما طبقه الرسولﷺ من نشر دعوته وبناء دولته .

١- البخاري،صحيح البخاري، ج،٥ ص١٣

٢- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ٥٥٦

٣- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، ص ١٤٩

٤- الماوردي ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ص ١٤٩

٥- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم(ت ٧٢٨ هـ /١٣٢٨م) ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي سامي النشار، وأحمد زكي عطية، ط ٢ ، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٥١ م ، ص١٩٠،وسيشار لاحقا،ابن تيمية، السياسة الشرعية

ولو كانت الرسالة الإسلامية متعلقة بالعقيدة الروحية فحسب ، كما يقول محمد أبو زهرة" ما هاجر النبي ﷺ ، ولا رفض البقاء في مكة المكرمة ، واكتفى أن يطلب من المشركين بأن يتركوه وما يعبد ، وأن يتركهم وما يعبدون" [١] لكن بعثه الله رحمة للعالمين .

وهو ما يراه الكثير من رجال الفكر الإسلامي المعاصر مثل المودودي" لا بد أن تقوم دولة تقيم الحق و تحبط الباطل ، وتمنع الظلم ، وتجمع الإنسانية ، وتنشر التعاون بين الناس وتمحو كل الفوارق التي تجعل بعض بني الإنسان يتحكم في الآخر ، وتمنع الفساد في الأرض " [٢]

وكما يرى المودودي فإن" علاقة الإنسان بالكون لا تستقيم أبداً طالما أن علاقته بخالق الكون لا تسير في مسارها المضبوط "[٣]، فسر المودودي قوله تعالى(﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[٤] إذ ما يلفت الانتباه في هذه الآية كما يرى المودودي ،" أن قانون العقوبات فيها يسمى دين الله [٥] "كذلك أن الدين كما ورد في هذه الآية ،" ليس مجرد الصلاة والصوم والحج والزكاة ، إنما هو أيضاً قانون البلاد"[٦] .

وإقامة الدين لا تعني إقامة المناسك والعبادات كالصلاة والصوم وغيرهما فقط ،" بل تعني إقامة قانون الله وشرعته كذلك "[٧] .

١- أبو زهرة، محمد ، المرجع في السيرة النبوية ، ، دار الفكر ، ط١ ،القاهرة د. ت، ج١ ، ص٤٨٠

٢- المودودي ،أبو الأعلى ، الحكومة الإسلامية ، ترجمة أحمد إدريس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط١،الجزائر ١٩٩٠م، ص ١٦، وسيشار له لاحقا، المودودي ، الحكومة الإسلامية.

٣- المودودي ، الحكومة الإسلامية ، ص١٦

٤- سورة النور ، الآية2

٥ .المودودي، الحكومة الإسلامية ، ص ١١٢

٦ - .المودودي ، الحكومة الإسلامية ، ص ١١٢

٧ - .المودودي ، الحكومة الإسلامية ، ص١١٢

إن رفض قانون الله واستبداله بغيره من القوانين" لا يعني سوى رفض دين الله ذاته " [١] كما أول المودودي هذه الآية الكريمة تأويلا يتفق والدعوة إلى تأسيس دولة إذ قال تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) [٢]

فمعناها عند المودودي أن الله عز وجل علم رسول الله ﷺ كيف يدعوه أن يعطيه السلطة ، ويسخر له حكومة تنصره ، وتشد أزره حتى يتمكن" بسلطانها وقوتها من تقويم اعوجاج الدين وإيقاف الفواحش والمعاصي وتنفيذ قانون عدالته " [٣]

فنلاحظ من خلال هذا العرض لآراء العلماء أن دعوة الرسول ﷺ لم تكن فقط منصبة على الجانب العقدي في الشريعة الإسلامية بل كانت حقاً مبدأً يحمل عقيدة ونظام لدولة من أجل تطبيق هذا النظام في جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما جاءت بتشريع كامل يعالج العلاقات في الدولة والمجتمع، سواء في الحكم، أو الاقتصاد أو الاجتماع أو التعليم، أو السياسة داخلية أو خارجية، وسواء أكانت تلك العلاقات تتعلق بالعلاقات العامة بين الدولة وأفراد رعاياها، أم بين الدولة وغيرها من الدول والأمم والشعوب، في حالتي السلم والحرب، أم كانت تتعلق بالعلاقات الخاصة بين أفراد المجتمع بعضهم بعض.

فكانت بذلك نظاماً كاملاً شاملاً للحياة الإنسانية كلها، طبقه ونفذه الرسول ﷺ كاملاً في دولة حدد لها شكلاً معيَّناً، جعله كنظام سياسي فريد عما عرفه البشر، وهو نظام الخلافة.

وقبل التدليل على وجود النظام السياسي في الإسلام أو نظام الحكم، لا بد من توضيح معنى النظام السياسي كمصطلح له واقع حتى يتبين معناه ومدلوله.

---

١ - .المودودي ، الحكومة الإسلامية ، ص١١٢

٢ سورة الإسراء ، الآية٨٠

٣- المودودي، الحكومة الإسلامية ، ص١١٢-١١٣

يُعرَّف النظام السياسي إما باعتباره لقباً، وإما باعتبار الألفاظ المكوَّن منها.

تعريفه باعتبار ألفاظه:

تعريف النظام:

النظام لغة: الخيط الذي يُنظم به اللؤلؤ، وكل خيط يُنظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام، ونظام كل أمر ملاكه، والنَّظْم: نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، كذلك هو في كل شيء حتى يقال: ليس لأمره نظام؛ أي لا تستقيم طريقته، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، والنظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، والنظام: الهدي والسيرة، وليس لأمرهم نظام؛ أي ليس لهم هدي ولا متعلق ولا استقامة، وما زال على نظام واحد؛ أي عادة[١] .

يتبين بما تقدم أن لفظ «النظام» يُطلق لغة على الأشياء المضموم بعضها إلى بعض، كما يطلق على الشيء الجامع لتلك الأشياء؛ على أن يراعى في ذلك الضم: الترابط الذي ليس فيه تنافر، والاستقامة التي لا يصحبها عوج، والاطراد الذي لا يعتريه خُلْف، وبذلك يمكننا القول بأن النظام: هو مجموع الأشياء المترابطة المتناسقة المتآلفة التي يكون لها ثبات واطراد.

تعريف السياسة

السياسة لغة: القيام على الشيء بما يصلحه، وسست الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها، وسُوِّس الرجل: إذا مُلِّك أمرهم، والسُّوس: الرياسة، يقال: ساسوهم سوساً، وإذا رأَّسوه قيل: سوَّسوه وأساسوه، والسياسة فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب: إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته[٢].

والسياسة بهذا البيان لفظة عربية أصيلة[٣]، والسياسة لغة لا تنحصر فيما يتعلق بالدولة وأمور الحكم، وإنما هي القيام على الشيء بما يصلحه فيجلب له المنافع أو الأمور الملائمة، ويدفع

---

١ - ابن منظور، لسان العرب ، ج١٢، ص٧٥٨

٢ - الزبيدي، تاج العروس، ج٤، ص١٦٩، ابن منظور، لسان العرب، ج٦ ، ص١٠٨.

٣ -خلافاً لما ذكره بعض المؤلفين من أنها لفظة غير عربية في الأصل، انظر: المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٠.

عنه المضار أو الأمور المنافية، ويتحدد لفظ السياسة بما يضاف إليه، فإذا أضفنا السياسة إلى الرعيَّة كان معنى ذلك القيام على شؤون الرعيَّة . من قِبَل ولاتها . بما يُصلح تلك الشؤون، ووسيلة ذلك الأمر والنهي والإرشاد، إضافة إلى الترتيبات الإدارية والنظامية التي تؤدي إلى تحقيق مصالح الرعية وجلب المنافع لهم ودفع المضار عنهم، يقول ابن تيمية عن «العلم بالسياسة»: «علم بما يدفع المضرة عن الدنيا ويجلب منفعتها»[١].

وقد استخدم الفقهاء لفظ «السياسة» في مصنفاتهم وأرادوا منها عدة معان:

١ . الأحكام الشرعية المتعلقة بأداء الأمانات في الولايات والأموال، والحكم بالعدل في حدود الله وحقوقه، وفي حقوق الآدميين[٢].

٢ . ما يسنّه ولاة الأمر مجتهدين فيه ، من الأمور التي تكون الرعيَّة معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يرد بذلك نص ما دام أنه يحقق المقاصد الشرعية، ولا يخالف أدلة الشرع التفصيلية[٣]، وهو ما يعني العمل بالمصالح المرسلة.

٣ . التعزيز والزجر والتأديب[٤].

ونخلص من كل ما تقدم إلى أن السياسة كلمة يدخل تحتها . في اصطلاح علماء الإسلام . مجموعة من الأحكام الشرعية، سواء منها ما يثبت بدليل خاص أو باجتهاد، يؤدي العمل بها إلى جلب الخير والصلاح لجماعة المسلمين وإلى دفع الشر والفساد عنهم، ولم تكن تعني الاقتصار على الأحكام المتعلقة بالدولة الإسلامية؛ من حيث شكل الدولة أو نوعها أو طبيعة السلطة فيها ومصدرها وكيفية ثبوتها وانتقالها، وشروط القائمين على رأس الدولة والجهة التي لها حق تعيينهم أو

---

١ – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤٩٣.

٢ – ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، ج٢٨، ص٢٤.

٣ – ابن القيم،إعلام الموقعين ، ج٤، ص٣٧٢

٤ – الطرابلسي، معين الحكام ،ص ١٦٩

عزلهم، والحقوق والواجبات المتبادلة بين الحكام والمحكومين، وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بالدولة.

لكنه حدث في العصر الحديث نوع من التخصيص لمدلول لفظ «السياسة»، ولم يعد يُفهم منه اصطلاحاً ما قدمناه سابقاً، وإنما صار يُفهم منه ما يتعلق بحكم الدول، وقد وردت عدة تعريفات للسياسة في الاصطلاح المعاصر؛ منها: «السياسة: معرفة كل ما يتعلق بفن حكم دولة وإدارة علاقاتها الخارجية»[١].

«السياسة: علم الدولة..، وتشمل دراسة نظام الدولة، وقانونها الأساسي، ونظام الحكم فيها، ونظامها التشريعي .. كما تشمل هذه الدراسة النظام الداخلي في الدولة، والأساليب التي تستخدمها التنظيمات الداخلية في إدارة شؤون البلاد أو للوصول إلى مقاعد الحكم»[٢].

وهناك اختلاف في تعريف السياسة في الاصطلاح المعاصر، حتى إنه ليصعب صياغة تعريف واحد يوافق عليه الجميع، إلا «أن هناك قدراً متيقناً متفقاً عليه لتحديد مدلول السياسة، ألا وهو أنها تتعلق بالسلطة في الدولة»[٣].

فإذا أردنا تعريف النظام السياسي بالنظر إلى لفظه؛ قلنا: هو مجموعة الخطوات أو الإجراءات المتناسقة التي يتم من خلالها تدبير الأمور وتسييرها بطريقة صالحة. وإذا أردنا تعريفه بالنظر إلى أنه لقب على كيفية حكم الدولة؛ قلنا: هو مجموعة الأحكام وما ينتج عنها من هيئات أو مؤسسات

---

١ – مارسيل بريلو ، علم السياسة، ترجمة محمد برجاوي، من منشورات عويدات، بيروت، ص ١١.

٢ – عطية الله ،أحمد، القاموس السياسي، دار النهضه العربية، ط ٣. ١٩٦٨م ، مصر، ص ٦٦١،وسيشار لاحقا،عطية الله ،القاموس السياسي

٣ – بدوي، ثروت، النظم السياسية ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٤،وسيشار لاحقا،البدوي، النظم السياسية

وتنظيمات متعلقة بالدولة الإسلامية من حيث إقامة الدولة وإدارتها والمحافظة عليها وتحقيق غايتها[١] .

فيدخل في إقامة الدولة الأحكام المتعلقة بنَصْب الخليفة؛ من حيث حكم توليته وشروطه وواجباته وحقوقه وكيفية اختياره، وصفات من يختاره، وكيفية انتقال السلطة وموجبات ذلك، وحدود صلاحياته.

كما يدخل في إدارتها: الأحكام المتعلقة بالسلطة؛ من حيث أنواعها، ومصدرها،والقيود التي ترد عليها، وأحكام الوزارة و الولايات وتقسيم البلدان، وإنشاء المرافق العامة، وأحكام الشورى، وصفات من يتولون المناصب العامة، ويدخل في ذلك الحديث عن وضع أهل الذمة في النظام السياسي، وكذلك وضع المرأة.

كما يدخل في المحافظة عليها وتحقيق غايتها الأحكام المتعلقة بالعمران والتنمية، وحقوق الرعية وواجباتها، كما يدخل في ذلك الأحكام المتعلقة بأمن المجتمع؛ من حيث الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصب القضاة وإقامة الحدود، والرقابة والمتابعة أي :الحسبة، كما يدخل في ذلك أحكام العلاقات الخارجية، وكل ذلك يتضافر معاً ليكون وحدة واحدة هي النظام السياسي الإسلامي.

وهذا التقسيم الذي أورده الباحث إنما هو تقسيم اجتهادي، وإلا فقد يدخل شيء مما ذكرته في موضع ما، تحت موضع آخر، أو يدخل في أكثر من موضع لارتباطه وتشعبه، ويدخل تحت ما تقدم جزئيات وفرعيات كثيرة تمثّل في مجموعها أحكام النظام السياسي في الإسلام، وهذه الأحكام

---

١ – هناك عدة تعريفات للنظام السياسي في الفكر الإنساني؛ منها: «مجموعة من القواعد والأجهزة المتناسقة المترابطة فيما بينها، تبيّن نظام الحكم ووسائل إسناد السلطة وأهدافها وطبيعتها ومركز الفرد منها، وضماناته قبلها، كما تحدد عناصر القوى المختلفة التي تسيطر على الجماعة وكيفية تفاعلها مع بعضها، والدور الذي تقوم به كل منها»، ثروت بدوي،النظم السياسية، ص١١م

وما تعلق بها من تنظيمات أو هيئات مبثوثة في الكتب الشرعية، سواء منها ما يقتصر على الأحكام الخاصة بالنظام السياسي والتي عُرفت باسم «الأحكام السلطانية»[١]، أو ما يتعرض للأحكام الشرعية كلها؛ مثل كتب الفقه والتفسير وشروح الحديث النبوي الشريف، وهناك طائفة كبيرة من هذه الأحكام في كتب نصائح الملوك-مرايا الامراء- التي تقدم وصايا خُلقية أو إداريةً باسلوب وعظي للخلفاء والسلاطين والوزراء والأمراء، وكذلك كتب الخراج.

وللتدليل على ما سبق، سنذكر أدلة وجود النظام السياسي في مرحلة بناء الدولة التي أنشأها الرسولﷺ في يثرب، فلقد جاء الرسولﷺ بنظام سياسي، وطلب من المسلمين الالتزام به دون ما سواه من الأنظمة السياسية، وعلى ذلك أدلة متعددة نوجزها فيما يلي:

أولاً: النصوص الشرعية ودلالتها على مجيء الإسلام بنظام سياسي محدد:

جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ببيان نظام الحكم أوالنظام السياسي، الذي ينبغي إتباعه والالتزام به؛ فبينت غايته وطبيعته وشكله، وأصل السلطة فيه، ومصدر الإلزام به، وصفات القائمين عليه، وواجباتهم وحقوقهم، ومكانة الأمة فيه، إلى غير ذلك من الأمور التي جاءت بها النصوص الشرعية أو دلت عليها، كما أعطته مصطلحاته الخاصة به التي تميزه عن غيره بحيث لا يشبه في ذلك نظاماً بشرياً سبقه، ولا يشبهه نظام بشري جاء بعده، فهو في ذلك متميز عن السابق واللاحق.

إن نظام الحكم في الإسلام الذي فرضه رب العالمين هو نظام الخلافة، الذي يُنصَّب فيه خليفة بالبيعة على كتاب الله وسنة رسوله للحكم بما أنزل الله. والأدلة على ذلك كثيرة مستفيضة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة

---

١ – لأبي الحسن الماوردي الشافعي(ت ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، لأبي يعلى محمد الفراء الحنبلي(ت٣٨٠هـ)، غياث الأمم في التياث الظلم، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني(ت٤١٩ هـ)، الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم(ت١١٣هـ) ، وغيرها كثير، هذا غير الكتب المعاصرة، وانظر: مقدمة تحقيق غياث الأمم.

أما الكتاب فقد قال تعالى مخاطباً الرسول ﷺ:

(فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ)[١]

وقال: (وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)[٢] ، فخطاب الرسول ﷺ بالحكم بينهم بما أنزل الله هو خطاب لأمته ﷺ، ومفهومه أن يوجِدوا حاكماً بعد رسول الله ﷺ يحكم بما أنزل الله ،والنظام السياسي في الإسلام أو نظام الحكم هو – الخلافة– والقائم عليه هو الخليفة، وقد يسمى الإمام، وأمير المؤمنين، ومن النصوص التي جاءت في ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) [٣]

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه فهو يقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام ،وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".[٤]

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى) [٥] ، فقوله تعالى: (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) بعد قوله (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً) دليل على أن المراد بالخليفة هو الحاكم الذي يحكم بين الناس.

---

١ – سورة المائدة،اية٤٨

٢ – سورة المائدة،اية٤٩

٣ – سورة البقرة،اية٣٠

٤ – ابن كثير ، تفسير ابن كثير،ج١،ص١١٠

٥ – سورة ص،اية٢٦

وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله"[١] ، وهذا يعني أيضاً أن المراد بالخليفة هو ولي الأمر أو الحاكم الذي يحكم بين الناس .

وقد ذكر ابن كثير أيضاً –في تفسير هذه الآية– أن الوليد بن عبدالملك أمير المؤمنين فترة خلافته، سأل أحد العلماء في زمانه قائلاً له: أيحاسب الخليفة؟ فرد عليه وقال له: إن الله قد جمع لداود النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه وتلا عليه قوله: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى)[٢] .وفي قوله: "إن الله جمع لداود النبوة والخلافة" تأييد لما ذكرناه من المراد بلفظ الخليفة في الآيات

أما الأحاديث فجاءت منها طائفة كثيرة يذكر الباحث بعضها:

١–قوله ﷺ: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم".[٣]

ففي هذا الحديث أن سياسة أمر الناس كانت في بني إسرائيل مناطة بالأنبياء، وأما في شريعتنا فإن سياسة أمر الناس –بعد الرسول ﷺ– مناطة بالخليفة، إذ لا نبي بعد الرسول ﷺ وهذا يعني أن النظام السياسي هو النظام الذي يكون على رأسه الخليفة، وهو الخلافة، والخليفة هو الذي يسوس أمر الناس على مقتضى الشرع، لأنه قائم في مقام الأنبياء والأنبياء يسوسون الدنيا بالدين.

هذا وقد كثر في السنة استعمال لفظ (خليفة) للقائم على رأس الدولة الإسلامية.

---

١ – ابن كثير ، تفسير ابن كثير ،ج٤،ص٥٠

٢ – ابن كثير ، تفسير ابن كثير ،ج٤،ص٥٠

٣ – ابن حجر ، فتح الباري ،ج٦،ص٥٧١

٢-قوله ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين..."[١] .

٣-قوله ﷺ: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما"[٢] .

٤-قوله ﷺ: "لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش"[٣] .

٥-قوله ﷺ: "يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده"[٤] .

٦-قوله ﷺ: "ما بعث الله نبي ولا استخلف خليفة إلا كانت له بطانتان..."[٥] .

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت في هذا المعنى، وقد ورد أيضاً لفظ (إمام) ليدل على ما دل عليه لفظ خليفة فمن ذلك:

١-قوله ﷺ: "ومن بايع إماماً، فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"[٦] .

٢-وفي حديث حذيفة: كان الناس يسألون رسول الله ﷺعن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني و-منه-.... "فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم: دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها... قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم..."[٧] .

---

١ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى ،ج٣٥،ص١٩

٢ - النووي، شرح النووي ،ج١٢،ص٣٣٧

٣ - ابن حجر، فتح الباري ،ج١٣،ص٢٢٤

٤ - النووي، شرح النووي ،ج١٨،ص٥٤

٥ - ابن حجر، فتح الباري ،ج١٣،ص٢٠١

٦ - النووي، شرح النووي ،ج١٢،ص٣٢٣

٧ - ابن حجر، فتح الباري ،ج١٣،ص٣٩

٣–قوله ﷺ: "إنما الإمام جُنَّة يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل كان له بذلك أجر، وإن أمر بغيره كان عليه منه"[١] .

٤–قوله ﷺ: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته..."[٢] .

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

وبما تقدم يعلم أيضاً أن لفظ خليفة ليس مما استحدثه المسلمون بعد رسول الله ﷺ كما يزعم بعض الباحثين[٣] ، وإذا كانت تلك النصوص السابقة قد تناولت اسم القائم على ذلك النظام،

فإن نصوصاً أخرى قد حددت اسم النظام وشكله، منها:

١–قوله ﷺ: "خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء"[٤] .

٢–قوله ﷺ: " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا ، فيكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم يكون ملكا جبريا ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت . "[٥]، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الشأن.

فهذه النصوص التي أوردنها – وهي قليل من كثير – تتحدث عن النظام السياسي في الإسلام، وتجعل له خصائصه المميزة، وتحدد له مفرداته ومصطلحاته الخاصة به؛ ليصبح لفظ الخلافة علماً على النظام السياسي في الإسلام.

---

١ – ابن حجر، فتح الباري ،ج٦،ص١٣٥

٢ – ابن حجر، فتح الباري ،ج١٣،ص١١٩

٣ – حسن إبراهيم، النظم الإسلامية ،ص١٩ ، ٢١

٤ – ابن القيم، عون المعبود ،ج١٢،ص٣٩٧

٥ – احمد ابن حنبل، مسند احمد ،ج٥،ص٣٤١

الفصل الرابع

الممارسات العملية للدولة الإسلامية في عهد الرسولﷺ

أولاً: الممارسات المادية لدولة الرسولﷺ

أ- بناء المسجد
ب- تخطيط الاحياء السكنية
ج- إنشاء المرافق الاقتصادية
١- الأسواق
٢- الشوارع والطرقات
٣- المرافق العامة

ثانياً:الممارسات التنظيمية لدولة الرسولﷺ

أ- تغيير اسم يثرب
ب-المؤاخاة
ج- الصحيفة

ثالثاً: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية

يمكن تصنيف هذه الممارسات إلى نوعين، ممارسات مادية وممارسات تنظيمية.

اولاً: الممارسات المادية لدولة الرسولﷺ :

وتتمثل في مجموعة من الإنجازات في البنية التحتية للدولة الوليدة، التي قام بها الرسول ﷺ داخل المدينة المنورة، التي نجم عنها تغير جذري في بنيتها التحتية، وذلك بالموازاة مع التغيرات العميقة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتنظيمي، في هذا الإطار يمكن أن نذكر المنشآت التالية:

أ- بناء المسجد: كان بناء المسجد هو أول عمل باشره الرسول ﷺ بعد دخوله يثرب وقد اختار له الموضع الذي بركت فيه ناقته وكان مربدا [١] لغلامين يتيمين من الأنصار في كفالة سعد بن زرارة، سام-دفع سعرا- الرسول ﷺ في هذه الأرض فعرض عليه الغلامان أن يهباه له. لكنه عليه الصلاة والسلام أبى، حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وكان في المكان شجر غرقد ونخل وقبور قديمة فأمر الرسول ﷺ بالشجر فقطع وبالقبور فنبشت، وتم بناء المسجد وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانب مثل ذلك أو دونه، ثم بني باللبن وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد[٢]" [٣] ، وجعلت قبلته في اتجاه الشمال، نحو بيت المقدس، قبل أن يأتي الأمر الإلهي بتغيير القبلة نحو مكة المكرمة سنة ٢هـ لقوله تعالى: (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[٤].

إن الأهمية الروحية للمسجد ومركزية دوره في الحياة العامة للمسلمين باعتباره مجالا وفضاء ليس فقط للعبادة ولكن ليتلقى فيه المسلمون تعاليم الإسلام وتوجهاته، ومنتدى تلتقي فيه وتتآلف

١- مكان مخصص لتجفيف التمر ،ابن منظور ،لسان العرب،ج٣،ص٢١

٢- سعفة طويلة رطبة. ابن منظور ،لسان العرب،ج٣،ص١١٦

٣- ابن قيم، زاد المعاد ، ج١، ص٥٦

٤- سورة البقرة، اية ١٤٣

العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزاعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، ومقرا لدولته الوليدة كما كانت دار الأرقم مقرا لجماعته في مكة، وكذلك مأوى لعدد كبير من المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم دار ولا مال ولا أهل [١].

هذه الأهمية للمسجد يترجمها موقعه وطريقة بناءه ، إذ أن المسجد الجامع الذي أسسه الرسول ﷺ كان يحتل مركز يثرب ويشكل نواتها فمنه وإليه تمتد الشوارع والطرق الرئيسية في اتجاه ضواحي وأطراف يثرب، فقد أشارت الروايات التاريخية إلى طريق يمتد من المسجد ويتجه غرباً حتى يصل إلى جبل سلع وطريق من المسجد يخترق منازل بني عدي بن النجار ويصل إلى قباء جنوباً ومن قبا وجد طريق يتجه شمالاً إلى البقيع [٢]، وعن هذه الشوارع تتفرع طرقات ثانوية لتسهيل التواصل بين مختلف أطراف يثرب.

وللإشارة فإن التوسع العمراني والامتداد للمدينة أديا إلى إقامة مساجد على مستوى الأحياء، وهي مساجد للصلوات الخمس فقط، فيما صلاة الجمعة كانت تقام في مسجد الرسول ﷺ باعتباره المسجد الجامع، وقد كان الرسول ﷺ هو من يشرف على إنشاء هذه المساجد كما يتبين ذلك من حديث جابر بن أسامة حيث قال: لقيت رسول الله ﷺ بالسوق في أصحابه فسألتهم أين يريد، فقالوا: اتخذ لقومك مسجدا، فرجعت، فإذا قومي فقالوا خط لنا مسجدا وغرز في القبلة خشبة [٣].

ويلاحظ أن مسجد الرسول ﷺ كان مركزا للحكم للدولة الفتية، فمنه كان النبي ﷺ يوجه المسلمين في المجتمع الجديد، وفيه يتدارس الأمور الطارئة ويتخذ القرارات المناسبة [٤] .

١- الغضبان ، المنهج الحركي ، ص٢١٦

٢- الهيثمي، ،مجمع الزوائد ، ج٦، ص٦٣ .

٣- الطبراني، المعجم الكبير ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

٤- أبو ذكية ،حسن ، التنظيم الإداري في الفكر الإسلامي، ٥ج ، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١ هـ،ج١، ص٧٢ وسيشار لاحقا،ابوذكية،التنظيم الاداري

ولا يخفى أن المسجد كان مكاناً للشورى؛ إذ يجتمع الناس في المسجد فيستشيرهم رسول الله ﷺفي القضايا التي تستجد على الساحة الإسلامية؛ إذ إن استشارة المسلمين في أحد والخندق كانت تتم في المسجد [١] .

وكان المسجد أيضاً مكاناً لفض المنازعات، ففيه يقضي النبي ﷺ بين المسلمين، ومنه تنطلق الجيوش وتستقبل الوفود، ومنه ينطلق الرسل إلى الملوك والرؤساء وجباة الضرائب [٢] ، وكان كذلك دار ندوة للجماعة الإسلامية تبحث فيها جميع شؤونها.

أضفافة إلى ذلك دوره في القيام بالمهمة الروحية فهو مركز عبادة للمسلمين من صلاة وذكر.

لقد كان بناء المسجد خطوة مهمة فمن خلال الصلاة بروحها الجماعية استطاع الإسلام أن يصل إلى درجة كبيرة من إذابة روح العصبية القبلية، وربط الناس بالمبدأ الجديد وفق أحكام جديدة تقوم على العقيدة والأخوة لا على رابطة الدم والقرابة [٣] .

وقام المسجد في بقية أجزاء الدولة بنفس هذا الدور؛ إذ لم يوجد مقر آخر للحكم والإدارة طوال حياة الرسول ﷺ [٤] وبذلك يكون المسجد أول مركز للحكم في الإسلام [٥]

١- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٣

٢- علي، محمد كرد ،الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة، مطبعة مصر، ١٣٥٢ هـ، ١٩٣٤ م، ص ٤٥- ٤٦ ، وسيشار لاحقا ، كرد علي ، الإدارة الإسلامية

٣- الهوني، فرج، النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية منذ قيام دولة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية، د. ن، ١٣٩٦ هـ، ١٩٧٦ م ،ص ٢٤، ٢٥.وسيشار لاحقا،الهوني،النظم الادارية

٤- كرد علي، الإدارة الإسلامية، ص ٤٦

٥- جوهين، محمد ، التنظيمات الإدارية في الإسلام، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٣م ،ص ١٤٧

ب- تخطيط الأحياء السكنية:

قدم النبي ﷺ يثرب فوجد مجتمعاً يختلف عن مجتمع مكة، وجد تنافراً بين عشائر يثرب واختلافاً في دياناتها [١] ، فبدأ بالتخطيط لمجتمع جديد، وكانت أول قضية تواجه الدولة الجديدة هي قضية استيعاب المهاجرين الجدد في مجتمع يثرب، فخط النبي ﷺ الدور للمهاجرين «فخط لبني زهرة في ناحية المسجد، وجعل للزبير بن العوام بقيعاً واسعاً، وجعل لطلحة موضع داره، ولآل أبي بكر موضع دارهم، وخط لعثمان موضع داره كذلك» [٢] وكان النبي ﷺ يقطع أصحابه هذه القطائع مما كان من عفائن الأرض [٣] ، أما ما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له، فكان يقطع من ذلك ما شاء [٤] .

وتذكر المصادر أن هناك قوماً لم يجدوا أماكن ينزلون فيها فأنزلهم النبي مؤخرة المسجد – الصفة– فسمّوا أصحاب الصفة [٥] وكانوا يكثرون ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر، وكانوا ما يقارب المائة، وكان النبي ﷺ يتعهدهم ويشرف عليهم [٦] .

وحول المسجد الجامع أعطى الرسول ﷺ انطلاقة إنشاء مجموعة من الأحياء، وذلك من خلال عملية تقسيم الأراضي الشاغرة التي وهبها له الأنصار ووضعوها تحت تصرفه عليه الصلاة والسلام لتوزيعها على المهاجرين.

١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٥٩، ٦٦٥ .

٢ – ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٣،

٣ –عفائن الأرض: وهو الشيء الذي فسد نتيجة الإهمال. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٨٨ .

٤- السمهودي، وفاء الوفا ، ج ١، ص ٥١٨– ٥١٩

٥- ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٥٥– ٢٥٦

٦- السمهودي، وفاء الوفا ، ج ١، ص ٣٢١

فقد ذكر ابن سلام(ت٢٢٤هـ /٨٣٩م) أن الرسول ﷺ حين هاجر إلى يثرب جعل له أهلها -كل أرض لا يبلغها الماء يصنع بها ما يشاء- [١] وقد قام الرسول ﷺ بتوزيع هذه الأراضي وفق نظام الخطط، حيث أقطع لكل قبيلة خطة خاصة بها تاركاً لها حرية التصرف في تقسيمها بين أفرادها وفقا لظروفها وإمكاناتها وحاجاتها.

وقد أدت عمليات الاختطاط هذه التي تعني في المدن الإسلامية الأولى حيازة موقع ما في منطقة معلومة بإذن من السلطات قصد إعماره [٢]

أدت هذه العمليات إلى ترابط أحياء المدينة بعد تعمير المجالات الفارغة التي كانت تفصل بين مختلف أحيائها، من خلال طريقة توزيع الأراضي التي انتهجها الرسول ﷺ، يتبين على أنه عليه الصلاة والسلام أراد التوفيق بين اعتبارين أساسيين هما: من جهة تذويب الفوارق القبلية، والهويات القائمة على اعتبارات الدم والنسب والعشيرة، لصالح هوية جديدة تعلو فوق كل الهويات، هي هوية العقيدة بالنسبة للمسلمين فيما بينهم، وهوية التابعية بالنسبة لسكان يثرب في عمومهم مسلمين و يهود و كفار... ومن جهة ثانية احترم الرسول ﷺ الحساسيات القبلية والروابط العائلية التي كانت مستحكمة في المجتمع ، وذلك في الحدود التي لا تتناقض فيه مع الهوية الجديدة للأمة، وهكذا تحققت وحدة يثرب بعد أن كانت وحدات متفرقة وأحياناً متناحرة دون كيان ولا هوية.

١- أبوعبيد، القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ /٨٣٩م)، الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، ط ١، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٨ م، ص ٢٨٢ ،سيشار لاحقا ،أبو عبيد، الأموال،

٢- عثمان ،محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة ١٢٧، ١٩٨٨-١٤٠٨ ، ص٥٤

ج- إنشاء المرافق الاقتصادية والاجتماعية: تتمثل أهم هذه المرافق فيما يلي:

١- الأسواق:

ويلاحظ أن النبي ﷺ أولى اهتماماً كبيراً للناحية الاقتصادية لارتباطها بالكيان السياسي، وقد كانت قبائل اليهود تحتكر التجارة والأسواق وبيدهم عصب الاقتصاد في يثرب، ومثل هذا الوضع يجعلهم دولة داخل دولة وكان هناك عدة أسواق [١] أشهرها سوق بني قينقاع، وكان هذا السوق هو السوق الرئيسي للمدينة، وكان العرب الأنصار يتعاملون فيه بيعا وشراء.

لقد تنبه النبي ﷺ إلى خطورة هذه السيطرة اليهودية، فكان لابد من إجراء إداري سريع يحوّل هذه السيطرة للأمة الجديدة، فيروى أن النبي ﷺ ذهب إلى أكبر سوق لليهود فألقى عليه نظرة فاحصة، ثم بحث عن مكان اخر في يثرب يعدل هذا السوق أو يفوقه في المساحة والمركز والنظام [٢].

فقد روى ابن ماجه (ت ٢٧٥ هـ /٨٨٩م) : «أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني رأيت موضعا للسوق أفلا تنظر إليه؟. قال: بلى، فقام معه حتى جاء موضع السوق، فلما رآه أعجبه وركض برجليه، وقال: «نعم سوقكم هذا فلا ينتقض ولا يضربن عليكم خراج -أي اتاوه» [٣] .

ويذكر أن النبي ﷺ «ذهب ابتداء إلى سوق النبك، فنظر إليه فقال: «ليس لكم هذا بسوق» ثم رجع إلى هذه السوق فطاف به ثم قال: «هذا سوقكم»[٤]

١- منها سوق بزباله، وسوق بالجسر، وسوق بالصفاصف بالقصبة، وسوق في منطقة تسمى مزاحم، وهذه أسماء أماكن في المدينة المنورة. انظر: السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٥٣٩ .

٢- أحمد محمد، الجانب السياسي في حياة الرسول ،ط ١ الكويت، دار القلم، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٩ .

٣- ابن ماجه، أبو عبد الله بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ /٨٨٩م) ، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د. ت، ج ٢، ص ٧٥١، وسيشار لاحقا ، ابن ماجه، سنن ابن ماجه.

٤- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٧٥١

ويلاحظ أن النبي ﷺ كان يراقب الأسواق بنفسه وقد طلب بعض الصحابة من الرسول ﷺ أن يسعر للناس، ولكن الرسول امتنع من ذلك، فقد مر النبي ﷺ برجل يبيع طعاماً في السوق بسعر أرفع-أي أقل- من سعر السوق فقال: «تبيع في سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا؟!» قال: نعم يا رسول الله. قال: «صبراً واحتساباً؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «أبشروا فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله، وإن المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله» [١] .

واستطاع المسلمون بحسن تعاملهم أن يحوّلوا الناس من سوق اليهود إلى سوقهم مما جعل كعب بن الأشرف اليهودي (ت٣هـ /٦٢٥م) يدخل إلى سوق المسلمين ويقطع أطنابها [٢] ، فقال رسول الله ﷺ: «لا جرم، لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا» فنقلها من موضع بقيع الزبير إلى سوق المدينة» [٣] .

ولعل هذا الأسلوب التهجمي الصارم الذي اتبعه كعب بن الأشرف كان في أوائل أشهر الهجرة حيث لا يزال لليهود نفوذ قوي، ويلاحظ أيضاً أن كعب بن الأشرف شعر أن مصالح اليهود الاقتصادية قد تضررت نتيجة منافسة السوق الجديد، لقد كان هذا التصرف من كعب- وهو من يهود قينقاع- حافزا للنبي ﷺ بأن يفكر جدياً بطرد اليهود من المدينة، وكان بنو قينقاع أول من طرد [٤]

وبعدها استطاع النبي ﷺ أن يمسك بزمام الاقتصاد ويوجهه الوجهة الإسلامية الخالية من كل استغلال وجشع. وقد ظلت هذه السوق عبارة عن فضاء حر من دون بناء، يخضع في تدبيره لنظام

١- الحاكم، المستدرك ، ج ٢، ص ١٢.

٢- أطنابها: هي ما يشد به البيت من الحبال ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٥٦١

٣- السمهودي، وفاء الوفا ، ج ١، ص ٥٣٩، ٥٤٠ . ويبدو أن هذا التصرف وغيره من التصرفات العدائية جعلت النبي ﷺ يفكر باغتيال كعب بن الأشرف سنة ٣ هـ وبالفعل تم اغتياله انظر:ابن هشام،السيرة النبوية ج٢، ص ١٥١

٤- العلي،صالح أحمد ، إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث، بيروت، ج ٢١ أذار، ١٩٦٨ م ، ص ٣١، ٣٢ .وسيشار لاحقا ، صالح العلي، إدارة الحجاز في العهود الإسلامية

-سنة المساجد- كما كان يقول الخليفة عمربن الخطاب: (الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعده فهو له حتى يقوم إلى بيته أو يفرغ من بيعه) [١] ولم يبدأ البناء في الأسواق إلا على عهد معاوية بن أبي سفيان(ت٦٠هـ /٦٨٠م) الذي سن تأجير أماكن السوق.

٢- الشوارع والطرقات: أولى الرسول ﷺ اهتماماً كبيراً للطرقات باعتبارها مجالا لحركة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية ، فعمد الرسول ﷺ إلى ربط كل أحياء المدينة بالمسجد الجامع من خلال شوارع رئيسية تفرعت عنها طرق فرعية تمتد إلى مختلف التجمعات السكنية لتسهيل حركة المرور داخل المدن، وقد كان عرض الطرق الرئيسية يقدر بين أربعة وخمسة أمتار [٢] بينما عرض الطرق الفرعية كان يقدر بين مترين وثلاث أمتار [٣] .

واعتبر الرسول ﷺ الطريق واجباً وحقاً لكل شخص فمن حيث هي واجب، فلضرورة المساهمة فيها عند المخاصمة باعتبارها نوعاً من الواجبات كما يستخلص ذلك من حديث في الصحيحين رواه أبو هريرة أن الرسول ﷺ قال : "إذا اختلفتم في الطريق فاجعلوه سبعة أذرع" [٤] وأما من حيث هو حق فلأن استعماله مشاع بين الجميع .

وقد جعل الرسول ﷺ للطرق آداباً عامةً، فقد أخرج أبو داود عن الجهنمي عن أبيه قال: "غزوت مع الرسول ﷺ غزوة كذا وكذا، فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق، فبعث نبي الله ﷺ منادياً ينادي في الناس ، من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له" [٥]، كما دعا الرسول ﷺ إلى إماطة الأذى عن الطريق، وبارك كل مساهمة في إصلاحها والاعتناء بها، جاء في سنن أبي داود

١- السمهودي، وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص٧١٨

٢- السمهودي، وفاء الوفا ،ج١ ،ص٥٩

٣- لمعى،مصطفى صالح، المدينةالمنورة:تطورهاالعمراني وتراثها المعماري،دارالنهضةالعربية١٩٨١، ص٣٢-٣٣

٤- ابن حجر ، فتح الباري،ج٣ ،ص٢٨٨

٥- أبو داود، سنن أبي داود، ج٣، ص٢٤

عن ابن عمر أنه قال:"مطرنا ذات ليلة ، فأصبحت الأرض مبتلة فجعل الرجل يأتي بالحصى في ثوبه فيبسط تحته فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: ما أحسن هذا " كما أخرج مسلم من حديث أبي برزة قال: " قلت يا نبي الله علمني شيئاً أنفع به، فقال ، اعزل الأذى عن طريق المسلمين". [١]

٣- المرافق العامة: استكمالا للعناصر الأساسية بالمدينة، أنشئ الرسول ﷺ مجموعة من المرافق ذات وظائف حيوية، منها ما يستجيب للحاجات الأمنية والدفاعية مثل إقامة معسكرات بضواحي المدينة لتدريب الجند كمعسكر الجرف أو معسكر أسامة، ومنها ما يتسجيب للحاجات الاجتماعية كأماكن العلاج والتطبيب، حيث أقام الرسول ﷺ بعد رجوعه من غزوة الخندق خيمة بالمسجد لأجل التداوي، وقد كانت هذه المبادرة نواة ما سيعرف بالبيمارستانات (المشافي)، كما أقيمت دور الضيافة لاستقبال الوفود كان أهمها دار عبدالرحمن بن عوف.

واتخذت مواضع لقضاء الحاجات تسمى المناصع، واختيرت مواضع للذبح بعيداً عن السكان، وعين مكاناً لصلاة العيد –المصلى– [٢].

هذه هي أهم منجزات البنية التحتية التي تحققت في يثرب بعد مقدم الرسول الأكرم ﷺ إليها، بيد أن الدولة، أي دولة ، لاتستكمل شروطها وعناصرها من خلال جوانبها المادية فقط، التي رغم أهميتها، تبقى مجرد هياكل جامدة ما لم تلتحم بها الجوانب الفكرية والاجتماعية وهذه الجوانب هي التي اهتم بها رسول الله ﷺ في تنظيمه للحياة العامة في المدينة وذلك من خلال العناصر التنظيمية .

١- مسلم بن حجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ /٨٧٥م)،صحيح مسلم، ٥ ج، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥ هـ، ١٩٥٥ م،ج ٢، ص ٧٢، وسيشار لاحقا،مسلم، صحيح مسلم

٢- محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٦٠

ثانياً: الممارسات التنظيمية لدولة الرسولﷺ

بالموازاة مع الإنشاء المادي لعناصر الدولة، اشتغل الرسول ﷺ بالجانب التنظيمي باعتباره اللحمة التي تربط بين تلك العناصر، بل الأساس الذي عليه ترتكز وبه تشتغل، ويتمثل هذا الجانب التنظيمي في الإجراءات التي اتخذها ﷺ عند قدومه إلى يثرب في إطار النهوض بها لتصبح النواة الصلبة للدولة الإسلامية وقاعدة انطلاقها.

ومن بين أهم هذه الإجراءات:

أ- تغيير اسم يثرب

لعل من اللافت للانتباه أن من بين ما قام به الرسول ﷺ هو تغيير اسمها من يثرب إلى المدينة المنورة، فقد جاء في كتب السيرة أن النبي ﷺ أمر بإهمال اسم يثرب وحث على استعمال اسم المدينة المنورة بدلاً منه، كما نسبوا إليه في هذا الصدد قوله: "يقولون يثرب وهي المدينة" وكان عليه الصلاة والسلام لا يذكر كلمة يثرب أبداً، ويذكر أيضاً أن محمد بن الحسن بن زبالة المعروف بالمديني نسبة إلى المدينة المنورة، روى أن النبي ﷺ قد نهى عن استعمال اسم يثرب، وتذهب بعض المصادر إلى أن مجرد استعمال كلمة يثرب يعد خطيئة حيث روى الإمام أحمد حديثا جاء فيه: "من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا"[١].

لا يتعلق الأمر هنا بمجرد إجراء شكلي أو مزاجي حاشاه ﷺ بل إنها خطوة أساسية في الإستراتيجية التغيرية للرسول ﷺ تترجم عمق التحول الذي ينشده، فاسم أي مدينة هو عنوانها الذي يختزل خصائصها التاريخية والثقافية والاجتماعية والنفسية وبالتالي فإن تغيير هذا العنوان هو محاولة لتغيير هويتها كما تتمثلها الذاكرة الجماعية لساكنيها.

١- السيوطي، الدر المنثور،ج ٥ ، ص ١٨٨.

من هنا فإن إعطاء اسم جديد للمدينة هو إيذان بميلاد مرحلة جديدة بخصوصيات جديدة، ومنذ البداية عمل الرسول ﷺ على أن يتكرس هذا التوجه الجديد في الأذهان على اعتبار أن أي دولة لكي يكون لها كيان ووجود حقيقي لابد من أن يشعر مواطنوها بقوة الانتماء إليها، وبالاندماج الكامل فيها، بغير هذا الشعور بالانتماء وبغير هذا الاندماج، لن يتأتى للمواطن أن يكون فاعلاً ومعطاء داخل مكانه ·

ب- المؤاخاة:

تكريسا لهذا الاتجاه الذي يصب نحو مزيد من الالتحام والتآلف بين الإنسان والمكان، وبين الإنسان والإنسان، كانت عملية المؤاخاة بين المسلمين عامةً، والمهاجرين والأنصار خاصة، لذلك اهتم به النبي ﷺ وكان إجراءً ضرورياً في هذه المرحلة .

فأشارت المصادر إلى ذلك، فقال ابن إسحاق(ت١٥١هـ /٧٦٨م): «وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: «تآخوا في الله أخوين أخوين» ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب(ت ٣٩ هـ/٦٦٠م)فقال: «هذا أخي» ، وهكذا تآخى الصحابة اثنين اثنين» [١]

لقد كانت هذه المؤاخاة ضرورية لإذهاب الوحشة والغربة و ليشد بعضهم بعضاً ولا سيما أن المهاجرين تركوا كل المقومات الأساسية للحياة في مكة [٢] .

وهكذا كانت المؤاخاة خطوة مهمة في توحيد المجتمع الجديد تضاف إلى ما سبقها من خطوات، وكان النبي ﷺ قد فكر جدياً بنظام يحل محل نظام «الأحلاف» الذي كان سائداً في الجاهلية فوضع نظام المؤاخاة بديلاً عن ذلك. لقد قدم الأنصار للمهاجرين أكثر مما توقعوه إذ «قالت

١- ابن هشام، السيرة النبوية ،ج ١، ص ٥٠٤- ٥٠٧

٢- ابن حبيب، المحبر ، ص ٧٠- ٧٥

الأنصار للرسول ﷺ: يا رسول الله؛ اقسم بيننا وبينهم النخل. قال: «لا» . قال: «تكفونا المؤنة وتشركونا في التمر» . قالوا: سمعنا وأطعنا» [١] .

لقد دلّت الروايات على أن المهاجرين عملوا في مزارع الأنصار عن طريق المزارعة [٢] ، ولم يقتصر كرم الأنصار على ذلك؛ بل وصل إلى حد أن قال سعد بن الربيع (ت٣هـ /٦٢٥م) لعبد الرحمن بن عوف (ت٣٢هـ /٦٥٣م) أخيه في النظام الجديد: "إني أكثر الأنصار مالا فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها،فإذا انقضت عدتها فتزوجها.قال:بارك الله لك في أهلك، أين سوقكم؟فدلوه على سوق بني قينقاع" [٣]

وكان هذا التكافل الرائع هو القوة الوحيدة التي يمتلكها المجتمع المسلم في البداية، ومن ثم فإن هذا الإجراء كان ضرورياً لتفادي وقوع المهاجرين في مشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة؛ ولا سيما أنهم يتقنون التجارة في حين كانت المدينة دار صناعة وزراعة [٤] .

كان المتآخون يتوارث بعضهم بعضاً، فلما عزّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ[٥]) [٦]،فنسخت هذه الاية ذلك التوارث الذي أقر بموجب نظام المؤاخاة، وبقي من معاني المؤاخاة النصر والنصيحة، وإلى هذا يشير الإمام النووي بقوله: "أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء، وأما المؤاخاة في الإسلام

١-النووي، أبو زكريا يحيي بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ /١٢٧٨م) ، شرح صحيح مسلم، ١٨ ج ، ط ٣ ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م، ج ١٢، ص ٩٩ ،وسيشار لاحقا،النووي، شرح صحيح مسلم

٢- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ /٨٧٠م)، صحيح البخاري، ٩ ج ، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٨ م، ج ٥، ص٣٩، ٨٨، وسيشار لاحقا، البخاري ، صحيح البخاري

٣ -السمهودي، وفاء الوفا ، ج ١، ص ٥٣٩

٤- البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٣٩، ٨٨ .

٥- سورة الأحزاب، اية ٦

٦- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل ، ج ٢، ص ١٧٠

والمحالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق فباق لا ينسخ" [١] .

ولا شك في أن التوارث كان لمعالجة ظروف طارئة مرت بها الدولة الإسلامية في المدينة، فكان هذا إجراءً إدارياً سريعاً للتغلب على هذه المشكلة، ومن المنتظر أن يكون المهاجرون قد ألفوا جو المدينة وتعرفوا إلى سبل الرزق فيها [٢] ،وأصابوا من غنائم بدر ما سد حاجتهم، فرجع التوارث إلى وضعه الطبيعي المنسجم مع الفطرة البشرية والقائم على أساس الرحم والقرابة.

فضلاً على أن هذا الحدث سجل لأروع النماذج على مدار التاريخ الإنساني في التضحية من أجل المبادئ والمعتقدات من طرف المهاجرين، وفي الإيثار ونكران الذات من جانب الأنصار، ويشهد على حسن رعاية القائد الرسول ﷺ في مواجهة الحالات الصعبة والمواقف الحرجة.

فقد كان من شأن الهجرة من مكة إلى يثرب أن تنجم عنها اختلالات كبيرة على المستويات الاجتماعية والاقتصادية بسبب التدفق المفاجئ للمهاجرين على المدينة، على نحو يؤدى إلى ارتفاع محسوس لساكنيها في وقت وجيز لا يسمح بالاندماج التام للعناصر الجديدة في نسيجها العمراني والاجتماعي.

أمام هذا الوضع كيف تصرف الرسول ﷺ ليتفادى أزمة حقيقية كانت توشك أن تقع في يثرب على مستوى السكن، وعلى مستوى العمل، وعلى مستوى الاندماج للوافدين الجدد في محيطهم الجديد..

١- مسلم ،صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٦

٢- العمري، المجتمع المدني ،ص ٧٧

كان لجوء الرسول ﷺ بتأييد وتوفيق من ربه إلى عملية المؤاخاة هو الحل المناسب لتلك اللحظة التاريخية الدقيقة في حياة المسلمين.

وقد استهدفت تلك العملية:

١- تقسيم العبء الاجتماعي وتفتيته ليتخذ شكل حالات فردية عوضاً أن يكون ظاهرةً مجتمعيةً عامةً، وهذا ما مكن من تجاوزه والتغلب عليه في ظرف وجيز بدل أن يصبح ظاهرةً تستفحل مع الزمن.

فالأنصار تحملوا إخوانهم بكل طواعية، بل تنافسوا على استضافتهم حتى اقترعوا فيما بينهم من أجل ذلك والمهاجرون من جهتهم لم يستغلوا هذا الكرم ولم يعيشوا عالة على إخوانهم، بل إنهم قبلوا هذه الوضعية فقط كمرحلة استثنائية وانتقالية.

إذ سرعان ما استطاعوا الاستقلال بأنفسهم بعد أن وظفوا مهاراتهم في المجال التجاري وأصبحوا عناصر فاعلة في أسواق المدينة.

وبذلك شكلوا رافداً اقتصادياً ليثرب على اعتبار أن الأنصار كانوا أهل زرع وضرع والمهاجرين أهل شراء وبيع، وبذلك كمل بعضهم بعضاً، حيث ملأ المهاجرون فراغاً كان يستغله اليهود في أسواق المدينة كتجار ومرابين.

٢- فضلاً عن هذا الهدف الاجتماعي ذو البعد المادي كان لعملية المؤآخاة هدف معنوي تربوي يتمثل في تجسيد معاني التكافل والتضامن بين المسلمين وفي بداية تنزيل الايات الجديدة التي جاء بها الإسلام عن العلاقات الإنسانية وعن المال.

ج- الصحيفة:

كان هاجس بناء ورصّ الجبهة الداخلية لدولة المدينة حاضراً بقوة في الإستراتيجية التي قادها الرسول ﷺ منذ وصوله إلى المدينة، لذلك عمل على إقرار دستور متكامل في حينه، ينظم العلاقات ويحدد حقوق وواجبات كل الأطراف التي كانت تكون مجتمع الدولة الجديدة، فبالإضافة إلى المسلمين الذين يتشكلون من الأنصار -الأوس والخزرج- والمهاجرين، كان هناك مشركون الأوس والخزرج واليهود، والأعراب الذين كانوا يعيشون على تخوم المدينة، وإذا كان الرسول ﷺ قد اطمأن إلى الجبهة الإسلامية من خلال عملية المؤاخاة، فإنه لأجل احتواء أو ضبط العناصر الأخرى خاصة اليهود، ويأمن جانبهم، عمل على موادعتهم لتكون المدينة كلها، مسلمها وكافرها يدا في يد أمام الأعداء من الخارج [١] .

وكانت من أبرز الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة القيام بكتابة دستور المدينة الذي ينظم العلاقات بين سكانها، ويعد ذلك الخطوة الأساسية في إقامة الدولة الاسلامية.

أورد ابن إسحاق[٢]، وهو أول من وصلنا كتابه مدوناً عن سيرة الرسول ﷺ نصاً طويلاً لا يوازيه في طوله إلا معاهدة الرسول لأهل نجران، أطلق على النص اسم " صحيفة " و "كتاب" في تنظيم أحوال أهل المدينة وعلاقتهم مع الرسول ﷺ ومع بعضهم، وهذا الكتاب نقله كله أو بعضه عدد من المؤرخين الأولين دون التشكيك في صحته أو تحليل محتواه، ومن هؤلاء أبو داوود في السنن وأبو عبيد القاسم ابن سلام في"الأموال "[٣]

١- شاكر ،محمود، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤١١هـ / ج١،ص١٦١،وسيشار لاحقا،شاكر،التاريخ الاسلامي

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٥٠-١٥١

٣- ابو عبيد، الأموال، ج٦، ص٢٠٣

وابن سعد في " الطبقات " [١] وابن القيم في زاد المعاد [٢] وابن كثير في السيرة النبوية[٣] وابن سيد الناس في عيون الاثر[٤]

اعتبر معظم الباحثين بمن فيهم المحدثون المعاصرون أن الصحيفة قد وصلتنا وحدة متكاملة ولا يستبعد أنها كانت في الأصل مكونة من أقسام وضع كل منها في زمن، وأن جمعها في كتاب واحد، هو من عمل الرواة، وليس من الأصل، فالأقسام المتعلقة بالمسلمين من الأنصار والمهاجرين ومن يتبع للدولة الناشئة لهم أحكامهم الخاصة.

فالذين عاهدهم رسول الله ﷺ فور قدومه المدينة هم اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، وبين قريظة، وكانوا بمثابة دويلات صغيرة حول المدينة عقد معهم الرسول ﷺ معاهدة أشبه بما يسمى اليوم، معاهدة حسن جوار بينهم وبين الدولة الإسلامية.

وكان لكل طائفة منهم كيانها المستقل، ونظامها الخاص، ولم تكن تخضع للنظام الإسلامي، ولم يكن سكانها من ضمن رعية الدولة الإسلامية، فليسوا كأهل الذمة الذين يخضعون للنظام الإسلامي، ويعتبرون مواطنين من ضمن رعية الدولة الإسلامية. وإن لم يدخلوا في الإسلام.

ونرى أن تكييف العلاقة بين أولئك اليهود وبين الدولة الإسلامية، كانت أقرب ما تكون إلى العلاقة التي تكون بين الدول المرتبطة فيما بينها بمعاهدة من المعاهدات. وما يؤيد ذلك ما جاء في كتاب الأم ما نصه: "قال الشافعي: "لم أعلم مخالفاً من أهل العلم بالسير أن النبي ﷺ لما نزل المدينة وادع "يهود" كافة على غير جزية

١- ابن سعد ، الطبقات ، ج٢، ص١٧٢

٢- ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣، ص١٠٨

٣- ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢، ص٣٢١

٤- ابن سيد الناس ، عيون الاثر، ج١، ص٢٦٠

وأن قول الله عز وجل: (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ)[١]. إنما نزلت فيهم، ولم يقروا على أن يجري عليهم الحكم – "أي: لم يقروا على أن يكونوا أهل ذمة، يخضعون للحكم الإسلامي" ... قال: وليس للإمام الخيار في أحد من المعاهدين الذين يجري عليهم الحكم أي أهل الذمة إذا جاؤوه في حد لله تعالى، وعليه أن يقيمه، لما وصفت من قول الله تعالى:(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [٢]..."[٣].

وجاء عند ابن القيم بخصوص هذه المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ بين دولة المدينة وبين قبائل اليهود المجاورة لها قال: "فصالح يهود المدينة وكتب بينهم وبينه كتاب أمن"[٤].

وإذا صح هذا الافتراض فإن الأقسام الأولى المتعلقة بتنظيم العرب المسلمين صدرت أولاً زمن معركة بدر، أما الأقسام المتعلقة بتنظيم أمور اليهود، فتكون قد صدرت متوافقة مع معركة الخندق أو بعدها بقليل، علماً بأن معركتي أحد والخندق هددتا المدينة وتطلبتا تنظيماً عاماً لأهلها بمن فيهم اليهود.

وأيضاً أن البيهقي حين ذكر في سننه مواد الصحيفة ذكرفقط المواد المتعلقة بالمسلمين ولم يذكر المواد الخاصة باليهود، وأسندها البيهقي إلى ابن إسحاق كذلك [٥] ،وهذا يؤكد القول "إن تسمية ابن سيد الناس للصحيفة باسم «الموادعة بين المسلمين واليهود» [٦]غير دقيقة؛ لأن هذه

١- سورة المائدة الآية ٤٢.

٢ - سورة التوبة الآية ٢٩وينظررأي الشافعي في هذه المسألة ، الشافعي ، الأم ،ج٤ ، ص٢٧٩.

٣- الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ /٨٢٠م) ، الأم، ٨ ج ، تحقيق: محمد زهدي النجار، ط ١ ، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية،١٣٨١هـ، ١٩٦١ م، ج٨،ص٢٨٠،وسيشار لاحقا،الشافعي ،الام

٤- ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣، ص١٢٦.

٥- البيهقي، السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٠٦

٦- ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢٦٠

التسمية لا تعطي صورة حقيقية عن محتويات الصحيفة والتي تشمل كثيراً من المواد الخاصة بالمسلمين، أما كلمة «صحيفة» فتعني أنها إعلان من جانب الرسول ﷺ يبيّن فيها الأمور الواجب تنفيذها" [١].

ولعل من المفيد أن نشير لقضية مهمة بالنسبة إلى هذه الصحيفة، فكتب الحديث هذه المعتبرة لم ترو نص الكتاب كاملا، وأقدم مصدر ورد فيه النص كاملا هو ابن إسحاق دون إسناد [٢] .

ولم يذكر ابن إسحاق المصدر الذي أخذ منه،لذلك أنكر بعض الباحثين صحة هذه الصحيفة [٣] معتمدين على أن كتب الحديث الصحيحة لم ترو نص هذا الكتاب.

مع أن كتب الحديث الصحيحة أوردت مقتطفات تشمل عدداً من مواد هذه الصحيفة؛ ولا سيما تلك التي تتعلق بتنظيم العلاقة بين المهاجرين والأنصار، فقد أورد جزء من هذه الصحيفة الإمام أحمد في مسنده [٤] وأبو داود في سننه [٥] والبيهقي في سننه كذلك [٦]

ولعل النظرة الفاحصة للأسلوب والمحتوى يجعلنا نطمئن إلى صحتها ، والصحيفة في مجملها توافق روح القران دون الإشارة إليه صراحة؛ إذ أن القران لم يذكر كثيراً من الحوادث المهمة التي حدثت في المجتمع [٧]

١- صالح العلي ، تنظيمات الرسول الإدارية، ج ١٧، ص ٥١

٢- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

٣- أنكرها يوسف العش في تعليقه على كتاب، فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، وهو كتاب نقله عن الألمانية، ترجمة يوسف العش، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٥٦ ، ص ٢٠

٤- ابن حنبل، المسند، ج ١، ص ١٧١ ، ج ٢، ص ٢٠٤ ، ج ٣، ص ٢٤٢

٥- ابن القيم الجوزية(ت٧٥١هـ /١٣٥٠م)،عون المعبود في شرح سنن أبي داود، نشره حسن إيراني، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت، ج ٨، ص ٢٢٩، ٢٣٠ .وسيشار لاحقا، ابن القيم، عون المعبود

٦- البيهقي، السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٠٦ .

٧- من ذلك: اعتبار المسلمين أمة واحدة وهذا يوافق قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [ال عمران: ١١٠] . وجوب الخضوع للدولة ووافق هذا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [النساء: ٥٩].

وقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ مضبوط لكتابة هذه الصحيفة، فبعضهم يرى أنها كتبت قبل بدر [١] وأما البعض الأخر فيرى أنها كتبت بعد بدر [٢]

في حين ذكر آخرون أن إحدى الوثيقتين كتبت قبل بدر والأخرى بعد معركة بدر [٣] وليس لدينا نص قاطع يثبت ويقطع بصحة رواية دون الأخرى.

فلقد روى ابن الأثير أن الصحيفة أصدرها الرسول ﷺ في اجتماع في بيت أنس بن مالك[٤] ولم يذكر الحاضرين في هذا الاجتماع الذي لا بد أن حضره عدد ممن شاركوا في بحثها وصياغتها، ولم يعترضوا على محتواها.

ولم تحدد المصادر تاريخ الاجتماع، ونقل نص الوثيقة عدد من المعنيين الثقات القدماء ونشرها محمد حميد الله، ووضع للفقرات أرقاماً اعتمدها الباحث في هذه الدراسة[٥].

تبدأ الوثيقة بهذا النص "هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم" [٦] وهو بيان واضح يعلن فيه الرسول ﷺ زعامته السياسية ليثرب وأنه هو الآمر الناهي، فهو تجسيد لبنود بيعة الحرب وإعلان استلام زمام الحكم في يثرب ثم قررت الصحيفة أن هؤلاء أمة دون الناس، والأمة مجموعة أحلاف؛ إذ إن الأفخاذ والقبائل تركت كما كانت وأصبحت أعضاء في الأمة وعد المهاجرين فخذاً واحداً [٧]

١- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ /٨٩٣م)، أنساب الأشراف،تحقيق: محمد حميد الله الحيدر أبادي، القاهرة، دار المعارف، د. ت،ج ١، ص ٣٨٠،وسيشار لاحقا، البلاذري، أنساب الأشراف

٢- ابن القيم، عون المعبود، ج ٨، ص ٢٢٨، ٢٣٠

٣- حميد الله ،محمد الحيدر أبادي ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٣ م ، فقرة رقم ١، ص ٥٩، وسيشار لاحقا، حميد الله، مجموعة الوثائق

٤- ابن الأثير، أسد الغابة ، ص١٢٧

٥- أنظر الملحق رقم ٢

٦- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

٧- الدوري، عبد العزيز ، النظم الإسلامية، ط ١ ، بغداد، وزارة المعارف، ١٩٥٠م، ص ١٨، وسيشار لاحقا، الدوري، النظم الإسلامية.

ولـذا نصـت الصـحيفة "إنهـم أمـة واحـدة مـن دون النـاس، المهـاجرون مـن قـريش علـى ربعـتهم فيتعاقلون بينهم" [١] .

إن مـا تضـمنته الصـحيفة أو الوثيقـة مـن مبـادئ وأحكـام تشـريعية، مرجعـه للأسـاس القرآنـي الكريم، وقد كان في طليعة هذه المبادئ تحديد مفهوم الأمة؛ فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعاً: مهاجرين وأنصاراً، ومن تبعهم ممن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس، وهذا شيء جديد كل الجدة في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب[٢]، ولم يعرف من قبل في المجتمع الجاهلي عند العرب، فالمعروف أن العرب في الجاهلية لم يكونوا أبداً أمة متحدة متماسكة البنيان لها دولة ذات سيادة، بل كانوا قبائل متفرقة، تتناحر فيما بينها، ويتمثل هذا التناحر في حروب طاحنة، يغزو بعضهم بعضاً، ويغنم بعضهم أموال بعض، ويأسر بعضهم أبناء بعض، ويسبي بعضهم نساء بعض، وتسفك دماؤهم، ومما يؤسف له أن هذه الحروب كانت تقوم بين القبائل لأتفه الأسباب[٣].

وبتحديد الرسول ﷺ في هذه الوثيقة لمفهوم الأمة الواحدة، ينقل قومه من شعار القبلية والتبعية لها إلى شعار الأمة، التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، فلقد قالت الصحيفة عنهم: إنهم "أمة واحدة"، وجاء ذلك في القرآن الكريم:(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [٤] .

١- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

٢- الصلابي،علي محمد محمد ، السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م، ج١، ص٥٤٣.وسيشار لاحقا، الصلابي، السيرة النبوية

٣- أبو فارس،محمد عبد القادر، السيرة النبوية: دراسة تحليلية، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، ص٧٥.وسيشار لاحقا،ابوفارس، السيرة النبوية

٤- سورة الانبياء، اية ٩٢

وبهذا الاسم أو المفهوم "الأمة" الذي أطلق على جماعة المسلمين والمؤمنين ومن تبعهم من أهل يثرب، اندمج المسلمون على اختلاف قبائلهم تربط بينهم رابطة الإسلام، يتكافلون فيما بينهم، وينصرون المظلوم على الظالم، ويرعون حقوق القرابة والمحبة والجوار، فأصبحوا أمة واحدة تربط أفرادها رابطة العقيدة وليس الدم، فيتحد شعورهم وتتحد أفكارهم، وتتحد قبلتهم وولاؤهم لله وليس للقبيلة، واحتكامهم للشرع وليس للعرف، وهم يتمايزون بذلك كله على بقية الناس، كما قال ﷺ في الوثيقة "من دون الناس".وكان على هذه البطون أن تسكن في مكان واحد كنوع من التنظيم للمجتمع وأن يتعاون هؤلاء في حمل هذه التكاليف كالدين وغيره، فقالت الصحيفة: "لا يتركون مغرما بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل" [١]

وهذا يوضح جلياً أن النبي ﷺ لم يكن يريد تحطيم القبيلة، إنما كان يريد أن يتخطى العصبية محاولا تشذيبها وتوجيهها بحيث يستفاد منها وفق مفاهيم الدين الجديد الداعية إلى التكافل .

أما كلمة «طائفة» الواردة في هذه المادة أن كل طائفة ... [٢] . فيقصد بها فروع -بطون- القبائل دون الأفراد، ولعل في هذا نوعاً من التخصيص أكثر دقة بأن تتحمل هذه الطوائف أخطاء أفرادها الصغار دون أن يحمل ذلك للقبيلة الكبيرة [٣] .

ونصت الصحيفة أيضاً "أنه لا يخلف مؤمن مولى مؤمن دونه" [٤] وفي هذا إقرار لقضية الموالاة التي كانت سائدةً في الجاهلية والإسلام، وبهذا حاول أن يمنع إحداث مشاكل اجتماعية وسياسية وإداريةً لمجتمع حديث عهد بالجاهلية، وأن ينظم هذه القضية بين الموالي ومن يوالونهم؛ حفاظاً على وحدة المجتمع الإسلامي. وإذا أخل أحد بالأمن أو اعتدى أو أفسد فقد جعلت الصحيفة

١- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠
٢- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠
٣- إبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية ،ص ١٠٦
٤- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

الأمة كلها مسؤولة عن حماية هذا الأمن وردع المفسد [١] وتمكين السلطة من القصاص العادل من المجرم، وليس لأحد من عشيرته أن يعترض على ذلك، وكان ذلك يعني أن تتوحد السلطة وألّا يكون هناك عوائق قبلية وعشائرية أمام سيادة القانون «وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة–أي كبيرة– ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه ولو كان ولد أحدهم» [٢]

ويفهم من ذلك أن السعي إلى تطبيق هذه الحدود واجب ديني، وهذا واضح من النص "المؤمنين المتقين"، وكلمة "المتقين" تعني أن هذه التنظيمات والالتزام بها هو من التقوى التي يجب على المؤمنين الالتزام بها [٣] . ويفترض أن تكون هذه الإجراءات قد خطت خطوات واسعة لإيقاف الخصومات بين عشائر المدينة، وبذلك تحول الثأر الذي كانت تقوم به العشيرة إلى عقوبة تقوم بها الأمة ممثلة في سلطتها الحاكمة [٤]، التي أصبحت هي المنوطة بتعقب المجرمين والقيام على أمن الأفراد في المجتمع الجديد .

ثم وضحت الصحيفة حدود العقوبات الجنائية، فكانت المادة التي تدل على أن دم الكافر لا يكافئ دم المسلم «ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر» [٥] .

١- الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٩

٢- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

٣- العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة ،ص ١٣٢

٤- الدوري، النظم الإسلامية، ص ٢٠

٥- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

وما ورد من أنهم «أمة دون الناس» [١] والذي جاء دامغا لأهل الصحيفة لم يشمل هؤلاء في أمور الدماء، ولعل ذلك كان الإطار السياسي الذي جمع بين هؤلاء في الإنفاق والدفاع عن أرض يعيش فيها هؤلاء جميعاً [٢] ، ويفترض أن تكون هذه المادة قد أعطت المجتمع نوعاً من الاستقرار ونسيان الدماء التي أريقت في الجاهلية، فألغى الإسلام تلك الدماء وأكد على مفهوم العقيدة الجديدة دون رابطة الدم والقرابة «ولا ينصر كافرا على مؤمن» [٣] ، وأعطت الصحيفة قيمة كبيرة لأفراد المجتمع المسلم حتى إن أحدهم كان باستطاعته أن يجير الآخرين إلا من حددت الصحيفة عدم إجارتهم «وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم» [٤]

وبذلك أقرت هذه المادة مبدأ الجوار الذي كان معروفاً قبل الإسلام وجعله حقاً لكل مسلم ولكنه حصر الموالاة بين المؤمنين. والولاء يعني المحبة والتعاون والنصرة، فلذلك لا يجوز أن يوالي المؤمن كافرا لقوله:(لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) [٥] وجاءت الآيات القرآنية تؤيد هذه الموالاة وتجعلها جزءاً من الإيمان إذ قال تعالى: (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ) وقوله:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ) [٦] وقوله:(وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٧] .

انتقلت الصحيفة لاعتبار الحرب والسلم جزءاً من سيادة الدولة، فلا يجوز لأي فرد أو قبيلة أن تسالم أو تحارب دون الرجوع إلى الدولة، فنصت الصحيفة «وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم

١- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

٢- السيد،رضوان ، الأمة والجماعة والسلطة، دار اقرأ، ط ١ ،١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م ، ص ٥٤،وسيشار لاحقا،السيد ،الامة والجماعة

٣- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥١

٤- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥١

٥- سورة آل عمران،ايه ٢٨

٦- سورة الممتحنة، اية رقم١

٧- سورة المائدة،اية ٥١

مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم» [١] وهذا طبيعي في جو أحاط المسلمين فيه من الأخطار الشيء الكثير، والرسول ﷺ بصفته رئيساً للدولة هو الذي يعلن الحرب أو السلم وعلى سائر أهل الصحيفة أن يتبعوا النبي ﷺ في حربه وسلمه.

وأشارت الصحيفة في بعض موادها إلى نوع من التنظيم العسكري، فهناك تناوب بين المسلمين في الخروج للغزو في سبيل الله «وإن كل غازية غزت منا يعقب بعضها بعضاً» [٢] وكان هناك نص خاص يجعل أهل المدينة صفاً واحداً أمام أي خطر خارجي أو داخلي سواء أصاب فرداً أم مجموعة أفراد «وأن المؤمنين يبئ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه» [٣]

وذكرت الصحيفة مواد خاصة تنظم طريقة التعامل مع قريش وهي العدو الرئيسي للدولة الجديدة؛ ولذا منعت الصحيفة أهلها ولا سيما المشركين واليهود أن يجيروا أحدا من أهل مكة، وبذلك استطاع النبي ﷺ أن يضبط أمور غير المسلمين في المدينة «لا يجير مشرك مالا لقريش ونفسا، ولا يحول دونه على مؤمن» [٤] وينتظر أن يكون المشركون قد أثاروا موضوع إجارة المؤمنين كما في مادة سابقة ولكن الوضع هنا يختلف تماماً، فمكة في حالة حرب وعداء مع المسلمين، والسماح لهؤلاء بإجارتهم يعني إحداث شرخ كبير في أمن المدينة ودفاعاتها.

وحددت الصحيفة بعض ملامح النظام القضائي الجديد في المدينة، وجاءت المواد الخاصة بالقضاء كإطار قضائي للمواد الأخرى، ومن خلالها حددت العقوبات على الجنايات المختلفة فنصت الصحيفة «وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلّا أن يرضى ولي المقتول، وأن

١- العمري، المجتمع المدني ،ص ١٣٢- ١٣٣

٢- ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢، ص ١٥٠

٣- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠

٤- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠

المؤمنين عليه كافة لا يحل لهم إلا قيام عليه» [١] فالقاتل يقتل إلّا أن يعفو وليه، وعلى الأمة جميعاً أن تمكن السلطة والقضاء من أخذ الحق من القاتل، وهذا التأكيد كان ضروريّاً في مجتمع قبلي يقف مع ابن القبيلة ظالما كان أو مظلوماً، ويلاحظ أن الربط الدائم بين الإيمان وبين تطبيق هذه المواد فقال: «وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مشركا أو يؤويه، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل» [٢] .

ويفهم من مواد الصحيفة أن السيادة أصبحت حصراً بالدين الجديد الذي يجسده حاكم المدينة الرسول ﷺ، فهو المرجع الأعلى في كل خلاف سواء كان بين المؤمنين أنفسهم أو بينهم وبين جيرانهم، فهو ﷺ يشرف على جميع الميادين التطبيقية لجميع ما قررته الصحيفة [٣]

«وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ» [٤] .

وحددت الصحيفة حرية أهل المدينة في الخروج منها، فلابد أن يكون ذلك بعد أخذ الإذن من النبي ﷺ، وبذلك ضيق على اليهود والمشركين والمنافقين ولا سيما الاتصال بأعدائه المكيين، وأنه لا يجوز لأحد أن يعلن الحرب أو السلم إلا بإذن قيادة المدينة «لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد ﷺ» [٥] وكانت المادة الاخرى قد ضيقت على هؤلاء «وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها» [٦] وبذلك أمّن النبي ﷺ كل السبل لحماية المدينة وسكانها.

١- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠

٢- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠

٣- العدوي، إبراهيم أحمد.، النظم الإسلامية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م، ص ١٢٦،وسيشارلاحقا، العدوي، النظم الإسلامية

٤- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠

٥- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠

٦- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠

واعتبرت المدينة حرماً فنصت الصحيفة «وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا اثم، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها» [١] والحرم لا يحل انتهاكه وبذلك أصبحت المدينة بحدودها وهي يومئذ تمثل دولة الإسلام محرمة كما هي مكة.

ثم جعلت الصحيفة النبي ﷺ الرئيس الأعلى للدولة فهو يفصل في الخصومات الداخلية «وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عزّ وجل وإلى محمد ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة» [٢] .

ويلاحظ أن الصحيفة ختمت بتأكيدات أخرى وجب الالتزام بها «وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره» ، ثم أمّن أهل الصحيفة جميعاً «وأنه من خرج امن ومن قعد امن إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتّقى، ومحمد رسول الله ﷺ» [٣] .

ويتضح مما سبق أن إدارة الرسول ﷺ في المدينة كانت تهدف إلى تكوين أمة مترابطة، للأفراد فيها حرية العمل وإبداء الرأي، وللسلطة المركزية حق إدارة الأمن والقضاء والحرب والسلم على أن تكون التقوى والأخلاق الفاضلة أساس أعمالهم وتصرفاتهم.

ولقد مارس الرسول ﷺ جميع صلاحياته كحاكم ليثرب، فقام بتنظيم جميع نواحي الحياة المختلفة من زراعة وتجارة وحرف وبيت المال وجميع العلاقات بين الناس وغيرهم، ولم يورد الباحث تفصيل هذه الاجراءات كونها قد أشبعت بحثا [٤]

ولهذا سننتقل للتركيز على علاقات الدولة الاسلامية مع محيطها وخاصة القبائل المحيطة بالدولة الاسلامية لما فيها من أثر كبير في تثبيت الدولة الاسلامية وازدهارها .

١- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠
٢- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠
٣- ابن سيد الناس،عيون الأثر، ج١،ص٢٦٠
٤- أنظر: الكرمي،حافظ احمد عجاج،الإدارة في عصر الرسول دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى، ط٢، دار السلام ـ القاهرة، ٢٠٠٧ م.

ثالثاً: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية

كان من المتوقع لدى زعماء المدينة الذين عزموا على إقامة الدولة الإسلامية في بلدهم أنه سيترتب على هجرة النبي ﷺ إليهم، وإقامة تلك الدولة أن تعلن قبائل الجزيرة العربية في معظمها إن لم تكن كلها ، الحرب على هذه الدولة الناشئة ، وذلك لأن الدعوة التي تقوم عليها هذه الدولة، وتدعو الناس جميعاً إليها هي دعوة إلى انقلاب شامل في حياة الناس، ومجتمعاتهم، ودولهم، يتناول عقائدهم، وقيمهم، وأفكارهم، ونظمهم، وطرق العيش التي درجوا عليها... وتعطيهم بدلاً من ذلك كله صيغة جديدة للحياة تقوم على الإيمان بالله عز وجل على أنه وحده هو الخالق الذي بيده كل شيء، وهو وحده الذي يجب أن نأخذ منه التشريع، والقيم، والأنظمة التي تحكم سيرنا في الحياة، بما نزل به الوحي على رسول الله ﷺ ، وأنه سوف يقف الناس جميعاً بين يدي خالقهم يوم القيامة ليحاسبهم على مدى التزامهم بما أنزله إليهم ، ثم بعد ذلك إما إلى جنة، وإما إلى نار!

إذن كان من المتوقع لدى الرجال الذين هم بصدد إقامة الدولة الإسلامية، أنه حين تتجسد هذه الدعوة في دولة في المدينة المنورة ،ستعلن الجزيرة العربية في معظمها الحرب عليها.

وذلك لأن سادة قريش سيرون في هذه الدولة الناشئة الخطر على مصالحهم ومعتقداتهم، وسيسخرون الأتباع في إشعال الحروب تلو الحروب بهدف القضاء عليها قبل أن تترسخ لها جذور، وتمتد لها فروع! بل إن رجال هذه الدولة الإسلامية كانوا يتوقعون أكثر من ذلك، كانوا يتوقعون أن تتدخل القوى الكبرى المحيطة بالجزيرة العربية بهدف إسقاط هذه الدولة مما يضطر المسلمين لخوض الحروب مع تلك القوى.

ومما يدل على ذلك: ما صرح به أبو الهيثم بن التيهان أحد زعماء الأنصار في بيعة العقبة الثانية، قال بخصوص انتقال النبي ﷺ من مكة إلى المدينة مما يعني إقامة الدولة الإسلامية، قال يخاطب الأنصار: "اعلموا إنه إن تخرجوه، برتكم العرب عن قوسٍ واحدة!" [١]

وكذلك صرح العباس بن نضلة من رجال هذه البيعة بما يتوقعه من الاصطدام الحتمي مع العرب وغير العرب إذا ما تمت هذه البيعة، و إذا انتقل النبي ﷺ إلى المدينة وأقام فيها الدولة الإسلامية، قال يخاطب الأنصار أيضاً: "هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس!" [٢]هذا ما كان متوقعاً لدى الأنصار بصدد موقف الجزيرة العربية، والقوى الدولية حولها من إقامة الدولة الإسلامية في المدينة.

فكيف سارت الأمور بين هذه الدولة وبين القوى التي كانت تحيط بها؟ يقول ابن القيم: "ولما قدم النبي ﷺ المدينة صار الكفار معه ثلاثةً أقسام:

١- قسم صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه، ولا يظاهروا عليه، ولا يوالوا عليه عدوه، وهم على كفرهم، آمنون على دمائهم، وأموالهم.

٢- قسم حاربوه، ونصبوا له العداوة.

٣- قسم تاركوه، فلم يصالحوه، ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره، وأمر أعدائه"[٣]

هذا ما قاله ابن القيم يلخص به وضع رسول الله ﷺ بصفته رئيس الدولة الإسلامية.

وتفصيل ذلك: أن الذين وادعهم رسول الله ﷺ فور قدومه المدينة هم اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، وبين قريظة.

١- الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٦، ص٤٧.
٢- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢، ص١٨-١٩
٣- ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣، ص١٢٦

وجاء عند ابن القيم بخصوص هذه الموادعة التي عقدها رسول الله ﷺ بين دولة المدينة وبين قبائل اليهود المجاورة لها قال ما نصه: "فصالح يهود المدينة وكتب بينهم وبينه كتاب أمن"[١] هذا ما كان من أمر الذين عقد ﷺ بينه وبينهم عقد صلح وموادعة.

وأما الذين ناصبوه العداء، وأعلنوا حالة الحرب على الدولة الإسلامية، وأهلها فهم: قريش وذلك فور انتقال الرسول ﷺ إلى المدينة، وإقامة الدولة فيها.

وبالنسبة للقبائل المنتشرة في الجزيرة فإنها ترسمت طريق قريش فيما بعد في عدائها للدولة.

ولا يقصد هنا، بالنسبة لإعلان قريش الحرب على المدينة هو ما كان من قريش من إيذاء للمسلمين وتعذيبهم وهم في مكة، حتى اضطروهم إلى الهجرة منها.

وبغض النظر عن إساءات قريش السابقة على إقامة الدولة ، إن ما بدر من رؤساء قريش في مكة من تصرفات بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة تدل على مبادرة مكة في إعلان الحرب على الدولة الجديدة في المدينة، واعتبار أهلها أهل حرب!

والدليل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري، عن عبد الله بن مسعود، حدث عن سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنطلق سعد معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية:" انظر لي ساعة خلوة لعلي أطوف بالبيت فخرج به قريباً من نصف النهار" فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان! من هذا معك؟ فقال: هذا سعد فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد آويتم الصباة[٢]، وزعمتم أنكم تنصروتهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له "سعد": ورفع صوته عليه، أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما

١- ابن القيم الجوزية(ت٧٥١هـ /١٣٥٠م)، أحكام أهل الذمة ،٣ج،تحقيق وسف أحمد البكري–شاكر توفيق العاروري،ط١، دار ابن حزم – بيروت ، ١٩٩٧م ،ج٢، ص٨٦٩،وسيشار لاحقا،ابن القيم ،احكام اهل الذمة

٢- جمع صابيء:أي:الخارج عن دينه،وكان المشركون يسمون من أسلم صابئاً ابن حجر، فتح الباري ،ج٧، ص٢٨٣

هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة ..." [١]. وفي رواية عند البيهقي: "والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك إلى الشام"[٢] .

تدل هذه الواقعة على أن "أبا جهل" يعتبر "سعد بن معاذ" من أهل الحرب بالنسبة إلى قريش، ولولا أنه دخل إلى مكة في أمان زعيم من زعمائها لأهدر دمه! وهذا تصرف جديد من رؤساء مكة حيال أهل المدينة لم يكن قبل قيام الدولة الإسلامية فيها.

فلم يكن أحدٌ من أهل المدينة يحتاجُ إلى عقد أمان لكي يسمح له بالدخولِ إلى مكة، بل إن قريشاً كانت تكرهُ أن تفكر في حدوث حالة حربٍ بينها وبين أهل المدينة قبل هذا الوضع الجديد، وقالوا في هذا الصدد، يخاطبون أهل المدينة ما نصه: "والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم!" [٣]

كما تدل هذه القصة على أن قوافل تجارة قريش في طريقها إلى الشام كانت في أمان إلى حدوث هذه الواقعة، لا تتعرض لها الدولة الإسلامية بمكروه أي: كانت الدولة الإسلامية إلى هذا الوقت لم تعامل أهل مكة معاملة أهل الحرب، فلم تضرب عليهم الحصار الاقتصادي، ولم تصادر لهم أية قافلة، أو تقصدها بسوء!

ومعنى هذا أن قريش هي التي بادرت، وأعلنت الحرب على الدولة الإسلامية في المدينة، واعتبرت المسلمين أهل حرب لا يسمح لهم بدخول مكة إلا بصفة مستأمنين!

ودليل آخر على مبادرة رؤساء مكة في إعلان الحرب على الدولة الإسلامية في المدينة ما جاء في سنن أبي داود: "عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى "ابن أبي" ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، والرسول ﷺ يومئذ

١- ابن حجر، فتح الباري ،ج٧، ص٢٨٢

٢- البيهقي، دلائل النبوية،ج٣، ص٢٥

٣- السهيلي، الروض الأنف ، ج٢ ،ص١٩٢

بالمدينة، قبل وقعة بدر! "إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك "عبد الله بن أبي" ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم، وإخوانكم! فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا ..." [١].

هذا ما كان من قريش التي بادرت من قبلها بإعلان حالة الحرب بينها وبين المدينة، بغض النظر عن العداء الذي حملته للمسلمين، والمظالم التي أوقعتها عليهم قبل قيام دولتهم في المدينة.

أما ما كان من شأن غير قريش من القبائل في داخل الجزيرة العربية، وما كان من شأن الدول المحيطة بالجزيرة فإنها لم تمارس حيال دولة المدينة نشاطها العدائي ضدها فور قيام الدولة ، كما فعلت قريش ! وإنما برز ذلك العداء فيما بعد .

وبعد أن بدأت قريش بإعلان حالة الحرب بينها وبين دولة المدينة على النحو الذي تقدم بيانه صار من الطبيعي أن تتعامل دولة المدينة مع قريش حسب ما تقتضية حالة الحرب هذه.

وقد اتجه نشاط الرسول ﷺ من أجل توطيد مكانة هذه الدولة، والرد على قريش في إعلانها حالة الحرب على المدينة اتجه نشاطه نحو إرسال السرايا، والخروج في الغزوات إلى مواقع في غرب المدينة مستهدفاً ثلاثة أمور:

أولها: تهديد طريق التجارة إلى الشام التي تسلكها قريش، الأمر الذي يشكل ضغطاً اقتصادياً على مكة.

ثانيها: عقد معاهدات مع القبائل الضاربة في تلك المنطقة، من أجل تحييدها في الصراع الدائر بين مكة والمدينة، إن لم يمكن كسبها إلى جانبها في هذا الصراع، وذلك: "لأن الأصل أن هذه

١- ابوداود، سنن أبي داود، ج٣، ص٢١٣

القبائل تميل إلى قريش، وتتعاون معها، إذ بينهما محالفات تاريخية سماها القرآن الكريم بالإيلاف[١]، سعت قريش من خلالها لتأمين تجارتها مع الشام واليمن"[٢].

ثالثها: إظهار القوة الإسلامية الناشئة في المدينة، وإبراز تحديها لقريش زعيمة القبائل العربية في الجزيرة، الأمر الذي يجعل اليهود في المدينة، والمشركين فيها وفيما حولها يشعرون بالخطر عليهم من ممارسة أي نشاط عدائي ضد هذه القوة الإسلامية الناشئة، أو الميل إلى قريش في صراعها مع المسلمين.

ومن أهم الأعمال العسكرية، ومعاهدات السلام التي قام بها الرسول ﷺ تحقيقاً للأهداف التي ذكرناها:

أول سرية إسلامية تعرضت لقريش هي سرية "حمزة بن عبد المطلب" على رأس سبعة أشهر من الهجرة، ولكن ما إن استعد الطرفان للقتال حتى توسط مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين فحجز بينهما، فلم يكن قتال[٣].

وهذا يدل على أن النشاط الخارجي للدولة الإسلامية فيما يتصل بعقد معاهدات السلام مع القبائل المجاورة كان سابقاً على الأعمال العسكرية التي قامت بها بدليل أن "سرية حمزة" كانت أول عمل عسكري تقوم به الدولة الإسلامية على الإطلاق، وكان موجها ضد قريش في حين كانت قبيلة جهينة – على ساحل البحر الأحمر – في معاهدة سلام مع دولة المدينة، وهي التي توسطت لمنع القتال بين المسلمين، وأعدائهم.

١- سورة قريش،الاية ١-٤

٢- العمري،اكرم ضياء، المجتمع المدني ،ص٢٧

٣- ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٦

أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ هي غزوة "ودان" (٢هـ/٦٢٣م)ويقال لها "الأبواء" أيضاً [١] على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة بهدف التعرض لعير قريش، ولكنها فاتته، ووادع في هذه الغزوة "مخشي بن عمرو الضمري" وكان سيد بني ضمرة[٢]، وجاء في كتاب الموادعة:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم، إلا أن يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفه! وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله، وذمة رسوله ...." [٣].

وجاء في السيرة أن "كرز بن جابر الفهري" أغار على سرح المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالحمى، فخرج رسول الله ﷺ مع بعض المسلمين على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، فوصل إلى ناحية "بدر" ولكنه لم يدركه، فرجع، وتسمى هذه المطاردة "غزوة بدر الأولى"[٤].

وجاء في السيرة أن رسول الله ﷺ وادع "بني مدلج" وحلفاءهم من "بني ضمرة" على رأس ستة عشر شهراً من هجرته حين خرج يتعرض لعير قريش في "ذي العشيرة" بناحية "ينبع" وهي ذاهبة إلى الشام ولكنها فاتته، وهي العير التي خرج لطلبها في رجوعها، ولكنها فاتته أيضاً للمرة الثانية، وكانت سبب معركة "بدر"[٥].

وهذا يؤكد أن الرسول ﷺ ركز نشاطه العسكري ضد قريش، من دون القبائل المجاورة للمدينة، والتي تنتشر على طريق القوافل، بل كان نشاطه بالنسبة إلى تلك القبائل موجهاً لعقد معاهدات سلام معها أو معاهدات دفاع.

١- موقعان متجاوران بينهما ٦ أميال أو ٨ أميال – والأبواء تبعد عن المدينة ٢٤ ميلاً.
٢- السهيلي، الروض الأنف ، ج٣ ،ص١٨
٣- السهيلي، الروض الأنف ، ج٣ ،ص٢٨
٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٦٠
٥- ابن القيم، زاد المعاد، ج٣، ص١٦٦-١٦٧

وإنما فعل الرسول ﷺ ذلك لأن قريشاً كانت هي سيدة الجزيرة العربية، وصاحبة الكلمة العليا فيها، وكانت تمثل الحاجز المادي الذي يحول دون انتشار الاسلام ورغبة الدولة الاسلامية في بسط نفوذهاعلى الجزيرة كاملة ، فإذا ما كسر هذا الحاجز، أو دخلت في الإسلام سارعت قبائل الجزيرة إلى الدخول في الدين الجديد دون صعوبات تذكر.

يدل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري: "عن "عمرو بن سلمة" قال: ... وكانت العرب تلوم[١] بإسلامها الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قومٍ بإسلامهم،..." [٢].

ويبدو ان الدولة الناشئة ركزت في هذه المرحلة على عدة أمور منها:

اولاً: ألا يصطدم مع غير قريش من القبائل العربية منعاً لتشتيت القوة الإسلامية على عدة جبهات من ناحية، وللحيلولة بين تلك القبائل وبين انضمامها إلى قريش في الصراع ضد المسلمين من ناحية أخرى.

ثانياً: أن يزيد من قوة الدولة الإسلامية بهدف تمكينها من القدرة على خوض الحروب الكبيرة التي يتوقع أن تواجهها ضد أعدائها، وبهدف إلقاء الرعب في قلوب يهود المدينة والمشركين فيها، فلا تسول لهم أنفسهم أن يطمعوا في الدولة الإسلامية أو إزعاجها.

وبصدد التعليل لتعرض المسلمين لقوافل قريش التجارية يورد معظم الكتاب الإسلاميين إلى أنها كانت بمثابة تعويض عن أملاك المسلمين التي صادرها المشركون في مكة حين تركوها مهاجرين إلى المدينة[٣].

١- أصلها: تتلوم: أي تنتظر ،ابن حجر، فتح الباري،ج٨،ص ٢٣.

٢- ابن حجر، فتح الباري،ج٨،ص ٢٢

٣- أنظرعلى سبيل لمثال:شلتوت،محمود،تفسير القرآن الكريم،ص ٣٠، الزحيلي،وهبة،أهداف الفتوحات الإسلامية،مجلة الحضارة الإسلام سنة٤-عدد٩،ذو القعدة سنة ٣٨٣١ هـ نيسان أبريل سنة ١٩٦٤م، ص ٥٠

إلا انه لا داعياً لمثل هذا التعليل، فحالة الحرب القائمة تكفي لأن يستبيح كل طرف من الأطراف المتنازعة ما تستطيع أن تصل إليه يده من أموال خصمه.

يقول "علي علي منصور": "أوليس القانون الدولي يبيح لمن يكون في حالة حرب أن يغنم من خصمه ما يستطيع؟"[١].

ومما يدل على أن حالة الحرب تكفي للتعرض لأموال الخصم، واغتنامها أنه عندما أعلنت قبائل العرب الحرب على المسلمين يغنمون ما قدروا عليه من أموال تلك القبائل، وكان من بين تلك القبائل التي أعلنت الحرب على المسلمين من لم ترزأ المسلمين بعد في مال صامت، ولا صائت[٢]! حتى يكون ما يغنمه المسلمون منهم إنما هو بمثابة تعويض عما سلبوه من أموالهم[٣].

هذا ولعل في رفض النبي ﷺ أن توضع أموال المسلمين التي تركوها في مكة حين الهجرة موضع البحث بعد فتح مكة، وبعد أن طالب بعض المسلمين المهاجرين باستعادة أموالهم القديمة إليهم – أقول: لعل في رفض النبي ﷺ مناقشة هذه المسألة ما يرجح من عدم وجود أي دور لأموال المسلمين التي صادرتها قريش في مسألة تعرض المسلمين لقوافل مكة التجارية.

١- علي،علي منصور، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، ص ٢٥٧

٢- المال الصامت: كالذهب والفضة والمتاع والمال الصائت: الذي له صوت كالشاء والبعير والبقر.ابن منظور ،لسان العرب،ج١٤ ،ص٢٨٣

٣- على سبيل المثال: الغنائم التي حصل عليها المسلمون في غزوة المصطلق ،السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص٦" والغنائم التي حصلوا عليها في غزوة دومة الجندل، السهيلي، الروض الأنف،ج٣،ص٢٥٨

وما يعضد هذا القول موقف الرسولﷺ بعد فتح مكة ورده على من جاء يطلب أمواله التي نهبت بعد الهجرة فلقد ذكر ابن هشام: "لما افتتح رسول الله ﷺ مكة كلمه "أبو أحمد"[١] في دارهم، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد! إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في شيءٍ من أموالكم أُصيب منكم في الله عز وجل ..." [٢].

ويلاحظ من أحداث معركة بدر، ترجيح المسلمين بعد المشاورة لترك القافلة وعدم المتابعة في مطاردتها، والاستعداد لقتال قريش[٣]، أن الهدف الأساسي للتعرض لقوافل قريش لم يكن هو الحصول على المال، وإن كان بحد ذاته مشروعاً! وإنما الغاية البعيدة منه هي إضعاف تلك العقبة الواقفة في طريق الدولة الإسلامية الناشئة، عن طريق التأثير عليها اقتصادياً بتلك الحملات المتتابعة التي كانت تتعرض لعير قريش، فوق ما من شأن هذا التعرض الدائم أن يحدثه من انهيار لدى الخصم في نهاية الأمر، نتيجة لحالة القلق والخوف التي تعيشها قريش .

ويصف ابن القيم أثر هذا الانتصارفي معركة بدر على المدينة وما حولها فيقول:

"ودخل النبي ﷺ المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل "عبد الله بن أبي" المنافق، وأصحابه، في الإسلام ظاهراً" [٤].

والظاهر أن معركة بدر قد أحدثت تحولاً خطيراً على الدولة الإسلامية فلقد تحول موقف القبائل المختلفة واليهود أيضاً من موقف المحايد

١- أبو أحمد بن جحش – اسمه عبد وقيل: ثمامة – مات بعد أخته زينب أم المؤمنين في خلافة عمر،السهيلي، الروض الأنف،ج٢،ص٢٤٩.

٢- السهيلي، الروض الأنف،ج٢،ص٢٤٠.

٣- السهيلي، الروض الأنف،ج٣،ص٣٣.

٤- ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣،ص٨٨.

كما أشار البخاري في روايته: (وكانت العرب ...، يقولون: اتركوه وقومه..." [١]، واتخذت موقف المشارك في الهجوم على الدولة الإسلامية واصطفت لجانب قريش في حربها، وجاء في السيرة: أن "بني سليم وغطفان" قد أعلنوا الحرب على المدينة، في أعقاب "بدر"، ومناطقهم تقع إلى جهة الشرق من المدينة[٢]، وقد قاموا بتجمعات عند ماء لبني سليم اسمه: "قرقرة الكدر" من أجل الزحف نحو الدولة الإسلامية،ولما بلغ رسول الله ﷺ خبرهم بادرهم بجيشه في منطقة تجمعهم، إلا أنهم فروا حين أحسوا بمقدمة[٣].

ويلاحظ أن قبائل العرب بدأت تظاهر قريشاً في إعلانها الحرب على المسلمين،خاصة بعد معركة بدر مع أن الرسول ﷺ كان حريصاً على مسالمتها، وعقد الموادعات معها، ولكن ما سبب هذا العدوان الجديد من جهة القبائل العربية؟

ويمكن تفسير هذا الموقف الغريب من القبائل ؛ لظهور حالت الضعف لدى قريش في مواجهة الرسولﷺ وهذا ما كانت تخشاه قريش، فلقد ورد أن قريش عندما عرض عليها المساعدة في معركة بدر رفضت ، إظهارا لقوتها وزعامتها للجزيرة ،فلقد ورد عند الطبري أن إيماء بن رحضة الغفاري" بعث إلى قريش ، ابناً له بجزائره أهداها لهم، حين مروا به وقال : "إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلت رحماً ، قد قضيت الذي عليك ، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فما لأحد بالله من طاقة"[٤] ،وربما شعرت بأن ضرب المسلمين للطريق التجاري الذي تسلكه قريش قد انعكس عليها فتحركت ضد هذا الحصار الاقتصادي[٥].

١- ابن حجر، فتح الباري،ج٨،ص ٢٢
٢- حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٥٧.
٣- ابن سعد، الطبقات،ج٢،ص ٣١
٤- الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢،ص ٣٠
٥- العمري، المجتمع المدني،ج٢،ص ٦٠

على كل حال، كانت "غطفان، وسليم" في طليعة القبائل التي بدأت من قبلها بإعلان هذه الحرب على المسلمين.هذا بالنسبة للقبائل العربية.

أما اليهود فلقد بدأ اليهود في أعقاب بدر فيما حول المدينة ينقضوا عهودهم مع الدولة الإسلامية جاء في تاريخ الطبري: "ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة منصرف من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها على أن لا يعينوا عليه أحداً، وأنه إن دهمه بها عدو نصروه، فلما قتل رسول الله ﷺ من قتل في بدر من مشركي قريش أظهروا له الحسد والبغي، وقالوا: لم يلق محمد من يحسن القتال، ولو لقينا – لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد– وأظهروا نقض العهد...." [١].

وجاء أيضاً: "أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد"[٢].

جاء عند السهيلي: "لما أصيب أصحابُ بدر ... قال كعب بن الأشرف: وكان رجلاً من طيىء... وكانت أمه من بني النضير: والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها، فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة.. وجعل يحرض على رسول الله." [٣].

وقال ابن القيم: "كعب بن الأشرف كان موادعاً للنبي ﷺ في جملة من وادعه من يهود المدينة... فلما قتل أهل بدر شق ذلك عليه، وذهب إلى مكة، ورثاهم لقريش... ثم لما رجع إلى المدينة أخذ ينشد الأشعار، ويشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، حتى قال النبيﷺ: من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله"[٤]، وتم القضاء عليه ذات ليلة في حصنه على يد مجموعة من الأنصار، على نحو ما ورد في السير[٥].

١- الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢،ص ٤٧٩،البيهقي،دلائل النبوة،ج٣،ص١٧٣
٢- الحلبي، السيرة الحلبية،ج٢،ص٢٢٠
٣- السهيلي، الروض الانف،،ج٣،ص١٣٩
٤- ابن القيم، احكام اهل الذمة،ج٢،ص٨٤٥
٥- الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢،ص٤٨٧

ويلاحظ ان من آثار معركة بدر على قريش أنها أخذت تحشد القوى للقضاء على الدولة الإسلامية وغيرت سياستها بعدم الاستعانة بأحلافها للقضاء على دولة الإسلام، وهذا ما نراه جلياً في أحداث غزوة أحد ، وواضح فيها أنه بالإضافة لإصرار قريش على استمرار حالة الحرب التي بدأت هي بإعلانها ضد المسلمين، فقد جاءت هذه المرة ومعها أحابيشها[١] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة[٢] وسارت نحو المسلمين في ثلاثة آلاف مقاتل[٣]، ولما بلغ رسول الله ﷺ الخبر عرض على الصحابة رأيه في الأمر فقال: "إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة، وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها.." [٤].

ومعلوم أن غزوة أحد انتهت بخسارة الدولة الإسلامية المعركة،لكن ما يهم الباحث هنا آثار هذا الانتصار الذي حققته قريش على الدولة الإسلامية وما ترتب عليه من نتائج، يميل الباحث أن قريش لمست نتائج سياستها الجديدة وهي الاستعانة بالأحلاف للقضاء على الدولة الجديدة فعقدت العزم على القضاء التام وتدمير هذه الدولة .

ويظهر ذلك التوجه الجديد فور انتهاء المعركة فبعد أن انفضت الحرب، ثم رحل أبو سفيان نحو مكة ... بعدما انتصر المشركون في الجولة الأخيرة من هذه الحرب ، جاء ما يدل على أن المشركين عزموا على الرجوع لإبادة المسلمين ... "وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم! فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم،..."[٥].

١- الأحابيش: الذين حالفوا قريشاً وهم: بنوا المصطلق، وبنو الهون بن خزيمة، اجتمعوا عند "حبشي" وهو جبل، بأسفل مكة، وتحالفوا على أنهم مع قريش يداً على غيرهم فسموا أحابيش باسم الجبل، وقيل: سموا بلك لتحبشهم أي تجمعهم، الحلبي، السيرة الحلبية ،ج٢ ،ص٢٣٠

٢- السهيلي، الروض الانف،،ج٣،ص١٤٨

٣- الحلبي، السيرة الحلبية ،ج٢ ،ص٢٣٠

٤- السهيلي، الروض الانف، ،ج٣ ،ص١٤٩

٥- ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣ ،ص٢٤١-٢٤٢

هذا ونذكر المحاولات التي تمت للقضاء على الدولة الاسلامية بسبع محاولات اشتركت بها تقريبا جميع قبائل الجزيرة المشهورة وهي:

١- في أعقاب معركة أحد سار "طلحة وسلمة" ابنا خويلد في قومهما، ومن أطاعهما، يدعوان "بني أسد بن خزيمة"[١] إلى حرب رسول الله ﷺ ، فأرسل "أبا سلمة" على رأس مائة وخمسين من المقاتلين المسلمين "فأصابوا إبلا، وشاءً، ولم يلقوا كيداً"[٢].

٢- بلغ رسول الله ﷺ أن "خالد بن سفيان الهُذلي" قد جمع الجموع يريد غزو المدينة، وبذلك أعلنت "هُذيل"[٣] الحرب على رسول الله ﷺ،

فأرسل إليه النبي ﷺ من قتله، وفض جمعه، وكفى الله المؤمنين القتال[٤].

٣- وفي أعقاب أُحُد حدثت مأساة الرجيع[٥]

ثم بئر معونة[٦]، وكان فيهما غدر قبائل من عرب الحجاز، ونجد، برجال الدولة الإسلامية بعدما أرسلهم ﷺ بناءً على طلب زعماء من تلك القبائل، وبعدما تعهدوا للرسول ﷺ بإعطائهم الأمان والجوار.

٤- نقض "بنو النضير" من اليهود فيما حول المدينة عهدهم مع رسول الله ﷺ ، وحاولوا قتله عليه الصلاة والسلام على النحو الذي روته كتب التاريخ والسير[٧].

١- مواطنهم شمال شرق المدينة

٢- ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣ ،ص٢٤٣

٣- مواطنهم: إلى جنوب الشرقي من المدينة.

٤- ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣ ،ص٢٤٣-٢٤٤

٥- منطقة قريبة من ساحل البحر الأحمر بين ينبع في الشمال وجدة في الجنوب، وهي أقرب إلى جدة. السهيلي،الروض الانف،ج٣،ص٢٢٤

٦- جنوب شرق المدينة من أراضي نجد،السهيلي،الروض الانف،ج٣،ص٢٣١

٧- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،ج٢ ،ص٥٥٠-٥٥٣

٥- وفي ربيع الأول سنة خمس من الهجرة بلغ رسول الله ﷺ أن "دومة الجندل" في شمال المدينة [١]، أخذت تتجمع فيها حشود معادية تريد غزو المدينة، فخرج ﷺ إليها في ألف من المسلمين، فعلموا به فتفرقوا، فأصاب المسلمون بعض الغنائم، ورجعوا إلى المدينة، ووادع رسول الله ﷺ في تلك الغزوة: عيينة بن حصن الفزاري[٢].

٦- ثم حدثت غزوة بني المصطلق[٣] قال ابن القيم: "وسببها: أن سيد بني المصطلق سار في قومه،ومن قدر عليه من العرب،يريدون حرب رسول الله ﷺ" [٤].

٧- ثم جاءت غزوة الخندق(٥هـ/٦٢٧م) وما وقع خلالها من نقض "يهود بني قريظة" للعهد مع الرسول ﷺ واعلانهم الحرب عليه، وانضمامهم إلى الأحزاب،وكان سبب هذه الغزوة أن اليهود من بني النضير الذين أجلوا عن ديارهم بسبب نقضهم للعهد، وإعلانهم الحرب على المدينة، هؤلاء اليهود استقروا في خيبر،وتزعم أشرافهم فيها ثم خرجوا من "خيبر" إلى مكة،وحرضوا قريشاً على حرب الرسول ﷺ قال ابن هشام:"فدعوهم إلى حرب رسول الله وقالوا:إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاؤوا غطفان " [٥].

وهكذا اجتمع ١٠٠٠٠ مقاتل من عدة قبائل من العرب،معلنةً الحرب على المدينة وهي: قبائل بني أسد، وأشجع، وبني مرة، وبني سليم، وغطفان، وفزارة وزعيمها "عيينة بن حصن" الذي سبق له أن عقد مع الرسول ﷺ عقد موادعة، ولكنه نقض العهد هنا، وانضم الى الأحزاب المعادية.وتكون

١- في المنتصف ما بين رأس الخليج العربي، ورأس خليج العقبة – إلى الشمال الشرقي من تبوك وهي من دمشق على خمس ليال.

٢- الطبري، تاريخ الأمم والملوك ،ج٢ ،ص٥٦٤

٣- كانت في شعبان سنة خمس للهجرة، قبل الخندق التي كانت في شوال سنة خمس للهجرة أيضاً، هذا وقد نقل ابن هشام هذه الغزوة إلى ما بعد الخندق،السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص٦، والصحيح أنها كانت قبل الخندق لأن "سعد بن معاذ" تنازع مع "سعد بن عبادة بشأن أصحاب الأفك عقب غزوة بني المصطلق مما يدل على أن غزوة بني المصطلق سبقت "غزوة الخندق". انظر ابن القيم ،زاد المعاد،ج٣،ص ٢٥٦ الهامش.

٤- ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣ ،ص٢٥٦

٥- السهيلي، الروض الانف ،ج٣ ،ص٢٥٨-٢٥٩

"خيبر" أيضاً قد صارت في حالة حرب مع دولة المدينة بسبب أن نفراً من زعمائها كانوا هم المحرضين على هذه الحرب،ونقضت "بنو قريظة" عهدها مع رسول الله ﷺ وانضمت إلى الأحزاب التي طوقت المدينة.

وقد حاول رسول الله ﷺ أن يكسر هذا الطوق عن المدينة بأن يعقد معاهدة فك الحصار عنها. جاء في كتاب "المغازي النبوية" لابن شهاب الزهري(ت١٢٤هـ،٧٤٢م)، ما نصه: "أرسل النبي ﷺ إلى عينية بن حصن بن بدر الفزاري، وهو يؤمئذ رأس المشركين من غطفان، وهو مع أبي سفيان:أرأيت إن جعلت لك ثلث ثمار الأنصار، أترجع بمن معك من غطفان، وتخذل بين الأحزاب؟" [١]،وقال النبي ﷺ للأنصار معللاً هذا التصرف بقوله:

"ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما ..." وقال الأنصار: "ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ...". [٢] ولم تتم المعاهدة، وصمد المسلمون، وانفك الحصار عن المدينة... وذاقت "قريظة" وبال أمرها على النحو الذي ورد في كتب السيرة والتاريخ[٣].

ويلاحظ أن غزوة الخندق كانت أشرس المحاولات التي تزعمتها قريش للقضاء على الدولة الاسلامية، فلقد اشتركت معظم القبائل العربية المشهورة في وسط الجزيرة العربية في الحرب على المدينة بتحريض من اليهود القاطنين في "خيبر" تتقدمهم قريش، وقد عزموا على استئصال الرسول ﷺ والمسلمين والدولة الإسلامية.

١- الزهري،ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيدالله(ت١٢٤هـ،٧٤٢م)،المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ،ص ٧٩.وسيشار لاحقا، الزهري، المغازي النبوية

٢- الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢ ،ص٥٦٤ ، ٥٩٤

٣- الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٢ ،ص٥٦٤ ، ٥٩٤

وهنا كان لا بد لدولة المدينة من توجيه السياسة الحربية لديها توجيهاً مختلفاً يناسبُ الوضع الجديد الذي فرض على المسلمين من قبل قبائل العرب ويهود الشمال، ذلك الوضع الذي أصبحت فيه دولة المدينة كجزيرة محاطة في بحر من الأعداء!

ولكن كما كان انتصار الدولة الاسلامية في غزوة بدر تحولاً خطيراً في مواقف قريش والقبائل العربية واتخاذها سياسة الأحلاف للقضاء على الدولة الاسلامية كان لغزوة الخندق-الأحزاب- تحولاً ذو أهمية قصوى ؛ وهو فشل سياسة قريش ومحاولاتها في استئصال الدولة الإسلامية وتحول الدولة الإسلامية من موقف المدافع إلى موقف المهاجم وهذا ما دل عليه تصريح الرسول ﷺ بعد هزيمة الأحزاب ، كما جاء في صحيح البخاري: قال: "الآن نغزوهم، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم"[١]، وذلك بعدما انفك حصار الأحزاب من حول المدينة.

ولكن كيف نفهم هذا التصريح الهجومي؟

وما الذي كان يدور في تفكير قيادة الدولة الإسلامية مما تعتزم القيام به لكي ترى على ضوئه أن الوقت قد حان لتغيير الاستراتيجية الحربية للدولة الإسلامية من مرحلة الدفاع، ولو لبس ثوب الهجوم أحياناً ضد بعض الجبهات إلى مرحلة الهجوم ضد جميع الجبهات المعادية للدولة الإسلامية؟

يمكن تفسير أن ما حدث خلال هذه التظاهرة المعادية، وما تمخضت عنه من إخفاق، وما تم بعدها من نشاط خارجي للدولة الإسلامية – يُفسر لنا قول النبي ﷺ الآنف الذكر: "الآن نغزوهم، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم"[٢].

١- ابن حجر، فتح الباري،ج٧ ،ص٤٠٥

٢- ابن حجر، فتح الباري،ج٧ ،ص٤٠٥

قد يكون سبب هذا التحول في نظرة الدولة الاسلامية لسياسة الهجوم ونهج سياسة تفتيت التحالف بين قريش والقبائل المتحالفة معها مجموعة من العوامل منها:

أولا:- تبين لدى القيادة الإسلامية أن أحزاب هذه التظاهرة المعادية ليست على قلب واحد - فها هي "غطفان" قد استعدت أن تفض هذه التظاهرة لدى أول بارقة طمع عرضت لها حين لوح لها النبي ﷺ بثمار المدينة.

ثانياً:- تبين لدى القيادة الإسلامية أن الجبهة في المدينة أقوى من أن تنال منها تلك الحشود العربية، وذلك الغدر اليهودي حين رفض الأنصار تقديم أي ثمرة من المدينة لأعدائهم تدل على الضعف!

ثالثاً:- جاء إخفاق الحصار الذي ضربته الأحزاب حول المدينة بدون أن يقدم المسلمون أي تنازل، ليضيف دليلاً جديداً على تماسك الجبهة في المدينة، وقدرتها على الصمود من ناحية، وعلى هشاشة القوى المعادية، وقصر نفسها في الهجوم والحصار من ناحية أخرى.

وهذا ما ترجمته الدولة الاسلامية واقعا وسعت إليه ، بعد معركة الخندق من تحييد قريش في معاهدة الصلح التي عقدت معها من أجل أن تتفرغ لإخضاع القوى المعادية الأخرى.

لقد كان لتحييد قريش أكبر الأثر في القضاء على بعض الجبهات المعادية، وضم بعض الجبهات الأخرى إلى قوة الدولة الإسلامية، مما أضعف قريشاً بعزلها عن حلفائها وجعل ميزان القوى يميل إلى مصلحة الدولة الإسلامية، الأمر الذي جعل قريشاً في النهاية تستسلم ... ثم تدخل في الإسلام،هذا ما حدث في أرض الواقع بعد الخندق مما كان ترجمة أمينة للسياسة الجديدة التي أعلن عنها النبي ﷺ في أعقاب غزوة الأحزاب بقوله: "الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم"[١]. ولكن كيف حقق الرسول ﷺ هذه السياسة الجديدة ؟

١- ابن حجر ، فتح الباري،ج٧ ،ص٤٠٥

لقد عقد الرسول ﷺ مع قريش "صلح الحديبية" لمدة عشر سنوات[١]، ورضي بما فيه من شروط قاسية على المسلمين من أجل تحييد و عزل قريش من نجدة حلفائها من أعداء الدولة الاسلامية إذا ما توجه الرسول ﷺ إليهم،فعزل قريش عن حلفائها أهم من الشروط القاسية.

جاء في شرح السير الكبير للسرخسي بصدد الإشارة إلى استهداف الرسول ﷺ عزل قريش عن حلفائها من وراء الإقدام على صلح الحديبية.. قال ما نصه:

"إن أهل مكة شرطوا عليه أن يرد عليهم كل من أتى مسلماً منهم، ووفى لهم بهذا الشرط إلى أن انتسخ، لأنه كان فيه نظر للمسلمين، لما كان بين أهل مكة وأهل خيبر من المواطأة على أن رسول ﷺ إذا توجه إلى أحد الفريقين أغار الفريق الآخر على المدينة، فوادع أهل مكة، حتى يأمن جانبهم إذا توجه إلى خيبر"[٢].

فبعد صلح الحديبية سار الرسول ﷺ إلى خيبر، بعدما أمن ظهره من جهة قريش، وضمن عدم نصرتها لحليفتها "خيبر". وذلك بموجب هذه المعاهدة التي عقدها مع قريش.

وكانت "خيبر" في حالة حرب مع دولة المدينة كما سبق بيانه بسبب تحريض زعماء اليهود القاطنين فيها للقبائل العربية على الرسول ﷺ مما نتج عنه غزوة الأحزاب، ثم هي حليف للمشركين عموماً ، وهؤلاء كانوا في حالة حرب مع المسلمين ، قال الشافعي: "وكانت "خيبر" وسط مشركين، وكانت يهودُ أهلها محالفين للمشركين"[٣].

١- انظرصلح الحديبية وشروطه في: السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص٢٤ومابعدها.والطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج٢،ص٦٢٠ وما بعدها، وابن القيم،زاد المعاد،ج٣،ص٢٨٦ وما بعدها.

٢ السرخسي،أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (ت٤٩٠هـ /١٠٩٧م) ، شرح كتاب السير الكبير ،٢ج، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ج١،ص٢٩٨،وسيشار لاحقا، السرخسي، شرح السير الكبير.

٣ الشافعي، الأم ،ج٤، ص١٨٩.

وكما جاء عند السهيلي: "فنزل – أي رسول الله ﷺ – بينهم – أي: أهل خيبر – وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ "[١]. ويبدو أنها كانت من قبل تفكر في تجميع القوى الحليفة لها بهدف غزو المدينة.

ذكر ابن القيم بأن علياً: "خرج في مائة رجل إلى "فدك"[٢]، إلى حي من بني "سعد بن بكر"؛ وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بها جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر... فأصاب عيناً لهم، فأقر له على أنه بعثوه إلى "خيبر" فعرضوا عليهم نصرتهم على أن يجعلوا لهم ثمر "خيبر"[٣].

كما أن حلف يهود خيبر مع قريش، القاضي بنصرة "خيبر" لمشركي مكة إذا ما توجه رسول الله ﷺ اليهم، [٤] هذا الحلف دليل يضاف إلى جملة الأدلة التي تتضافر ليؤكد حالة الحرب القائمة بين خيبر وبين المسلمين، وسعيها إلى ضرب الدولة الإسلامية حين تتاح لها الفرصة لذلك.

ومن هنا، سارع رسول الله ﷺ إلى "خيبر" بعد صلح الحديبية، وأنهى آخر معقل من معاقل اليهود في الجزيرة العربية يهدد الدولة في المدينة على نحو ما جاء في كتب التاريخ والسيرة النبوية[٥].

وبعد "خيبر" أرسل النبي ﷺ عدة سرايا إلى جهات مختلفة من القبائل التي كانت تحارب الدولة الإسلامية، كسرية أبي بكر الصديق إلى "بني فزارة" وكانت من القبائل التي شاركت في غزوة

---

١ السهيلي، الروض الأنف،ج ٤،ص٤٠.

٢ فدك ،على يومين من المدينة:ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣،ص٢٨٤ وهي إلى الشمال من خيبر، بقليل، أنظر موقعها على الخارطة في: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي،ص ٣٧. وذكر أن اسمها الحديث: "الحابط".

٣ ابن القيم، زاد المعاد ، ج٣، ص ٢٨٤.

٤ السرخسي، شرح كتاب السير الكبير ، ج١،ص٢٩٨

٥ أنظر خبر غزوة خيبر في: السهيلي، الروض الأنف، ج٤،ص٣٩ – وما بعدها،الطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج٣،ص٩ وما بعدها ، ابن القيم، زاد المعاد، ج٣،ص٣١٦ وما بعدها.

الخندق مع الأحزاب ضد المدينة، كما جاء في صحيح مسلم: عن سلمة بن الأكوع قال: "غزونا فزارة، وعلينا أبو بكر"[١].

وكسرية "بشير بن سعد" على "بني مرة" بفدك، وكانت أيضاً من القبائل التي شاركت في غزوة الخندق ضد المدينة"[٢].

ويبدو أن سياسة الدولة الإسلامية بتحطيم للتحالفات القبلية بين قريش وغيرها من القبائل قد أثمر فبعد صلح الحديبية وتحييد قريش استفردت الدولة الإسلامية بكل قبيلة شاركت ضد الدولة الإسلامية في غزوة الأحزاب.

وهذا ما جعل الدولة الإسلامية تفرض هيبتها وقوتها في الجزيرة العربية، ويبدو إن ادراك قريش لهذه السياسة هي التي حفزتها لخرق صلح الحديبية(٦هـ/٦٢٨م)، ونقضت قريش معاهدة "صلح الحديبية" على نحو ما جاء تفصيله في كتب السيرة فكان ذلك سبب فتح مكة(٨هـ/٦٣٠م)[٣].

ثم استمرت الدولة الإسلامية في سياسة تحطيم التحالفات القائمة بين القبائل ومد نفوذ الدولة أكثر فأكثر ،خاصة بعد تحطيم نفوذ قريش بفتح مكة وأصبحت الدولة الإسلامية القوة الأولى في جزيرة العرب وهذا يقضي بالقضاء على أي منافسة أو تهديد ،مثل غزوة "ذات السلاسل" قال ابن القيم: "وهي وراء وادي القرى... وبينهما وبين المدينة عشرة أيام.. قال ابن سعد، بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من "قضاعة" قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص... وبعثه في ثلاثمائةٍ من سراة المهاجرين والأنصار..." [٤].

---

١ مسام، صحيح مسلم ،ج٣،ص١٣٧٥. رقم: ١٧٥٥

٢ ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣،ص٣٦٠.

٣ الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج٣،ص٤٢ و السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص٨٤ وما بعدها.

٤ ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣،ص٣٨٦.

ثم كانت غزوة "حنين"(٨هـ/٦٣٠م) وجاء في سبب هذه الغزوة عند السهيلي ما نصه:

"قال ابن إسحاق: ولما سمعت "هوازن" برسول الله ﷺ ، وما فتح الله عليه من مكة، جمعها "مالك بن عوف النصري" فاجتمع إليه مع "هوازن"، "ثقيف" كلها، واجتمعت "نصرٌ" و "وجشم" كلها، و "سعد بن بكر" وناسٌ من "بني هلال"[١].

ثم انتهى أمر هوازن في معركة حنين ثم كان لا بد من ملاحقة "ثقيف" المشتركة في الحرب إلى بلدتها في "الطائف"[٢].

وحين استعصت على المسلمين تركوها.. ثم جاءت "هوازن" وأعلنت إسلامها، ثم قدمت ثقيف على الرسول ﷺ – فيما بعد – وانتهى أمرها إلى الإسلام[٣].

وهكذا نرى نجاح سياسة الدولة الإسلامية، التي أتاحت لها السيطرة الكاملة على شبه الجزيرة العربية وانضمام القبائل العربية لها تباعاً،وتكون الجزيرة العربية بذلك خالصة للدولة الإسلامية ثبتت فيها زعامتها وسيطرتها ولم يبقى لها منافس ،ويبدو أن الدولة الاسلامية بعد هذه الانتصارات أصبحت تفكر ببلاد الشام والعراق وهذا ما سيشير له الباحث في النقطة التالية .

علاقة الدولة الاسلامية مع القوى خارج الجزيرة العربية

يبدو أن الدولة الإسلامية كانت تفكر بالمناطق خارج الجزيرة العربية وظهر ذلك من مراسلاتها مع هذه الدول والمناطق ،وكان رد هذه الدول العنيف ضد رسائل الرسولﷺ هو دافعاً للدولة الاسلامية للتفكير الجدي في القضاء عليها فلقد ورد عن خبر غزوة مؤتة ،يقول ابن القيم: "وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي... بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو

١ السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص١٢١.
٢ السهيلي، الروض الأنف، ج٤،ص١٤٨.
٣ السهيلي، الروض الأنف، ج٤ ،ص١٨٢.

بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺغيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، فبعث البعوث.." [١].

ويبدو أيضاً أن أخبار انتصار الإسلام، وهذا المد الإسلامي الزاحف وصلت إلى الروم على أطراف الجزيرة العربية فأرادوا أن يوقفوا هذا المد المتقدم حتى لا يشكل عليهم أي خطر جاء في زاد المعاد: "وذكر ابن سعد قال: بلغ رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن "هرقل" قد رزق أصحابه لسنةً، وأجلبت معه: "لخم" و "جذام"، و "عاملة"، و "غسان" وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء[٢].... ثم قال: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك(٩هـ/٦٣١م) أتاه صاحب "أيلة" فصالحه، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل "جرباء" و "أذرح" فأعطوه الجزية"[٣].

ولما كانت "دومة الجندل" وهي إلى الشمال الشرقي من تبوك، مركزاً تحتشد فيه التجمعات المعادية للدولة الإسلامية لذا، فقد بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى- أكيدر دومة(٩هـ/٦٣١م) - وهو "أكيدر بن عبد الملك" رجل من "كندة" وكان نصرانياً وكان ملكاً عليها... ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته"[٤].

هذا، ولم يحدث اشتباك بين قوات الروم، والقوات الموالية لها من قبائل العرب النصارى من جهة وبين قوات الرسول ﷺ من جهة أخرى.. فقد فضل الحكام العرب في تلك المناطق سلخ تبعيتهم لدولة الروم، وإعلان الولاء للدولة الإسلامية في المدينة.

---

١ ابن القيم، زاد المعاد ،ج ٣،ص٣٨١.

٢ البلقاء: من أرض الشام، وهي داخله اليوم في المملكة الأردنية: ياقوت،معجم البلدان،ج١،ص٤٧٢

٣ ابن القيم، زاد المعاد ،ج٣،ص٥٢٧.

٤ السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص١٧٨، والطبري، تاريخ الأمم والملوك،ج ٣،ص١٠٨-١٠٩

ويبدو أن الروم قد عزموا على عدم السماح للدولة الإسلامية أن تمد نفوذها في ولايات الشام التي يسيطرون عليها، وغاظهم انسلاخ بعض ولاياتهم عن التبعية لهم فاستخدموا العنف في مواجهة هذه الظاهرة والوقوف في وجه الدولة الإسلامية.

جاء عند السهيلي: "قال ابن اسحاق: ويعث فروة بن عمرو النافرة الجذامي... إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، وكان "فروة" عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام[١]، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم... فلما اجمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له: "عفراء" قرب الطفيلة...قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني　　　　سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء [٢].

ومن هنا، كان لابد للرسول ﷺ من أن يهتم بأمر جبهة الروم في الشمال، ولذلك أمر قبيل وفاته "أسامة بن زيد" بقيادة جيش يطأ به أرض فلسطين، لقتال أعداء المسلمين من الروم ونصارى العرب الموالين لهم[٣]،"قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وقد بايعوا ثقيف"[٤]،وكان من حديثهم... أنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا، وأسلموا..." [٥].

---

١ ياقوت، معجم البلدان،ج٥،ص١٧٩

٢ السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص٢١٦-٢١٧،وابن القيم، زاد المعاد ٣،ج،ص٦٤٦.

٣ السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص ٢٤٦.

٤ السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص ١٨٢.

٥ السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص ١٨٤.

"ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان، وشوالاً، وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع..." [١]، ونزلت سورة براءة، وأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب ليبلغها إلى الناس في موسم الحج.[٢].

وهذا الإنذار الذي تضمنته آيات سورة براءة في إعلان الحرب على المشركين إنما هو خاص بمن نكثوا المعاهدات مع المسلمين، بدليل أن الآيات استثنت من هذا الإنذار – المحافظين على المعاهدات في قوله تعالى:(إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [٣].

وأما ما يتعلق من أمر فارس – فإن "فارس" أعلنت الحرب على الدولة الإسلامية، وذلك حين بعث رسول الله ﷺ كتاباً إلى "كسرى" ملك الفرس، يدعوه فيه إلى الإسلام، "فلما قرأه "كسرى" خرقه" [٤]، وجاء في تاريخ الطبري: أن "كسرى" بعث إلى "باذان" عامله على اليمن لكي يرسل إلى النبي ﷺ من يأتيه به، فقال أحد مبعوثي "باذان للنبي ﷺ ، بعد أن طلب إليه الذهاب معه ليمثل أمام "كسرى"! "... إن أبيت فهو،أي: كسرى – من قد علمت، فهو مهلككن ومهلك قومك، ومخرب بلادك"[٥].

ولكن الرسول ﷺ أخبر مبعوثي "باذان" بأن "كسرى" وثب عليه ابنه "شيرويه" فقتله! فرجعا إلى "باذان" وجاءت الأنباء إلى اليمن بصدق ما أخبر به النبي ﷺ عن طريق الوحي، فأسلم "باذان" ومن معه... وانضمت اليمن إلى الدولة الإسلامية"[٦].

---

١ السهيلي، الروض الأنف،ج٤،ص ٩٨٦.

٢ سورة التوبة براءة آيات ١-٥.

٣ سورة براءة التوبة الآية٧.

٤ ابن حجر، فتح الباري ،ج٦،ص١٠٨.

٥ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢،ص٦٥٥.

٦ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ج٢،ص٦٥٦.

وأما "الروم" فقد أمر رسول الله ﷺ بتجهيز جيش "أسامة" للسير إليهم في الشام – كما تقدم بيانه – ولكن رسول الله ﷺ لحق بالرفيق الأعلى قبل أن ينطلق الجيش إلى الشام فأرسله إليها "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه فور توليه أمر الخلافة[١].

وهكذا يكون الرسولﷺ قد أرسى قواعد الدولة الجديدة ،أن كان من قواعد الحكم والتنظيمات أو من خلال الجهد العسكري الذي خاضه ضد أعداء الدولة ،وترك الدولة الإسلامية مؤمنة الجانب إن كان بتشريعات واضحة دلل عليها الباحث فيما سبق ومن خلال قوة عسكرية أصبحت تقارع الدول الكبرى في ذلك الزمان،فكانت بحق الدولة الأنموذج التي كانت المقياس الواضح لكل حاكم مسلم– خليفة– يقيس به صحة سيره،من خلال عرض أعماله وتصرفاته على هذه الدولة ،فإن اقترب من نموذج هذه الدولة يكون قد أحسن،وإن ابتعد يكون قد أساء، فهي إذن بحق الدولة القدوة.

١–علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق، ص١٨١–١٨٢.

الخاتمة:

وبنهاية هذا الفصل يكون الباحث قد وصل الى نهاية الدراسة التي الزمت نفسها بهذه الفترة التاريخية وهي وفاة الرسولﷺ (١١هـ/٦٣٢م) ،ويأمل الباحث أن يكون قد دلل بما استطاع على فكرة أن الرسول قد أنشأ دولة متكاملة بجميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ووضع الأسس والنظم والقوانين الناظمة لهذه الدولة التي سار عليها من بعده الخلفاء ،فإن كان استطاع فالحمد لله وإن كان غير ذلك فمرده لقصر جهد الباحث والله المستعان.

هذا وخلص الباحث بعد نهاية الدراسة :

أن فكرة الدولة كانت معلومة معروفة لدى العرب في الجاهلية،والظاهر أنهم كانوا يدركون بشكل واضح المترتب على فكرة الدولة، من سيطرة مركزية للدولة تجب لها الطاعة والخضوع وأنها ستكون لها اليد العليا في تصريف حياة الناس، ولذلك رأينا مقاومتهم الشديدة لفكرة الدولة وتشكلت البنى الفكرية للقبائل العربية بأن فكرة الدولة انتقاص لقوة وهيبة القبيلة لما يلزمه من تنازل لسطوة الدولة على حساب سطوة شيخ القبيلة.

لذلك ظهرت ألقاب تعزز هذا المفهوم ولعل لقب اللقاح كان أكثرها وضوحا في تجسيد هذا الخوف، فالقبائل التي ترفض الخضوع لملك أي دولة، هي المقدمة والقبيلة المحترمة.

ولقد أظهرت الرسالة أن أكثر القبائل التي برزت لديها هذا الشعور كانت هي أشد القبائل مقاومة لمحاولات الرسول ﷺ إقامة الدولة فيها خاصة قريش و ثقيف وغيرها من القبائل .

ووصلت الدراسة إلى أن الرسول ﷺ قد سار في الفترة المكية بمنهج واضح المعالم لإقامة دولة الإسلام ، فلقد بدأ هذا المنهج بإقامة جماعة تحمل عبء العمل لهذه الدولة ، فحرص ﷺعلى تنظيمها وتثقيفها وإعدادها الإعداد اللازم لتحمل مهام الدولة التي كان يخطط لإقامتها، وزود هذا

الجماعة بما يلزم من الأفكار التي تحتاجها للتصدي للمجتمع المضاد لفكرة الدولة ، ليقلب فيه أفكار المجتمع القديمة ويحل مكانها الأفكار الجديدة .

ولذلك حرص الرسول ﷺ على سرية هذا التنظيم واحتاط له ما أمكن من الانكشاف وبعد أن اكتمل بناء هذه الجماعة وتوفرت شروط ظهوره ، أعلنها الرسول ﷺ بشكل لافت للنظر بأن أخرجهم صفيين حمزة وعمر في كل صف بشكل لم تعهده مكة من قبل .

وبذلك دخل منهج الرسول ﷺ مرحلة جديدة وهي مرحلة التفاعل مع المجتمع بالفكر الجديد والجماعة الجديدة ، وخوض أفكار الإسلام الصراع الفكري مع أفكار قريش ، بل وزاد الرسول في هذه المرحلة أعمالا جديدة وهي العمل السياسي المتقصد لزعماء قريش وأفكارها ، ولقد شاهدنا ما ترتب على هذه المرحلة من مقاومة شديدة من قريش ومحاولات فتن أصحاب الفكر الجديد عن مبدأهم لكن البناء المحكم في فترة التثقيف كان له الدور الأبرز في الصمود في مواجهة هذه الهجمة الشرسة من أعداء فكرة الدولة.

وبعد رفض مجتمع مكة لاستقبال هذا الفكر الجديد أضاف الرسول ﷺ عملا جديدا لهذه المرحلة العلنية وهي طلب النصرة من أهل القوة في القبائل المختلفة حتى استطاع نيلها من أهل يثرب وبذلك اكتمل المنهج بأخذ البيعة الثانية بيعة الحرب في بناء دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة.

وقد حاول الباحث – ما استطاع – عرض النصوص والاستشهادات التي تدعم فكرته في مفاصل هذا المنهج رغم صعوبة الفصل بين أعمال الرسول الدعوية التي كان يهدف من خلالها لنشر الدين وبين أعماله المخصوصة التي كان يهدف منها لبناء الدولة ، رغم ما يميل له الباحث من فكرة وهي إن من لزوم نشر الدين إيجاد دولته ، فتكون الدولة بهذه الفرضية هي الطريقة التي

اتخذها الرسول ﷺ لنشر الدين، ما يهم الباحث ما توصل أو ظن انه توصل إليه من نتائج ترسم خطوطاً عريضة لمنهج الرسول ﷺ في إقامة الدولة .

وفي الفصل الرابع خلصت الرسالة إلى المرحلة العملية التي طبق فيها الرسول ﷺ أفكار الإسلام على شكل نظام جديد وهو نظام الإسلام في الحكم ولقد أظهرت الدراسة أن الرسول ﷺ قد جاء بنظام واضح المعالم لشكل الحكم في الإسلام وهو الخلافة الذي حدد فيه نمط الحكم الإسلامي نصا وصراحة.

ولقد استشهدنا بالنصوص التي تؤيد الفرضيه، وبخلاف ما راج بين المؤرخين والباحثين بأن النظام السياسي في الإسلام جاء نتيجة الممارسة والتجربة،تميل الدراسة إلى أن نظام الحكم في الإسلام قد أرسى قواعده ونظرياته الرسول ﷺ في دولته الأولى في يثرب.وان ما ظنه بعض الباحثين انه مرحلة التنظير للنظام السياسي الذي بدأه الماوردي هو في الحقيقة مرحلة التدوين للفكر السياسي في الإسلام

أظهرت الدراسة التطبيق العملي للرسول ﷺ لفكرة الدولة وممارساتها على أرض الواقع ولقد أظهرت النصوص غنى هذه الفترة بالتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي أصبحت هي المثال والقدوة لحكام المسلمين بعد الرسولﷺ فكلما اقترب الحاكم من تطبيقات الرسولﷺ كلما زاد تقدير الرعية له واحترامه وكلما ابتعد عن تطبيقات الرسول ﷺ سخط الناس عليه وأظهروا امتعاضهم .

وبهذا يكون منهج الرسولﷺ في إقامة دولة الإسلام قد مر بمراحل ثلاث أساسية، مرحلة التثقيف التي أوجد لها جماعة يمارس عليها عملية التثقيف، ومرحلة طرح الأفكار على المجتمع للتفاعل معها وتتبناها وتعمل من أجلها، وطلب النصرة لتطبيقها ومرحلة استلام الحكم لترجمة الأفكار النظرية لقضايا عملية على أرض الواقع وهذا ما مارسه الرسولﷺ في المدينة المنورة.

ويظهرمن الدراسة أن الرسولﷺ قد جاء بفكرة الدولة وطريقة إقامتها وطريقة تنفيذها والمحافظة عليها، واحتاج لذلك ثلاثة وعشرون عاما لتجسيدها على أرض الواقع ،عمل ثلاثة عشر سنة لإقامتها وعشر سنين في تطبيق أفكارها وبهذا يكون الباحث قد بذل جهده للتدليل على ما ذهب إليه من أفكار ويحسب أنه دلل على ما ذهب إليه من فرضيات .وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت ٦٣٠ هـ /١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، ١٣ ج ، دار صادر، بيروت، ١٤٠١ هـ، ١٩٨٢ م

٢. الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ ،٨٦٥م)، أخبار مكة، ج ١، مكتبة خياط، بيروت ، د.ت

٣. الأشعري ،أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين ، المكتبة العصرية ، بيروت -لبنان١٤١١ هـ ١٩٩٠ م

٤. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ /١٠٣٩م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ ج ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م

٥. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ ،٩٦٧م) ، الأغاني، ٢٣ ج ، ط ٢ ، دار الثقافة، بيروت، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م

٦. الآلوسي،شهاب الدين محمود (ت١٢٧٠هـ /١٨٥٤م)،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

٧. الآلوسي، شهاب الدين محمود (ت١٢٧٠هـ /١٨٥٤م)،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت،

٨. الآمدي، علي بن محمد(ت٦٣١هـ /١٢٣٤م)، منتهى السول في علم الأصول، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٩. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ /٨٧٠م)، صحيح البخاري، ٩ ج ، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٨ م

١٠. ابو البقاء، هبة الله (ت٥٢٠هـ /١١٢٦م)، المناقب المزيدية في الملوك الاسدية، تحقيق: صالح موسى درادكة ومحمد عبدالقادر خريسات، مكتبة الرسالة ،عمان: ١٩٨٤م

١١. البكري، عبد الله بن عمر بن عبد العزيز(ت ٤٨٧ هـ /١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٢ ج ، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥ م

١٢. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ /٨٩٣م)، أنساب الأشراف،تحقيق: محمد حميد الله الحيدر أبادي، القاهرة، دار المعارف، د. ت

١٣. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ /٨٩٣م)، فتوح البلدان،ج١، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع واخرون، دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧ هـ، ١٩٥٧ م

١٤. البيهقي، أحمد بن الحسين(ت ٤٥٨ هـ /١٠٦٦م)، أحكام القرآن للشافعي،المحقق محمد زاهد الكوثري ، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٤١٢ هـ

١٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين (ت ٤٥٨هـ /١٠٦٦م)، السنن الكبرى، ١٠ ج ، ط ١ ، حيدر أباد، المطبعة العثمانية، ١٣٥٤ هـ

١٦. التميمي،محمد بن أحمد(ت٢٥٤هـ/٨٦٨م) ، صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط،١٨ج، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت،١٩٩٣م

١٧. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم(ت ٧٢٨ هـ /١٣٢٨م) ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي سامي النشار، وأحمد زكي عطية، ط ٢ ، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١ م

١٨. الجاحظ، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ /٨٦٩م)، الحيوان، ٧ ج ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٣ ، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٦٩ م

١٩. الجاحظ، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ /٨٦٩م)،رسائل الجاحظ، جمع: حسن السندوبي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٣ م

٢٠. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ /١٢٠١م)، تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أسامة عبد الكريم الرفادي، د. ن، د. ت

٢١. الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ /١٠٠٣م) ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ٦ ج ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ١ ، دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٧٩ م

٢٢. الحاكم، محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ /١٠١٥م)، المستدرك على الصحيحين، ٤ ج ، دار الكتاب العربي ،بيروت، د. ت

٢٣. ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ /٨٦٠م)،المحبر ، تصحيح: إيلزه ليختن ستيتر، منشورات الافاق الجديدة، بيروت، د. ت

٢٤. ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو(ت ٢٤٥هـ /٨٦٠م)، المنمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤ م

٢٥. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، الإصابة في تميز الصحابة، ٤ ج ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار النهضة، القاهرة، د. ت

٢٦. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ٢٨ ج ، تحقيق: طه عبد الرؤوف واخرون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٨ م

٢٧. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ /١٠٤٦م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٢ هـ، ١٩٦٢ م

٢٨. الحلبي، علي بن برهان الدين(ت ١٠٤٤هـ /١٦٣٥م)، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المشهور بالسيرة الحلبية ، ٣ ج ، ط ٣ ، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢ م

٢٩. ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت٢٤١هـ /٨٥٦م)، المسند،٦ ج، دار صادر والمكتب الإسلامي،بيروت، د. ت

٣٠. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي(ت٤٦٣هـ /١٠٧١م)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ

٣١. ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت

٣٢. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد (ت ٣٢١ هـ /٩٣٣م)، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٨ م

٣٣. الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت٦٦٦هـ /١٢٦٨م)، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ م

٣٤. الزبيدي، محمد مرتضى(ت ١٢٠٥هـ /١٧٩١م)، تاج العروس، ١٠ ج ، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٦٦ م

٣٥. الزبيري، مصعب بن عبد الله(ت٢٣٦هـ /٨٥١م)، نسب قريش، نشره: ليفي بروفنسال، دار المعارف، ١٩٥١ م

٣٦. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي المالكي (ت ١١٢٢هـ /١٧١٠م)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ٨ ج ، ط ١ ، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، ١٣٢٨ هـ

٣٧. الزمخشري،محمود بن عمر (ت ٥٨٣ هـ /١١٨٨م)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م

٣٨. الزمخشري،محمود بن عمر (ت ٥٨٣ هـ /١١٨٨م)،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤ ج ، بيروت، دار المعرفة، د. ت

٣٩. الزهري،ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيدالله(١٢٤هـ، ٧٤٢م) ،المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق ، د.ت

٤٠. السرخسي،أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (ت٤٩٠هـ /١٠٩٧م) ، شرح كتاب السير الكبير ،٣ج، تحقيق صلاح الدين المنجد،دار الكتب المصرية،بيروت،١٤١٨هـ

٤١. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري(ت ٢٣٠هـ /٨٤٥م)، الطبقات الكبرى،٩ ج،بيروت، دار صادر،د. ت

٤٢. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب(ت٢٤٤هـ /٨٥٩م)، إصلاح المنطق، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٦

٤٣. ابن سلام الجمحي(ت٥٣١هـ /١١٣٧م)،طبقات فحول الشعراء ، شرح وتحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤م

٤٤. أبي سلمى ،زهير (ت٦١٥م) ، ديوان زهير بن ابي سلمى ، جمع الامام الشيباني ، مطبعة الكتب لمصرية، القاهرة ، ١٩٤٤م

٤٥. السمهودي، علي نور الدين أبو الحسن بن عبد الله (ت ٩١١ هـ /١٥٠٦م) ، وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى، ٢ ج ، مطبعة الاداب والمؤيد، القاهرة، ١٣١٦ هـ

٤٦. السهيلي،عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١ هـ /١١٨٦م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،٧ ج ، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب المصرية، مصر ، د. ت

٤٧. ابن سيد الناس، فتح الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٣٤هـ /١٣٣٤م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ٢ ج ، ط ١ ، دار الافاق الجديدة،بيروت، ١٩٧٧ م

٤٨. ابن سيده ، أبو الحسن علي بن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ /١٠٦٦م) ، المُحكم والمحيط الأعظم ، طبعة دارالكُتب العلمية، بيروت،د.ت

٤٩. ابن سيده، أبو الحسن علي بن علي بن إسماعيل(ت ٤٥٨هـ /١٠٦٦م)،المخصص، ١٧ ج ، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع عن مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٢١ هـ

٥٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ /١٥٠٦م)،الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٨ ج،ط ١ ، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م

٥١. الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ /٨٢٠م) ، الأم، (٨ ج) ، تحقيق: محمد زهدي النجار، ط ١ ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦١ م

٥٢. الشامي، محمد بن يوسف الصالحي(ت٩٤٢هـ /١٥٣٦م)،سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٦ ج ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م

٥٣. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ /١٨٣٥م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، ٩ ج ، ط ٣ ، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٩ م

٥٤. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٣م)، تاريخ الأمم والملوك ،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

٥٥. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٣م)، جامع البيان عن تأويل اي القران، ١٦ ج ، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف، مصر ، د. ت

٥٦. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله(ت٤٦٣هـ /١٠٧١م)، الأنباه على قبائل الرواه،تحقيق:ابراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ

٥٧. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت٣٢٨هـ /٩٤٠م)، العقد الفريد، ٨ ج ، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، د. ت

٥٨. أبوعبيد، القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ /٨٣٩م)، الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، ط ١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٨ م.

٥٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ /٧٩٢م)، العين، تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، مطبعة العاني،بغداد ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

٦٠. ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني(ت٣٤٠ هـ ،٩٥٢م)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق، دي خويه، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٠٢ هـ، ١٨٨٥ م

٦١. الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ /١٤١٤م) ، القاموس المحيط ،ط٢،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م

٦٢. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم(ت٣٥٦هـ /٩٦٧م)، ذيل الأمالي والنوادر، ط ٣ ، مطبعة إسماعيل بن يوسف، د. ت

٦٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/٨٩٠م)،الشعر والشعراء ، تحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٤٤م،د.ت

٦٤. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/٨٩٠م)، المعاني الكبير في أبيات المعاني،تحقيق عبدالرحمن بن يحيى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤ م

٦٥. القرطبي،محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ /١٢٧٣م) ، الجامع لأحكام القرآن ،٢٠ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ

٦٦. ابن القيم الجوزية،شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ/١٣٥٠م)،أحكام أهل الذمة ،٣ج،تحقيق وسف أحمد البكري-شاكر توفيق العاروري،ط١، دار ابن حزم – بيروت ، ١٩٩٧م

٦٧. ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ /١٣٥٠م)،عون المعبود في شرح سنن أبي داود، نشره حسن إيراني، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت

٦٨. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ /١٣٥٠م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥ ج ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط واخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١ م

٦٩. ابن كثير ، إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ /١٣٧٣م)،تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم،٤ج،دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ

٧٠. ابن كثير ، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣م)، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦م

٧١. ابن كثير ،إسماعيل بن كثير(ت ٧٧٤هـ١٣٧٣م)،البداية والنهاية،٨ ج، دار الفكر العربي، بيروت،١٩٧٨ م

٧٢. الكلبي،هشام بن محمد بن السائب بن بشر(ت٢٠٤هـ ،٨٢٠م)،الأصنام ،تحقيق-: احمد زكي، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٢٤م

٧٣. ابن ماجه، أبو عبد الله بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ /٨٨٩م) ، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د. ت

٧٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ /١٠٥٩م) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م

٧٥. الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ /١٠٥٩م) ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق محي الدين السرحان ،ط١، دار النهضة. العربية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ١٤٠١ هـ١٩٨١ م

٧٦. المسعودي،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت ٣٤٦هـ /٩٥٨م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،٤ ج ، فهرسة: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥ م

٧٧. ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ /١٣١٢م) ، لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م

٧٨. النووي، أبو زكريا يحيي بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ /١٢٧٨م)،تهذيب الأسماء واللغات. دار الكتب العلمية – بيروت .د ت

٧٩. النووي، أبو زكريا يحيي بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ /١٢٧٨م) ، شرح صحيح مسلم، ١٨ ج ، ط ٣ ، بيروت، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م

٨٠. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٢ هـ /١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣ ج ، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٣ م

٨١. النيسابوري،مسلم بن حجاج (ت٢٦١هـ /٨٧٥م)، صحيح مسلم، ٥ ج،ترقيم،محمد فؤادعبد الباقي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٥ هـ، ١٩٥٥ م

٨٢. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام(ت٢١٨هـ /٨٣٣م)، السيرة النبوية، ٢ ج ، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، ١٩٥٥ م

٨٣. الهمذاني، أبو محمود الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٦م)،صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عبد الله، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣ م

٨٤. الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ /١٥٦٨م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،١٦ج ، ط ٢ ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٨٨ هـ١٩٦٨ م

٨٥. الهيثمي، نور الدين بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ /١٤٠٥م) ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٩ ج، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣ هـ

٨٦. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ /١٢٢٩م)، معجم البلدان، ٥ ج ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩ م

٨٧. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب(ت٢٨٤هـ /٨٩٧م)، البلدان، ط ٣، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٢٧ م

المراجع العربية والمترجمة

١. أحمد محمد، الجانب السياسي في حياة الرسول ،ط ١، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢ هـ

٢. أمحزون، محمد، منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة (المعرفة، التربية، التخطيط، التنظيم)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٣. بدوي، ثروت، النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٩م

٤. بريلو ،مارسيل ، علم السياسة، ترجمة محمد برجاوي، من منشورات عويدات، بيروت

٥. البستاني،بطرس، قطرالمحيط، مكتبة لبنان– بيروت، نسخةطبق الأصل نقلاًعن طبعة١٨٦٩ م

٦. بيضون، إبراهيم، الحجاز والدولة الإسلامية ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م،

٧. توينبي ، أرنولد ،مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠–١٩٦٥م

٨. جاد المولى، محمد أحمد، أيام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ت

٩. الجمل سليمان بن عمر، حاشية الجَمل على الجلالين، دار إحياء التراث العربي، بيروت

١٠. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت،ط١، ١٩٦٩م

١١. جوهين، محمد ، التنظيمات الإدارية في الإسلام، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م

١٢. حتي ،فيليب ، الإسلام منهج حياة، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢م

١٣. حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٤ ج ، ط ٧ ، المكتبة التجارية الكبرى، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٩٦٤ م

١٤. حميد الله ،محمد الحيدر أبادي ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٣ م

١٥. الخضري، محمد ، نور اليقين في سيرة المرسلين ،دار القلم، دمشق، سوريا

١٦. خليل، عماد الدين، دراسات في السيرة النبوية، ط١١، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

١٧. خليل، محسن، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢

١٨. درمنغم ، إميل ، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٤٩م

١٩. الدوري، عبد العزيز ، النظم الإسلامية، ط ١ ، وزارة المعارف، بغداد، ١٩٥٠م

٢٠. أبو ذكية ،حسن ، التنظيم الإداري في الفكر الإسلامي، ٥ج ، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١ هـ

٢١. أبو الرشتة،عطاء خليل ، التيسير في أصول التفسير ، دار الأمة ، بيروت ، ط٢

٢٢. رضا، رشيد ، الخلافة ، موفم للنشر ، ط ١، الجزائر

٢٣. أبو زهرة، محمد ، خاتم النبيين،٣ج، دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٧٢م

٢٤. أبو زهرة، محمد ، المرجع في السيرة النبوية ، ط١، دار الفكر ، القاهرة د. ت

٢٥. السيد،رضوان ، الأمة والجماعة والسلطة،ط١، دار اقرأ، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

٢٦. شاكر ،محمود، التاريخ الإسلامي، ط٦، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ

٢٧. الشامي، صالح أحمد ، من معين السيرة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م

٢٨. أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة ، دار القلم، دمشق

٢٩. الشيباني،محمد شريف،الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة،ط١، دار الحضارة العربية ،بيروت، ١٩٨٨

٣٠. الصلابي،علي محمد محمد ، السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م

٣١. الطائي ، محمد ، الألفاظ المؤتلفة ، دار الجيل – بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ

٣٢. الطنطاوي،علي، ناجي الطنطاوي، سيرة عمر بن الخطاب ،مطبعة الترقي، بدمشق ١٣٥٥هـ

٣٣. عبدا لله، محمد حسين، مفاهيم إسلامية ،ج٢، ط١، دار البيارق -بيروت

٣٤. عبدالله ،محمد حسين ، الطريقة الشرعية لاستئناف الحياة الإسلامية، ط٢، دار الأمة ،١٤٢٣هـ

٣٥. عتر،نور الدين ، منهج النقد في علوم الحديث، ط ٣، دار الفكر، دمشق، ، ١٩٩٧م

٣٦. عثمان ،محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة ١٢٧، ١٩٨٨-١٤٠٨

٣٧. العدوي، إبراهيم أحمد.، النظم الإسلامية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي ، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م

٣٨. عطية الله ،أحمد، القاموس السياسي، ط ٣ دار النهضه العربية، مصر، ١٩٦٨م

٣٩. العلي ،صالح، دولة الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة : دراسة في تكونها وتنظيمها، ط.١، شركة المطبوعات، بيروت، لبنان ، ٢٠٠١

٤٠. علي، محمد كرد ،الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٥٢ هـ، ١٩٣٤ م

٤١. العمري، اكرم ضياء، المجتمع المدني في عهد النبوة، ط١،الجامعة الاسلامية ،المدينة المنورة، ١٩٨٣

٤٢. العمري، أكرم ضياء ،السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان،الرياض، ط٥،٢٠٠٥

٤٣. العيد،قاسم سليمان ،النظام السياسي في الإسلام ، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٣هـ

٤٤. الغضبان،منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٢ ج ، ط ١ ، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

٤٥. أبو فارس،محمد عبد القادر، السيرة النبوية: دراسة تحليلية،ط١، دار الفرقان، الأردن، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م

٤٦. الكتاني، عبد الحي محمد الحسني الإدريسي،كتاب التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة ،٢ ج ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت

٤٧. الكرمي،حافظ احمد عجاج،الإدارة في عصر الرسول دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى، ط٢، دار السلام . القاهرة، ٢٠٠٧ م.

٤٨. كستر، مكة وتميم ومظاهر علاقاتهم، ترجمة يحيى الجبوري، بغداد، ١٩٧٥

٤٩. لمعي،مصطفى صالح، المدينةالمنورة:تطورهاالعمراني وتراثها المعماري،دارالنهضةالعربية١٩٨١

٥٠. المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مكة المكرمة، نشر رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٠ م

٥١. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي ،ط١، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ

٥٢. المودودي ،أبو الأعلى ، الحكومة الإسلامية ، ترجمة أحمد إدريس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط١،الجزائر ١٩٩٠م

٥٣. مولاي، محمد علي، محمد رسول الله، ترجمة مصطفى فهمي، القاهرة ١٩٤٥

٥٤. هارون ، عبد السلام ، المعجم الوسيط ، مطبعة مصر،١٩٦٠ م

٥٥. الهوني، فرج، النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية منذ قيام دولة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية، د. ن، ١٣٩٦ هـ، ١٩٧٦ م

الرسائل العلمية:-

١. الجعبه، عبد الحميد . الأحزاب في الإسلام ، رسالة ماجستير ،غير منشورة

٢. الدخيلي، مهدي عريبي حسين، بنو أسد ودورهم في التاريخ العربي والإسلامي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، البصرة، ١٩٩٥

البحوث العلمية

١-عبدالعاني،أسامةعبدالمجيد،رؤية اقتصادية لأول وثيقة سنها الرسول في الإسلام، مجلة الإسلام اليوم ،إسيسكو العدد١٣ ،١٤١٦هـ ١٩٩٥م

٢ -العلي،صالح أحمد ، إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولي، مجلة الأبحاث، بيروت، ج ٢١ أذار، ١٩٦٨ م

٣. كستر، م. ج.، الحيرة، ملاحظات في علاقاتها، ترجمة خالد العسلي، بحث منشور في مجلة "بين النهرين"، بغداد

٤. ياقوت، محمد مسعد، " دور النبي صلى الله عليه وسلم في تحضر العرب"، المقالة الفائزة بمسابقة " انصر نبيك وكن داعياً " من الموقع الإسلامي " الألوكة "

ملحق رقم (١):جدول يوضح أسماء أوائل الصحابة في جماعة الرسولﷺ وعشائرهم

الميسورون والمتوسطون اجتماعياً	عشائرهم	العبيد والموالى	الفقراء
١.خديجة	بني أسد	١.زيد بن حارثة	١.عبد الله بن مسعود
٢.علي بن أبي طالب	بني هاشم	٢.عمار بن ياسر	٢.ابن أم مكتوم
٣.أبو بكر الصديق	بني تيم	٣.أم عمار	٣.أم أيمن
٤.عثمان بن عفان	بني أمية	٤.أبو عمار	
٥.سعد بن أبي وقاص	بني أمية	٥.خباب بن الأرت	
٦.عبد الرحمن بن عوف	بني زهرة	٦.عامر بن فهيرة	
٧.الزبير بن العوام	بني أسد		
٨.طلحة بن عبيد الله	بني تيم		
٩.الأرقم بن أبي الأرقم	بنو مخزوم		
١٠.أبو عبيدة بن الجراح	بني فهر		
١١.سعيد بن زيد	بني عدي		
١٢.فاطمة بنت الخطاب	بني عدي		
١٣.أبو ذر الغفارى	غفار		
١٤.صهيب الرومي	–		
١٥.عثمان بن مظعون	جمح		
١٦.عبيدة بن الحارث	بني هاشم		
١٧.أبو سلمة بن عبد الأسد	بني مخزوم		
١٨.رقية بنت رسول الله	بني هاشم		
١٩.زينب بنت رسول الله	بني هاشم		
٢٠.صفية بنت عبد المطلب	بني هاشم		
٢١.قدامة بن مظعون	جمح		
٢٢.عبد الله بن مظعون	جمح		
٢٣.أسماء بنت أبي بكر	بني تيم		
٢٤.عمير بن أبي وقاص	بني أمية		

٢٥.مسعود بن القاريء	بني الربيع		
٢٦.سليط بن عمرو	بني عامر		
٢٧.عياش بن أبي ربيعة	بني مخزوم		
٢٨.امرأته أسماء بنت سلامة	بني تميم		
٢٩.خنيس بن حذافة	بني سهم		
٣٠.عامر بن ربيعة	عنزي		
٣١.عبد الله بن جحش	بنو أسد		
٣٢.أخوه أبو أحمد	بنو أسد		
٣٣.جعفر بن أبي طالب	بنو هاشم		
٣٤.امرأته أسماء بنت عميس	خثعم		
٣٥.حاطب بن الحارث	جمح		
٣٦.امرأته فاطمة بنت المجلل	عامرية		
٣٧.خطاب بن الحارث	جمح		
٣٨.امرأته فكيهة بنت يسار	أزدية		
٣٩.معمر بن الحارث	جمح		
٤٠.السائب بن عثمان بن مظعون	جمح		
٤١.المطلب بن أزهر	بني زهرة		
٤٢.امرأته رملة بنت أبي العوف	بني سهم		
٤٣.نعيم بن عبد الله	بني عدي		
٤٤.خالد بن سعيد بن العاص	بني أمية		
٤٥.امرأته أمينة بنت خلف	خزاعة		
٤٦.حاطب بن عمرو	بنو عامر		
٤٧.أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة	العبشمي		
٤٨.واقد بن عبد الله	بني تميم		
٤٩.خالد (بنو البكير بن عبد ياليل)	بني بكر		
٥٠.وعامر (بنو البكير بن عبد ياليل)	بني بكر		
٥١.وعاقل (بنو البكير بن عبد ياليل)	بني بكر		

ملحق رقم (٢):- يوضح نص الوثيقة التي كتبها رسول الله ﷺعند وصوله من المدينة كما وردت عند حميد الله ، نقلتها من كتاب مجموعة الوثائق السياسية؛ لأنه قارن بين سائر الروايات وأثبت الاختلافات في الحاشية انظر منه: (ص ٥٧- ٦٤) .ومصدره ابن اسحاق

ملحق رقم (٢) كتابه صلّى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الوثيقة «١» :

١- هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش، (وأهل) يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

٢- إنهم أمة واحدة من دون الناس.

٣- المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٥- وبنو الحارث (بن الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٦- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٧- وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٨- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٩- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٠- وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١١- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٢- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف من فداء أو عقل. (١٢ ب) وألّا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

١٣- وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظالم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

١٤- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.

١٥- وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

١٦- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

١٧- وإن سلّم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في سبيل الله إلّا على سواء وعدل بينهم.

١٨- وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

١٩- وإن المؤمنين يبئ بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

٢٠- وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه.

(٢١ ب) وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن.

٢١- وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل) وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

٢٢- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وامن بالله واليوم الاخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه، وإن من نصره أو اواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

٢٣- وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد.

٢٤- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٢٥- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

٢٦- وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٢٧- وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٢٨- وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٢٩- وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

٣٠- وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

٣١- وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

٣٢- وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

٣٣- وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم.

٣٤- وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٥- وإن بطانة يهود كأنفسهم.

٣٦- وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.

(٣٦ ب) وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا.

٣٧- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

(٣٧ ب) وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم.

٣٨- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٣٩- وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٤٠- وإن الجار كالنفس غير مضار ولا اثم.

٤١- وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

٤٢- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلم وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

٤٣- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

٤٤- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

٤٥- وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

(٤٥ ب) على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

٤٦- وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

٤٧- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو اثم، وإنه من خرج امن ومن قعد امن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

Abstract

There is no doubt that the way of building the Islamism nation is much important to stimulate thinking of every researcher of the Islamism nation to investigate the landmarks of this way in the biography of the prophet Muhammad peace upon him and trying to clarify his way in establishment his nation which last more than 1400 year.

So this thesis is a trying to clarify this way of the prophet Muhammad peace upon him to the learner about the reality of this way and put the elaborated layout which he proceeded in establishment of the Islamism nation in the hands of investigator as a humble effort to open the gate through study more and more to clarify this way.

So the researcher tries to present the study problem as a key question to the thesis, and all chapters of the study try to answer it, this question is: was there a clear landmarks way to Prophet Muhammad peace upon him with a determined steps to establish the Islamism nation?

After the researcher ended his study and used many resources and references and new studies, appear that Prophet Muhammad peace upon him has a clear landmarks way which preceded step by step, indeed Prophet Muhammad peace upon him was having a great purpose to establish a nation with real influence, and fulfillment this purpose he put many steps.

So he created a group which carries the purpose, this was the first step in his way, and he did all needed to build his group and make it stronger, and he taught the members of his group the new ideas to fulfill what he aimed to, in this step the ideological work is the most important because this new ideas present to people who did not used to submit to anyone.

Prophet Muhammad peace upon him disappeared in dar alarqam and met with his followers there , in addition to use all means of carefulness and prudence, and he waited until his group became stronger by affiliated of strong people to the group as Omar bin alkhatab and hamzah bin abed almoutaleb then Prophet Muhammad peace upon him annunciate Islam and his group to Mecca, in this screaming defiance Prophet Muhammad peace upon him moved his way to another step, it is interaction and struggle step to fulfill the aim of applying what he actuates to.

Although Prophet Muhammad peace upon him promised quraish if they followed him to have Arabs and Persians dominations, they didn't only disobey him but also they attack his group and his followers.

So to face this reality and the hostility of quraish toward the new ideology the Prophet Muhammad peace upon him moved to anew step to ask help and support from other tribes neighbored to Mecca or strong tribes which came to pilgrimage and he present himself to these tribes and ask them to let him be in save to establish a nation with their assistance.

Books which wrote the biography of the Prophet Muhammad peace upon him told almost fifteen try and one of these tries was accepted its called alansar homage from alaws and alkhazrag who promised the prophet peace upon him to protect him to be able to establish his nation in yathrib.

When prophet Muhammad peace upon him arrived to yathrib he did all works and effectuation which signs that he was ready to this nation, of course he was ready after thirteen year of waiting to build it, then he built center to put out regulations and rules, and he solved the problems of the new nation by brotherliness, and he controlled the new society with a clear constitution and he also determined the regime of his nation in clear words so it was succession and the way of take it is homage then he started look after the political, economical, and social affairs of his nation.

After he completed building his nation he started to spread the message of his nation, through breakage all powers which was against his nation, quraish was the first great enemy fortified in Mecca so the prophet Muhammad peace upon him broke the allies which quraish confronted him with in try to crushing the Islamic nation, and he departed qurish from its allies with Alhodiba pact, then he meet separately all conspirators of his nation, after that he carried out a great Mecca conquest so the Arabs island became under the authority of Islamic nation, then the prophet Muhammad peace upon him started thinking about the powers around the Islamic nation ,Greek and Persians, because he felt that they are hostile to his nation

So he put a plain to fight them but he passed away before sent Osama army, and he left this task to his caliphs.

One of the most important things to mention that the prophet Muhammad peace upon him work in all period of his rule to establish apolitical, economical, social bases of his nation which became the practical standard to every caliph came after him.

The study ends here with what it obligate to a determined historical period and it ends in the eleventh year of al hegira, the date of prophet Muhammad peace upon him passed away, accordingly to the previous the searcher conclude that the prophet present a complete nation from the way he follow to the basic elements and he applied that practically for ten years to be the ideal nation to follow.